ISSN: 2582-9254

www.hilalalhind.in

المجلد الرابع – العدد الأول



Vol. No. 4, Issue No. 1

January – June 2024



هلال الهند

ISSN: 2582-9254

مجلة إلكترونية فصلية دولية محكمة



رئيس التحرير
أ.د. مجيب الرحمن

يصدرها
د. مخلص الرحمن
رامبور هات، بيربوم، بنغال الغربية – الهند، ٧٣١٢٢٤

Vol. No. 4, Issue No. 1

January – June

2024



هلال الهند

ISSN: 2582-9254

مجلة إلكترونية فصلية دولية محكمة



رئيس التحرير
أ.د. مجيب الرحمن

يصدرها

د. مخلص الرحمن
سانغاتي بلي، رامبور هات، بيربوم،
بنغال الغربية، الهند، ٧٣١٢٢٤

هلال الهند

(مجلة إلكترونية فصلية دولية محكمة)

أهداف المجلة

المجلة تهدف إلى:

- إتاحة الفرص للكتاب والباحثين لنشر أعمالهم العلمية والأدبية والبحثية، وإبرازها على المستوى العالمي.
- توفير وعاء رقمي ومنصة إلكترونية لتعزيز المحتوى الرقمي العربي ونشره وترويجه من خلال المجلة ذات الوصول المفتوح على الشبكة العنكبوتية.
- مؤازرة أصحاب الأقلام المبدعة والرؤى الثاقبة الذين يساهمون في النهوض باللغة العربية والارتقاء بها، بنشر بحوثهم العلمية، ودراساتهم النقدية، ونتاجات قرائحهم الإبداعية.
- مواكبة حركة التطور العلمي والبحثي في مجال اللغة العربية وآدابها على الصعيدين المحلي والدولي، والاهتمام بمعالجة القضايا المعاصرة بالبحث والتحليل والتحقيق.
- نشر الأعمال الأدبية والعلمية والثقافية والتراثية العالمية عن طريق ترجمتها من اللغات العالمية، بما فيها الهندية، إلى اللغة العربية.
- الإسهام في بناء مجتمع معرفي بنشر البحوث والمقالات عالية الجودة في مختلف المجالات مع الالتزام بالمعايير العلمية والعالمية الدقيقة للبحث.
- تحقيق مبادئ الأمن والسلام والتعايش السلمي والحوار بين الأديان والحضارات والثقافات من خلال الإبداع.
- إصدار أعداد خاصة في محاور هامة تخص أهداف المجلة التي من شأنها أن تكون ذات فائدة علمية كبيرة لطلبة وباحثي وأساتذة اللغة العربية في الهند.
- إقامة جسر علمي وثقافي بين الهند والعالم العربي من خلال اعتماد وتنفيذ مشاريع علمية وبحثية مشتركة بهدف توطيد أواصر التعاون العلمي بين المهتمين بالشأن الثقافي العربي في الهند والعالم العربي.

الآراء المنشورة في مجلة "هلال الهند" تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة. ولا يخضع ترتيب المنشور فيها لمستوى البحث أو الباحث.

شروط النشر في المجلة:

- أن تكون المقالات البحثية أصيلة وألا تكون قد نشرت أو قدمت للنشر في أي مكان آخر جزئيا أو كليا.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- أن يكتب الباحث اسمه الكامل ومسماه الوظيفي وجهة عمله وبريده الإلكتروني ويلصق صورته ذات مقاس الجوازات.
- أن يتقيَّد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي تعتمده المجلة.
- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديميا.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على ٢٥٠ كلمة.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على ٦ كلمات ترتب هجائياً.
- يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- أن يكون المقال مطبوعا ببرنامج (MS Word)، ونوع الخط Fanan، وحجم الخط 16 في كتابة المتن، وبمسافة 1.5 بين سطور المتن، وحجم الخط 16 في العناوين الرئيسية والفرعية للمتن بخط غليظ، و١٢ للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) ، وحجم الخط ١٢ في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم ١٠.
- ألا يزيد عدد الكلمات ٤٠٠٠، بما فيها ملخص البحث والمصادر والمراجع والجداول والرسوم وكافة الملحقات.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل، وأن تذكر المراجع والمصادر في النهاية.
- تخضع البحوث للتحكيم والمراجعة العمياء من قبل خبراء متخصصين، ويُتخذ قرار نشر البحوث في ضوء آراء المحكَّمين وقرار هيئة التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تتناسب مع أسلوبها في النشر ولا تلتزم المجلة برد المقالات غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.
- تعبّر الآراء العلمية المنشورة في البحوث عن آراء كاتبيها، ونظرتهم الشخصية، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة.

يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:

عند ذكر المرجع للمرة الأولى:

- **الكتب:** لقب المؤلف أو الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ، الترجمة، (إن وجدت) (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة، تاريخ النشر)، الجزء إن وجد، الصفحة. على سبيل المثال: الرحمن، مجيب: **تأثير اللغة الإنجليزية في أسلوب الصحافة العربية** (نيو دلهي: محمد جمشيد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م) ص:٢٢.
- **الكتاب المترجم:** حيدر، قرة العين: نهر النار، ترجمة: أ.د مجيب الرحمان، (الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م) ص:٣٠
- **المجلات والدوريات:** اسم الكاتب، عنوان المقال، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المصدر أو المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، المصدر نفسه ج، ص.
- عند تكرار المصدر أو المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص.
- **المراجع الالكترونية:** اسم المؤلف، أو المنظمة، "عنوان المقال"، (بين فاصلتين مزدوجتين)، الرابط كاملا إذا كان الرابط صغيرا، وإذا كان الرابط كبيرا فيكفي ذكر الموقع الإلكتروني، وتاريخ التصفح.
- وإذا كانت المراجع صحيفة، فيكتب اسم الكاتب، "عنوان المقالة أو التقرير"، اسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها أهي يومية أم أسبوعية أم شهرية، (مكان الصدور)، والعدد، والتاريخ، والصفحة، على سبيل المثال:

مفيد نجم، "الرواية الواقعية"، جريدة العرب اليومية، (بريطانيا)، العدد 9983، ٢١ يوليو 2015م، ص ١٥

- المخطوطات: اسم المؤلف كاملاً، عنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها.
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (الإخلاص: ١).

المحتويات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهلاً وسهلاً بكم في العدد الأول من عام ٢٠٢٤ من مجلة هلال الهند البحثية الإلكترونية، حيث يسعدنا أن نرحب بكم في هذه النسخة المتميزة التي تحمل بين طياتها العديد من الأبحاث والدراسات والإبداعات الأدبية التي تعكس إسهامات متجددة في مجال الأدب والبحث العلمي.

في فئة الدراسات الأدبية، نفتتح العدد ببحث مميز يحمل عنوان "الجملة الطلبية في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السباعي" للباحثتين د. إيمان كريم الحريزي وزينت كاظم هادي المرشدي، ذكرت الباحثتان في مقدمة البحث أن علمائنا الأفاضل انشغلوا بدراسة الجملة الطلبيّة العربيّة، وهو مبحث هامٌّ توزّع بين النّحو والبلاغة إذ كثُرت دراساتها وتشعبّت غاياتها، وأنّ أساليبها الإنشائية من أهم الأساليب حضوراً في خطابنا اليوميّ، وحواراتنا عامّة كانت أم خاصّة، عاديّة كانت أم تعليميّة، وهي الأساليب الطلبيّة، وهذه الدراسة تقدّم عرضًا يسيراً لأنواع الجملة الطلبيّة يجمع بين الأمر، والنّهي، والاستفهام،

والنّداء وتطبيقاتها في مبحثين الأوّل للدراسة النّظرية وتضمّن (لمحة يسيرة عن جملة الطلب عبر الأساليب المذكورة) والثاني للدراسة التطبيقية في الكتاب، يوفر لنا هذا البحث أيضا رؤى جديدة حول كيفية تعبير هذه الجمل عن التوجيهات والأوامر في النصوص الدينية.

والبحث الثاني في هذه الفئة يحمل عنوان "مشكلات نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند وسبل التغلب عليها"، بقلم بدر الدين بن محمد سليم. يعرض هذا البحث التحديات التي يواجهها النظام التعليمي الإسلامي في الهند ويقدم استراتيجيات وحلولاً ممكنة لتحسين هذه المنظومة التعليمية بما يتماشى مع احتياجات الطلاب والمعلمين على حد سواء.

تستمر المجلة في تقديم إسهامات بحثية بارزة مثل "المخطوطات العربية في الهند: دراسة تاريخية" للباحث محمد رضا، الذي يتناول فيها تاريخ المخطوطات العربية وانتشارها في الهند. كما نتعرف على تطور "القصة القصيرة في الأردن" من خلال دراسة الباحث بلال أحمد شاه، ونتابع إحياء التراث العربي من خلال البحث الموسوم "المفتي محمد عظيم الدين – وأعماله في دائرة المعارف العثمانية" للباحث سيد جميل الدين. ولا يفوتنا عرض "قراءة في رواية 'التبر' لإبراهيم الكوني" بقلم محمد مهربان علي، إضافةً إلى دراسات نقدية في " الطبائع الفنية في روايات لينا هويان الحسن" للباحث د. محمد شميم النظامي، و"العين في اللغة والشعر العربي" للأستاذ الدكتور سيد جهانغير، و"قراءة نقدية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال" لكاتب هذه السطور، و"دور اللغة العربية في تعزيز الوحدة الإسلامية" للباحث صابر علي شيخ، و"الوعي المجتمعي ودوره في الحد من الامراض– دراسة تحليلية" لـ م. غادة علي سعيد والباحث وريا لطيف عبد الله

وفي قسم الإبداعات الأدبية، نعرض لكم مجموعة من الخواطر والقصص التي تعكس تنوع الإبداع الأدبي. تبدأ الخواطر مع "الحرب تجارة بضاعتها النفوس" بقلم محمد نديم أنجم بيديا، و"فوق أجنحة الخيال في سماء الأدب" للكاتب الشاب محمد سليم، حيث يتناول كلاهما تجارب إنسانية وإبداعية تتجاوز حدود الواقع. كما نقدم ترجمة لقصة قصيرة بعنوان "ليلة من ليالي الشتاء" للكاتب الهندي الكبير منشي بريم تشند، بترجمة د. قمر شعبان من جامعة بنارس الهندووسية، التي تعكس عمق التراث الأدبي الهندي. وأخيراً، نقدم لكم عرضاً لمجموعة قصصية بعنوان "الطرقات التي تحفظ ملامحنا" للقاصة صبحة بغورة، التي تقدم لنا قصصاً ملهمة وثرية.

نتمنى أن تجدوا في هذا العدد ما يثري معرفتكم ويحفز إبداعاتكم، ونتطلع إلى تلقي تعليقاتكم وملاحظاتكم التي تسهم في تحسين المجلة وتطويرها. شكراً لكم على دعمكم المستمر وتعاونكم. الثمين.

مع خالص الشكر والتقدير،

أ.د. مجيب الرحمن

رئيس التحرير



الجملة الطلبيَّة في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السّباعي

د.إيمان كريم جبار الحريزي والباحثة زينب كاظم هادي المرشدي*

ملخص البحث:

انشغل علماؤنا الأفاضل بدراسة الجملة الطلبيّة العربيّة وهو مبحث هامٌّ توزّع بين النّحو والبلاغة إذ كثُرت دراساتها وتشعبّت غاياتها، وأنّ أساليبها الإنشائية من أهم الأساليب حضوراً في خطابنا اليوميّ، وحواراتنا عامّة كانت أم خاصّة، عاديّة كانت أم تعليميّة، وهي الأساليب الطلبيّة، وهذه الدراسة الموسومة (الجملة الطلبيّة في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السباعي) تقدّم عرضًا يسيرًا لأنواع الجملة الطلبيّة يجمع بين الأمر، والنّهي، والاستفهام، والنّداء وتطبيقاتها في مبحثين الأوّل للدراسة النّظرية وتضمّن (لمحة يسيرة عن جملة الطلب عبر الأساليب المذكورة) والثاني للدراسة التطبيقية في الكتاب، ثمّ قَدم البحث خلاصة لأهم النتائج المستقاة منه.

نأمل أن ينال هذا البحث رضا واستحسان قارئه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: الأساليب، الطلبية، نفحة، الإيمان، يوسف، السباعي

المقدّمة:

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم .. علّم الإنسان ما لم يعلم .. والصّلاة والسّلام على من أوحى إليه أن: اقرأ .. فقرأ وهو خير من قرأ ونطق، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

---

* جامعة الكوفة.

وبعد ..

فهذه الدراسة الموسومة (الجملة الطلبيّة في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السباعي) تقدّم عرضًا يسيراً لأنواع الجملة الطلبيّة يجمع بين الأمر, والنّهي, والاستفهام, والنّداء وتطبيقاتها في مبحثين الأوّل للدراسة النّظرية وتضمّن (لمحة يسيرة عن جملة الطلب عبر الأساليب المذكورة) والثاني للدراسة التطبيقية في الكتاب، ثمّ قَدم البحث خلاصة لأهم النتائج المستقاة منه.

وقد سبقت هذه المباحث بتمهيد قاربنا فيه مصطلحات العنوان بدءًا من حياة الكاتب وآثاره، وسبب تسمية الكتاب محلّ البحث، وقد سرنا في البحث على منهج انتقائي نذكر فيه الشاهد ثمّ نقدّم إضاءة بسيطة عن القصّة التي ورد فيها.

وبعدُ، نتمنى أن يكون هذا العمل من العلم النافع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: تعريف بمصطلحات العنوان

أولًا: مقاربة في حياة الكاتب يوسف السّباعي

هو أديب مصري قاصّ ومؤلف خصب من أبرز وأشهر كتّاب القصة الطويلة في مصر والبلاد العربية في الثلث الثاني من القرن العشرين، كان إلى حين مقتله رئيسا لمجلس إدارة جريدة الأهرام ورئيسا لتحريرها، ورئيسا لنقابة الصحافة المصرية والأمين العام لرابطة الكتّاب المصريين وأصبح وزيرا للثقافة في آذار ١٩٧٣م، ولد في القاهرة ١٩١٧م، والده القاص المصري رئيس المترجمين المحدثين المرحوم "محمد السباعي" وعنه أخذ هواية القصة بعد أن قرأ معظم ما ترجمه أبوه عن أساطين القصة في أوربا أمثال "تشيخوف" و "موبسان" [١] وكلت إليه مهام عدّة، منها:

---

[١] ينظر: مصادر الدراسة الأدبيّة، أسعد داغر: ١.

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ونادي القلم، ونادي القصة، وجمعية الأدباء، واتحاد الكتاب المصري واتحاد الأدباء والكتاب العرب، واتحاد كتاب آسيا وافريقيا، وقد أطلق عليه المفكر الراحل توفيق الحكيم لقب رائد الأمن الثقافي ؛ لبراعته في كلّ ما ذكرنا[٢].

اختتمت حياة "يوسف السباعي" بنهاية أليمة حين اغتيل على يد اثنين من المتطرفين الفلسطينيين في يوم السبت الموافق ١٨ فبراير من عام ١٩٧٨ بـ"بيقوسيا" في "قبرص"حيث كان في زيارة رسمية إليها لحضور مؤتمر "منظمة التضامن الإفريقي الأسيوي" وذلك بدعوى تحريضه في مقالاته على السلام مع إسرائيل، وبعد حوالي ثلاثة أشهر من مرافقته للرئيس "السادات " في زيارته لإسرائيل[٣].

ثانيًا: أهم أعماله

لديه العديد من مؤلفات المنشورة وكتبَ أربع عشرة رواية بدأها بـ (نائب عزائيل ١٩٤٧) وأنهاها برواية (ابتسامة على شفتيه ١٩٧١) كما كتب المقالات والمسرحيات والقصص اذكر بعضها فيما يلي :

١. اثنتا عشرة امرأة (مجموعة قصص قصيرة)١٩٤٨
٢. اثنا عشر رجال (مجموعة قصص قصيرة) ١٩٤٩
٣. أرض النفاق ١٩٤٩
٤. اطياف ١٩٤٧
٥. أيام مشرقة ١٩٦١
٦. رد قلبي ١٩٥٤
٧. السقامات ١٩٥٢
٨. طريق العودة ١٩٥٦

[٢] ينظر: يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، لوسى يعقوب :١٦.
[٣] ينظر: رؤية المكان في روايات يوسف السباعي، رضا السيد العشماوي:٨.

٩.في موكب الهوى (مجموعة قصص قصيرة)١٩٤٩

١٠. مبكى العشاق ١٩٥٠

١١. نائب عزرائيل ١٩٤٧

هذه بعض أعمال يوسف السباعي من مجموع (٤٣) مؤلفا بين القصص والروايات، والمقالات والمسرحيات[٤].

ثالثاً: تعريف بكتابه (نفحة من الإيمان) وهو مدار البحث:

كتاب مهم جداً أهداه يوسف السباعي إلى زميله الكاتب المصري المعروف إحسان عبدالقدّوس، لمستُ فيه الأسلوب الجميل، والحوارات البسيطة البعيدة عن التكلّف، إذ يورد الكاتب الآية القرآنية، ويأتي بالقصّة على غرارها، وقد وجدتُ فيه كل أنواع الجمل الطلبيّة وغير الطلبيّة لكنّ البحث مقتصر على الجملة الطلبية بحسب مقتضيات العنوان، واللافت للنظر في هذا الكتاب أنّ هناك قصصا جاء بها الكاتب ولم تكن مسبوقة بآية قرآنية، نذكر على سبيل التمثيل قصة (٣٠ فضّة).وقصص أسماها (صور طبق الأصل) وهي مجموعة ذكر أنّه أخذها من النّاس، مثل قصة (خال علام)، (رحت الفرن) و(أمام الفك) و(الوسواس الخنّاس) وغيرها.

تأتي تسمية الكتاب مقتبسة من قصة أوردها الكاتب فيه استهلّها بالآية المباركة من قوله تعالى : {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)} [مريم: ٣٠ – ٣٤]

[٤] ينظر: مصادر الدراسة الأدبية:١٤.



تحكي قصة شابّ في مقتبل العُمر يرعى الغنم وبجواره رجلان أحدهما شابّ أيضًا والآخر كبير السّن، وقد هرب من القطيع حملٌ صغير إلى حافة الهاوية، وقد أشار إليه الرجلان أن يتركه وشأنه وأنّه لا فائدة من ملاحقته لكنّ الرجل الكبير لم يستسلم ورفض الفكرة وأصرّ على الملاحقة ليخلّص الحمل الصغير، يقول الكاتب:" أخذ يدبّ متكئا على عصاه والشمس قد توسطت كبد السماء وامتدت منها ألسنة من السعير تلفح وجهه وتلهب جسده وبدا الطريق شاقًا أمامه... ولم يحسّ الرجل بألم الجوع قدر ما أحسّ بمرارة الفشل أن تقعده حاجته إلى الطعام عن إنقاذ ذلك الحمل الصغير الأحمق الذي دفعه طيشه إلى أن يتسلل من بين القطيع ويضل في جوف الهاوية"[٥]، وبعد معاناة شديدة وصلت بالرجل الطاعن إلى أن يفقد وعيه ويذهب في غيبوبة، بعد أن أفاق منها رأى صبيا يكتسي بثوب أبيض أقبل عليه حاملا الحمل الصغير برفق بين يديه، وأخذ الرجل المُسن بعد أن عاش فرحة اللقاء يؤنب الحمل الصغير لعدم قبوله النصيحة وأنّ نصحه إيّاه كلام يسهل قوله ويصعب سماعه، وبعد ساعات من لقاء الرجل المُسن بالصبي الذي أنقذ الحمل، سأله الصبي عن المدة التي يعمل فيها راعيا، وأجابه: " منذ ولدتُ يا بُني ..إنّي لا أكاد أذكر نفسي إلا راعيا. ولكن كان خيرا لك لو سألت منذ كم تركت الرعي؟ فإنني لم أعد راعيا منذ اثني عشر عاما لقد أضحيت في نظرهم كهلا لا يصلح للرعي، بل يحتاج إلى من يرعاه أو كما يسمّونني الحُطام"[٦].

خلاصة القصّة هي أن الكاتب أراد إيصال فكرة مفادها أنّ القوة ليست بالقوة الجسدية بل بقوة القلب والإيمان فهناك أناس يولدون حطاما ويذهبون إلى الأجداث حطاما، أمّا هذا الرجل الطاعن في السن فقد كان قويًا بإيمانه حتى مماته، إذ إنّ نهايته كانت بعد عودته بالحمل وجده أصحابه جثة هامدة خارت

---

[٥] نفحة من الإيمان:١٤١.

[٦] نفحة من الإيمان:١٤٤.

فيها قواه من الجوع والتعب فرثوا له يقول الكاتب: "ولكنهم لو أدركوا أن روحه تنعم في ظلال الجنان لرثوا أنفسهم"[٧].

المبحث الأوّل: الدراسة النّظريّة

أولًا: مفهوم الأمر

يعدّ الأمر من أكثر المفاهيم الإنشائيّة علاقة بظاهر القول؛ لأنّه مباشر، ممّا لا يستدعي للمتلقّي، وقفة تأمّليّة، وقد كثر في أقوال العرب من الشعر والنثر والخطابة، والْأَمْرُ في اللغة مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ[٨]، وهو من أساليب الطلب في اللغة العربية وقد اشتغل الدارسون في هذه الصيغة في كثير من المجالات، وخاصة الفقهاء وعلماء الأصول لاتصال الصيغة بالوجوب والندب، وما إلى ذلك من أحكام فقهية[٩].

و الأمر في الاصطلاح هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، إذ يصدر من الأعلى إلى الأدنى[١٠] وصيغه في العربية متنوعة بحسب سياق الكلام، وقرائن الأحوال[١١]، والأشهر أنّها أربع صيغ، نكتفي بذكر الصيغتين الأولى والثانية لعدم ورود الصيغ الأخرى وهي اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، وهي :

صيغة فعل الأمر :

هذه الصيغة هي (افعل)٤ [١٢] نحو قوله تعالى : {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } (سورة النور/٢).

صيغة (ليفعل) :

[٧] نفحة من الإيمان:١٤٦.
[٨] مقاييس اللغة:١/١٣٧.
[٩] ينظر:دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى:٢٤٧.
[١٠] علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق :٥٨ .
[١١] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني:٢/٩٠.
[١٢] الكتاب، سيبويه، ١/ ١٣٧.

هذه الصيغة مكوّنة من (لام) الأمر والفعل المضارع المجزوم بتلك (اللام)[١٣] وهذه اللام تكون أمر الغائب[١٤] فقط. وعليه، فإنّ صيغة (ليفعل) تكون لغير المخاطب[١٥]. إلّا أنّها قد تأتي للمخاطب فتفعل بالفعل توكيدا. قال الزجاجي: (فأمّا إذا أمرت مخاطب فإنّك غير محتاج إلى اللام). كقوله: اذهب يا زيد وربما أدخلت اللام في هذا الفعل أيضًا توكيدًا فقيل :لتذهب يا زيد.[١٦]

ثانيًا: مفهوم النّهي

النّهي في اللغة خلافُ الأَمْر، تقول: نَهَيْتُهُ عنه، وفي لغةٍ: نَهَوْتُهُ عنه. والنِّهاية: الغاية، حيث ينتهي إليه الشَّيء[١٧]، وفي الاصطلاح هو طلب الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منتهية، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا ناهية مثل : لا تصاحب الأشرار، لا تفعل السوء، لا تكف عن البذل والعطاء[١٨].

ثالثًا: مفهوم الاستفهام

اَخذ الاستفهام من فهمْتُ الشَّيء فَهَماً وفَهْماً : عَرَفْتُه وعَقَلْتُه، وفهّمتُ فلانا وأَفْهَمْتُه: عَرَّفْته[١٩] ورجلٌ فهِم: سريعُ الفَهم، وَيُقَال: فَهْم وفَهَمٌ وتفهَّمْتُ الْمَعْنى: إِذا تَكَلّفْتَ فهْمَه[٢٠]. والاستفهام مصدر (استفهمتُ) أي طلبتُ الفهم وهذه السين تفيد الطلب[٢١].

---

[١٣] ظ: الكتاب:١/١٣٨.
[١٤] ينظر: اللامات للزجاجي: ٨٨
[١٥] الكتاب:١/١٣٨.
[١٦] المقتضب:٢/٤٤.
[١٧] ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٤/٩٣.
[١٨] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، د بسيوني عبد الفتاح فيود:٨١.
[١٩] كتاب العين:٤/٦١.
[٢٠] ينظر: تهذيب اللغة:٦/١٧٧.
[٢١] شرح المفصّل، ابن يعيش:٨/٧٦.

وعرّف الاستفهام في الاصطلاح بأنّه طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه مالم يكن حاصلاً قبلُ[٢٢]. والطلب في الاستفهام يختلف عنه في أقسام الطلب الآخر، يقول السكاكي:" والفرق بين الطلب في الاستفهام وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء واضح فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه تنقش في ذهنك، ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق فنقش الذهن في الأول تابع وفي الثاني متبوع"[٢٣].

للاستفهام أدوات يؤدى بها، وهي تقع في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُستَفْهَمُ به عن التصوُّر والتصديق، وهو "همزة الاستفهام" فقط، وهو حرفٌ لا يكون له محلٌ من الإعراب في الجملة.

القسم الثاني: ما يُستَفْهَمُ به عن التصديق فقط وهو لفظ "هَلْ" وهو حرفٌ أيضاً، لا يكونُ له محلٌ من الإعراب في الجملة.

القسم الثالث: ما يُستَفهَمُ به عن التَّصوُّر فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعُها أسماء، وهي: "مَا – مَنْ – أيٌّ – كَمْ – كَيْفَ – أَيْنَ – أَنَّى – مَتَى – أَيَّانَ"[٢٤].

التّصوّر: هو إدْراكُ المفرد، ويُطْلَبُ بالاستفهام عن التصّور إدْراكُ المسند إليه، أو إدْراكُ المسند، لتعيينه، ويكونُ الجوابُ بتعيينِ المسؤول عنه، مُسْنَداً كان أو مُسنداً إليه. مثل:

❖ أضَرَبَ خالدٌ أَمْ أكلَ؟ والجواب: ضرب – أو – أَكلَ. متى يُفْطِرُ الصّائم؟ والجواب: إذا غربتِ الشمس.

التصديق: هو إدْراك النسبة الحكميّة بين المسند والْمُسْنَد إليه، موجبةً كانت أو سالبة.

مثل:

[٢٢] ينظر: التعريفات:٢٢.
[٢٣] مفتاح العلوم:٣٠٤.
[٢٤] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني:٢٥٩.

❖ هل بُعِثَ خَاتم المرسلين؟ والجواب: نعم، بُعِث.

❖ هل ظهر المسيح الدجال؟ والجواب: لا، لم يظهر بَعْدُ[٢٥].

رابعًا: مفهوم النداء

جاءت كلمة النّداء والنُّداء في مادة نَدَى، بمعنى الصوت مثل الدّعاء والرّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء وأي صاح به، وأندى الرجل إذا حَسُنَ صوته[٢٦].

وفي الاصطلاح: هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظًا أو تقديرًا -أي طلب المتكلم إقبال المخاطب حسًّا أو معنى والمراد بالطلب الطلبي اللفظي؛ لأنه هو الذي من أقسام الإنشاء، فمفاد حرف النداء ومدلوله "ادعو" ولذلك لا يجزم الفعل بعده وجوبًا، وأما الإقبال فهو مطلوب باللزوم فالنداء من أقسام الطلب لدلالته على طلب الإقبال لزومًا[٢٧]. وللنداء ثمانية حروف هي : (الهمزة وأي) لنداء القريب، و(يا، أيا، هيا، آه، آي، وا) لنداء البعيد[٢٨]. وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى بالهمزة أو أي، تنبيها إلى أنّه لا يغيب فيُنزَّل منزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة وأيُ للإشعار والدّلالة على عُلوِّ مرتبته، أو الإشارة إلى انحطاط منزلته، أو غفلته، أو غفلته وشرود ذهنه. وقد تخرج ألفاظ النداء عن المعنى الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من القرائن[٢٩].

جدير بالذكر أنّ هذه الأساليب (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء) تخرج من دلالتها الحقيقية إلى دلالات أخرى تفهم من السّياق · أمّا هذا البحث فيركز على

---

[٢٥] البلاغة العربية:٢٦٠.
[٢٦] ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٢/٢٢٧.
[٢٧] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/٩١.
[٢٨] ينظر: المختار من علوم البلاغة والعروض، د. محمد علي سلطاني:٥٧٠.
[٢٩] ينظر: معين الطالب في علوم البلاغة، محمد أمين الضناري :٦٢.

الجملة الطلبيّة وتطبيقاتها في القصة مع عرض موجز ميسّر لفحوى القصة في ضوء الآيات المباركة الواردة فيها.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقيّة

النموذج الأوّل : قصة لا تسألوا

في ضوء الآية المباركة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } [سورة المائدة: ١٠١] .

فحوى القصة أنّ هناك رجلا يدعى الحاج (درويش) يسكن إحدى الحارات المتقاطعة (الخيّامة) يعمل في حانوت، كان تقيًّا وورعًا يحبّه الجميع ويقدّره، كان رافضًا للزواج ومكرّسًا حياته للعبادة إلى أن تقدّم به العمر، فأقنعته أخته بالزواج فتزوّج وعاش حياة هانئة مع زوجته، ولم يرزق بطفلٍ منها لعدّة سنوات، كان كثير الدعاء والتقوى، وقد تحقق مراده بفضل الله، فحملت زوجته وكان ينتظر مولوده بفارغ الصبر، ولكن شاءت الأقدار أن تتعسّر الولادة ويموت الطفل والأمّ معًا، فحدثت لديه ردّة فعل عنيفة وضعف إيمانه، وسنرى ذلك في سياق خطابه مع البارئ عزّ وجل في عبارات الاستفهام، وبعد أن أفاق من صدمته استغفر الله عزّ وجل.

وكانت طيلة مدّة الصدمة يسمع الآيات المباركة التي تتلى في المسجد ويعلّق عليها تعليقًا ساخرًا كأنّه يهذي ومن تلك الآيات الآية الكريمة المذكورة في أعلاه، إذ يجيب وهو في يأس وبؤس :"لا شيء يسؤني أكثر مما فعلت بي لقد بلغ السيل الزبى لقد ضلّت نفسي.."[٣٠].

[٣٠] نفحة من الإيمان :١٣-١٤.

ولكنّه بعد أن أفاق من صدمته حمد الله سبحانه وتعالى وبعدها عاد إلى حانوته يقول الكاتب :"محدودب الظهر كسير القلب، لقد استعاد إيمانه بالله لكنّه فقد إيمانه بالبشر ولم يعد له من قول يردده إلا الآية الكريمة"[٣١].

ورد أسلوب الأمر بصيغة فعل الأمر(خذها) في قوله حينما بُشّر بالصّبي : " خذها حلاوة بشرى أتوقع سماعها"[٣٢].

وورد الاستفهام في قوله معترضًا على حكم الله في أثناء الصدمة : " وماذا في ذلك ..ألم تجعل بيوت الله للهداية؟"[٣٣].

وقوله: "أ يحقّ له أن يدخل بيت الله.. ونفسه كافرة بالله؟"[٣٤].

وقوله:" ما حكمتُكَ يا ربِّ؟.. كيف تأخذها هكذا على غرّة؟.. وهي القوية السليمة التي لم تمرض قط"[٣٥].

وقوله متسائلا : " هكذا؟ أهذه هي بُشرى العندليب؟"٣٦.فنرى أنّه وظف أكثر من أداة الهمزة، ما، كيف، لتحقيق مراده ولا شك في أنّ هذه التوظيفات قد أسهمت في إثارة خليط من المشاعر وأضفت حماسًا على النّص.

وورد النداء على لسانه (الحاج درويش) في أوّل كلّ الصباح : " يا فتّاح يا عليم يا رزاق يا كريم"[٣٧] وقوله مناجيًا الله سبحانه وتعالى :"أنت موجود يا إلهي أنت ترى وتسمع"[٣٨].

فجاء النداء من أروع ما يكون وهو ينمّ عن نفس إيمانيّة تدرك وجود الذات الإلهيّة وأنّ الله لا يفعل شيئًا بالعباد إلّا وفيه حكمة تقتضيها مصالحهم، فالنداء الأوّل هو

---

[٣١] نفحة من الإيمان:١٤.
[٣٢] نفحة من الإيمان:١١.
[٣٣] نفحة من الإيمان:١٣.
[٣٤] نفحة من الإيمان:١٢.
[٣٥] نفحة من الإيمان:١٣.
[٣٦] نفحة من الإيمان:١٢.
[٣٧] نفحة من الإيمان:٥.
[٣٨] نفحة من الإيمان:١٣.

نداء مفرد وهو مبنيّ على الضم في محل نصب، والثاني مضاف إلى ياء المتكلّم وهو مخصوص بالذات الإلهيّة المقدّسة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

النموذج الثاني: عودة التائه

في ضوء الآية الكريمة من قوله تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) } [سورة البقرة: ١٥٤]

هذه القصة تتحدث عن ضابط مصري أيام المعركة كان في استراحة وهو مكره عليها ووصف نفسه بأنّه كالتائه الضال المنفي عن موطنه وأهله وخلّانه فقطع إجازته وذهب إلى المعركة وهي في اشتداد أوارها وكان قد استشهد صاحبه في اليوم التالي لعودته، فصوّر حاله وحال الجُند معه وعزمهم لأخذ الثأر، وبعد أن أخذ بثأره وأصبح الأعداء جثثًا هامدة، ذهب ليودّع صديقه في مثواه الأخير وعبّر عن مشاعره وإحساسه إذ يقول:" وأنا أراه يثوي في مقره أنه لا يدفن في الأرض بل يوضع على هام السُّحب"[٣٩].

من أساليب الطلب الواردة في القصة النداء المضاف إلى ياء المتكلم مرتين يقول الكاتب على لسان بطله (الضابط):" أنا يا أخي غريب بينكم، غريب عن داري، غريب عن وطني"[٤٠].

فصوّر غربته وما يحسّ به عبر أسلوب النداء.

وورد النداء أيضًا بقوله: "صدّقني يا أخي . لقد نسيت أضواءكم وعطوركم وضجيجكم ونسيت شوقي إليكم وحنيني إليكم"[٤١]

---

[٣٩] نفحة من الإيمان :٦٨.
[٤٠] نفحة من الإيمان :٥٩.
[٤١] نفحة من الإيمان :٦٠.

وقوله :" أنا يا أخي غريب بينكم، وأهلي هناك في حومة الوغى رابضين كالأسود، أو واثبين كالفهود!"٤٢

ويقول مستفهمًا ومبيّنا شوقه إلى مدينته:" كم تقتُ إلى أضواء المدينة وضجيجها و عجيبها"[٤٣].

ويقول أيضًا مصوراً حاله بعد رؤيته صديقه غارقًا في الدماء مسرعًا إليه: "وتلقاني صوت حبيب إلى نفسي يهتف :قف. مَن أنتَ؟ وناديت الحارس باسمه وذكرتُ له اسمي، فهتف مرحبا في دهشة وذهول، وسألني التقدّم"[٤٤].

فنرى توظيف فعل الأمر (قف) وأداة الاستفهام (مَن) وهي للعاقل وظفها الكاتب ليزيد الحوار شوقًا وإثارة عبر السؤال والإجابة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

النموذج الثالث: عويل الرياح

في ضوء الآية المباركة من قوله تعالى:{قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)} [سورة يونس: ٤٩]

هذه قصة تحكي عن شخص اسمه محمود له ابن عم لأبيه رجل غني وميسور الحال، يحكى أنّ هذا الرجل يسكن في بيت مسكون أو حوله شكوك بأنّه مسكون ممّا يشاع آنذاك وتصدقه الناس، وذات يوم دعاه عمّ أبيه مع زوجته إلى الغداء وكان الغرض من الزيارة هو تسجيل كل ما يملك العم للشاب قريبه محمود ولكنّه لا يعلم، أمّا ليلى زوجة محمود فأقنعته بالذهاب لتناول الغداء وقبول الدعوة لكنّه رفض بحجة وعورة ورداءة الطريق، وبعد الإلحاح من زوجته وافق على الذهاب، وذهبا إلى هناك وتناولا الغداء وتمت قضية الإرث، وفي أثناء عودتهم

---

[٤٢] نفحة من الإيمان :٦٠.
[٤٣] نفحة من الإيمان :٥٩.
[٤٤] نفحة من الإيمان :٦٥.

إلى المنزل حدثت أشياء غريبة في الطريق بسبب سوء الأحوال الجوية وبدأت ليلى تميل إلى تصديق الشائعات حول شؤم الدار التي ورثها زوجها والخرافات التي لحقتها حتى تخيل لها أن هناك حفرة في الطريق تبدو كأنّها تبتلعهم، ولما نزل زوجها ليتفحص الأمر لم يجد شيئا ووجد الطريق جيدا، لكنّها بقيت مُصرّة على أنّ عويل الرياح منذر بشؤم وحوادث سيئة لكنّه كان يطمئنها أن هذه الحوادث لاتصيبهما بل تصيب من أخبرها بذلك وهو عمّه، وبعد مدّة سيطر الخوف على ليلى وأفقد محمود سيطرته على القيادة وسقطت السيارة في ترعة في الطريق ذهب هو ضحية الحادث واستيقظت ليلى لتجد نفسها راقدة على الفراش في إحدى المستشفيات، ولتعلم أنّها نجت بأعجوبة واندفعت تصرخ كالمجانين وتصيح بمن حولها: مستحيل، مستحيل لقد قال إنّنا أبعد ما نكون عن لعنة الدار إن البيت لم يصبح لنا بعد وأن عمه مازال على قيد الحياة، ولكن أخبرها مَن في المشفى أنَّ الرياح قد أسقطت سقف البيت ومات الرجل في الساعة السابعة أما زوجها فمات الساعة السابعة وخمس دقائق لقد ورث الدار لمدة خمس دقائق وهذا كافٍ لإن يحل به شؤمها.

ومن أساليب الطلب الواردة في القصة الاستفهام الوارد في الحوار الآتي بين محمود وزوجته عبر (الهمزة، و ما) :

-وأنصتت ليلى في دهش وتساءلت:

-محمود، أتسمعُ هذا؟

-ماذا تقصدين؟

-هذا الصوت العجيب الشبيه بصوت امرأة تولول وتنوح

-أتعنين صوت الرياح تنفذ خلال أشجار الجازورينا؟

أجل، إني ما سمعتُ الريح تولول بمثل هذا الصوت الحزين.[٤٥]

---

[٤٥] نفحة من الإيمان:١٢٤.

وورد النهي بـ (لا) مع الفعل المضارع (تخشَ) في سياق حديث محمود مع عمه حينما سخر محمود من الشائعات حول شؤم البيت يقول:" لا تخشَ شيئا .إن شاء الله ستتمتع بعمر طويل وسأتمتع بعدك بعمر أطول"[٤٦].

وورد الأمر أيضا مكرورا أكثر من مرة بالفعل (قف) في سياق حديث دار بين محمود وزوجته لحظة وقوع الحادث قالت:" قف .قف إن أمامك حفرة كبيرة توشك أن تهوى فيها وضغط محمود الفرامل فتوقفت العربة"[٤٧] وقولها:" قف . قف لقد ضللت الطريق ليس أمامنا قنطرة وفي تلك اللحظة هوت العربة إلى جوف الترعة وضاع صراخها بين القرقعة وعويل الرياح"[٤٨]

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

النموذج الرابع: نور مثال

في ضوء الآية المباركة من قوله تعالى: [وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)](سورة الليل /١٧-٢١).

قصة عن شخص مصري يدعى أحمد أفندي الصراف يعمل في الأوقاف وقد اتخذ دارا كانت في الأصل قصرا لأحد القادة القدماء ولكن عفا عليها الزمن وتغيّرت رسومها فأصبحت دارا مهجورة

هذا الرجل كان تقيا وورعا يسعى في الخير ويوزّع المبالغ التي يحصل عليها من الأوقاف على الفقراء وكانت إحدى النساء التي تأتي إليه اسمها (نور مثال عصمت جمال الدين) امرأة وقور تأتي إليه في كل شهر وبساعة ووقت مخصوص، وأثوابها رثّة، وفي أحد الأشهر لم تأت بالموعد نفسه على غير عادة وتحدث السيد أحمد إلى صديقه وقال له ربّما عاقها عائق، فوضع السيد أحمد لها المبلغ في

[٤٦] نفحة من الإيمان:١٣٢.
[٤٧] نفحة من الإيمان:١٣٤.
[٤٨] نفحة من الإيمان:١٣٥.

الأمانات، وفي الشهر الثاني أتت لاستلامه لكنّها هذه المرة طلبت منه طلبا غريبا أن تتجول في الدار وأجابها بأنّه مليء بالقمامات والأتربة والأخشاب والحجارة ومع اصرارها أبدى موافقته ولكنّه رأى شيئا على وجهها كأنّها قد استعادت ذكريات مؤلمة في أثناء تجولها في الدار، وبعد أن أكملت جولتها طلبت منه أن تأخذ أموالا لعدة شهور مسبقة بكونها لم تستطع الحضور، أبدى موافقته وأعطاها المال وانصرفت، ولكنّها نسيت شيئا في مكتبه ولم يدخر الرجل جهدا في العثور على عنوانها فذهب إليها وقد فتحت له الخادمة الباب وأخبرته أنّها أصيب بالإغماء بعد عودتها من الأوقاف وهي راقدة في الفراش، وفي أثناء حديثها معه تبين أنّها تركته عمدا حتى يأتي لزيارتها قبل أن ترحل، وأخبرته أنّها كانت دائما تراه الفارس الذي يأتي على جواد لينقذها من الفقر والمسغبة ثمّ قالت من كان يصدق هذا أنّي سأعود إلى قصرنا لأستلم منه حسنة هل تعرف أن مكاتبكم هذه كانت مرتع صباي في زمن مضى وعاودت بها الذكريات مع الرجل وهي تلتقط أنفاسها الأخيرة وطلبت منه أن يأخذ المال الذي تكرم به عليها، وماتت نور مثال وقد بكاها بأحرّ ما بكى ولم يكف عن زياتها[٤٩].

أمّا الجملة الطلبية فوردت عن طريق صيغة (ليفعل) بقول الشخصية الثانية للقصة وهو صديق أحمد أفندي :"لندع أحمد أفندي يُحيّي الغفير الواقف على الباب ..ولنتريّث برهة لنتجوّل حول البناء جولة عابرة"[٥٠].

وقال بعدها: "لنترك السلاملك على يميننا فلا أظن سلمه بمفضٍ إلا إلى حجرتين عاتيتين كانتا فيما سبق تستعملان للضيوف"[٥١].

وورد الاستفهام بـ(هل) في سياق وصف بطل القصة الثاني لطول قامة أهل الجيل في الزمن الماضي عندما رأى علو السقوف في المنزل البالي:" وهل كانوا يسيرون

---

[٤٩] نفحة من الإيمان :٦٩-٨١.
[٥٠] نفحة من الإيمان:٧٠.
[٥١] نفحة من الإيمان:٧٠.

فرادى أم كانوا لا يسيرون إلا وقد حمل أحدهم الآخر على كتفيه؟ وإلّا فعلامَ كان كل هذا الارتفاع في الأسقف؟"[٥٢].

وورد الأمر و النهي معًا في جملة واحدة في قوله أيضا:" لنتقدّم الحُجرة أو دورة المياه السابقة، لاتتأففوا فالمكان نظيف جاف. .فقد كفّ عن استعماله منذ زمن والمكان بحد ذاته مكان ذو فخامة سابقة ومجد قديم"٥٣.

فهنا جاء النهي مع الفعل المضارع وحذفت منه النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

ورد الأمر أيضا بقوله: "لنتأمل أحمد أفندي برهة وهو مكب على رصد بعض الأرقام في الاستمارات"[٥٤].

وورد النهي أيضا في سياق حديث أحمد أفندي مع صاحبه عندما تعطلت المرأة (نور مثال) ولم تأت الأوقاف لاستلام المبلغ، وقد اشترك في الجملة أسلوبان نهي ونداء يقول :"لها ربّنا يا أحمد أفندي، لا تشغل نفسك بهموم الناس"[٥٥].

فالمنادى أحمد وهو علم مبني على الضم في محل نصب، والفعل (تشغل) مجزوم بـ(لا) وعلامة جزمه السكون لأنه صحيح الآخر.

ووردت أساليب الطلب مجتمعة أيضا في سياق حديث أحمد أفندي مع نور مثال حال وصولها وهو متلهف لمعرفة سبب تأخيرها في المرة الماضية، فقال:" حمدا لله على السلامة، إنك لن تأخذي شهر يناير، لقد اضطررنا إلى أن نضعه لك في الأمانات وستنتظرين بعض الوقت لأخذه، تفضلي، استريحي على هذا المقعد حتى أنهي لك المسألة، لا تؤاخذينا على ضيق المكان، إنه كان حماما فيما سبق، أتشربين قهوة؟

---

[٥٢] نفحة من الإيمان:٧٠.
[٥٣] نفحة من الإيمان:٧١.
[٥٤] نفحة من الإيمان :٧٢.
[٥٥] نفحة من الإيمان :٧٧.

قالت: كثّر خيرك لا داعي للتعب، فصاح أحمد أفندي : يا محمود، محمود، هاتِ قهوة للهانم، أهلا وسهلا، وانهمك أحمد أفندي في الكتابة حتى يعجل بصرف المبلغ.[٥٦]

تفضلي، استريحي، أفعال أمر واردة في القصة، وجاء النهي بقوله :لاتؤاخذينا' أمّا الاستفهام فكان عن طريق الهمزة، والنداء بقوله : يا محمود، وظف الحرف ياء والمنادى مبني على ضم لأنه اسم علم.

والأمر الأخير ورد بقول أحمد أفندي (دعي) وهو يودّع نور مثال وقد طلبت منه أخذ المبلغ الذي كانت تنوي أن تسدد به الديون تجنبا لإحراجه ووضعه في مأزق، قال لها: لا عليك من بأس، دعي الأمر لي"[٥٧].

الخاتمة

تناولنا في هذه الدراسة الجملة الطلبية كما وردت في كتاب نفحة من الإيمان، وتضمنت الدراسة مبحثين، ومقدمة، وتمهيد، وخاتمة. وهذه مجموعة من النتائج التي خرج بها هذا البحث:

- خُصص المبحث الأول للدراسة النظرية أما المبحث الثاني فهو للدراسة التطبيقية، وقد ورد من صيغ الأمر صيغتان، صيغة (افْعَل)، وصيغة المضارع المقرون بلام الأمر .

- وقد كان أسلوب النهي واضحاً اعتمد فيه الكاتب صيغة النهي الوحيدة وهي (لا) الناهية مع الفعل المضارع المجزوم)، لكنّه كان يأتي مرتبطاً تارة مع ألف الأثنين وواو الجماعة ومع ياء المخاطب وتارةً يأتي معزولاً عن أي رباط.

- وأما الاستفهام فجاء بالهمزة وهل فحسب، بناء على مقتضيات الحوار، وفي جملة النداء وجدنا أن الكاتب أكثر منه في كتابهِ متجليًا باستعمال حرف

[٥٦] ينظر : نفحة من الإيمان :٧٧
[٥٧] نفحة من الإيمان:٨٢.

النداء (يا)؛لأنها الأشهر من بين حروف النداء، وورد أيضا حرف النداء محذوفاً وهذه ظاهرة شائعة في النداء وكثيرة عند الشعراء والكتاب لأغراض بلاغية وأسباب تقتضيها المقامات وسياق الأحوال، وقد ورد المنادى مضافاً، ومفردا والحمد لله أولا وآخرا.

المصادر والمراجع:

- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨١.
- أبو موسى محمد، **دلالات التراكيب دراسة بلاغية**، ط٤، مكتبة وهبة القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

الاسكندرية، الناشر دار المعرفة الجامعية,٢٠٠١م.

- الأفريقي، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**,ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣.
- البغدادي، عبدالرحمن بن اسحاق، ابو القاسم (ت٣٣٧هـ)، **اللامات**، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٣م.
- السباعي، يوسف، **نفحة من الإيمان**، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة,٢٠٠٠م.
- السعيد بيومي الورقي، **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة** ، كلية الآداب . جامعة
- السكاكي، **مفتاح العلوم** . تحقيق : عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠٠م
- السلطاني، ا محمد علي سلطاني، **المختار من علوم البلاغة والعروض**، ط١,عالم الكتب الحديث,بيروت,٢٠٠٤م.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل – بيروت، (د ت).

- الشافعي جلال الدين القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي,ط٣، الناشر: دار الجيل – بيروت(د.ت).
- الضناري، محمد أمين، **معين الطالب في علوم البلاغة**، دار الوفاق الأردنية، ط٢، عمان، ٢٠٠٦م.
- عبد الفتاح فيود، بسيوني، **علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني**، ط١، مؤسسة المختار القاهرة، ١٩٩٨م .
- عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، ط١، دار الآفاق العربية ،مدينة نصر- القاهرة,٢٠٠٦م.
- عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، دار إحياء التراث، ط٣، بيروت,٢٠٠٥.
- المبرّد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الاهرام، القاهرة، ١٩٩٤.
- الميداني، عبدالرحمن بن حسن (ت١٤٢٥هـ)، **البلاغة العربية**، ط ١، دار القلم الدمشقية، دمشق، ١٩٩٦م.
- **الهاشمي،** أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، (د- ت).
- يعقوب، لوسي، **يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية**، الدار المصرية اللبنانية مشاهير الكتاب العرب للناشئة والشباب,مصر,١٩٩٩م.

.... ❖❖❖❖❖ ....

مشكلات نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند وسبل التغلب عليها

بدر الدين بن محمد سليم *

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة واقع نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند من حيث نشأته وتطوره، ومنهجه الدراسي ومراحله، وإدارته، وتمويله، كما تهدف إلى معرفة المشكلات التي تواجه نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند، وتقديم بعض الحلول والمقترحات للتغلب عليها، ولأغراض الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، و من أهم ما توصلت إليه الدراسة من النتائج هي أن نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند له دور بارز في نشر الثقافة الإسلامية والحفاظ على الكيان الإسلامي، من خلال شبكات المدارس الإسلامية في أرجاء الهند وإعداد العلماء والمفكرين في مختلف العلوم والفنون، ولكن مع هذا كله يعاني من مشكلات عدة تقف عائقا أمام تطوير وتحقيق أهدافها المنشودة ومن أهمها: عدم وجود نظام ومنهج تعليمي موحد تتبعه سائر المدارس الإسلامية بالهند، وعدم قابلية المنهج الدراسي للوفاء بمتطلبات العصر واحتياجات سوق العمل، وقلة التواصل بين المدارس، وضعف تبادل الخبرات لتطوير عملية التعليمية، وغياب برنامج واضح لتدريب المعلمين وتطوير أدائهم وتأهيلهم المهني على مستوى البلاد أو على مستوى الولايات، ومن أهم التوصيات والمقترحات لتطوير النظام التعليمي الإسلامي: ضرورة توحيد المنهج الدراسي وتطويره وفقاً لمتطلبات العصر، وضرورة إنشاء المراكز والمعاهد التي تتولى تدريب مديري المدارس والمعلمين، وتبني مصادر التمويل المستقل للتعليم الإسلامي، ومن ثَمّ ضرورة بث الروح الإسلامية وغرس أهمية التعليم الإسلامي في نفوس المسلمين.

---

* باحث في مرحلة الدكتوراه، قسم الإدارة التربوية- كلية التربية-جامعة الملك سعود بالرياض، المملكة العربية السعودية.

الكلمات المفتاحية: نظام التعليم، التعليم الإسلامي، مشكلات التعليم.

المقدمة:

إنّ التعليم هو وسيلة واحدة لتوجيه الفرد والمجتمع إلى اتجاه سليم ومنهج مستقيم وإرشاد الأمة إلى هدفها الصحيح، وقد ركز الإسلام منذ بداياته على واقع التربية والتعليم، ودعا إلى طلب العلم ورغّب الناس فيه وأعلى شأنهم ، و أكد على الإلمام بتعاليم الشريعة حتى يسهل للمسلم العمل بدينه والقيام بما يجب عليه من الفرائض والسنن والآداب لذلك أقبل المسلمون على طلب العلم الشرعي وتحصيل المعرفة الربانية بشغف شديد.

فتاريخ المسلمين تاريخ مشرق حافل يظهر ما بذل في سبيل نشر العلم بين الناس وتوطئة السبيل لتحصيله، فحيثما ذهبوا قاموا بتعليم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وغيرها من العلوم الشرعية، وأقاموا حلقات الدروس وأنشأوا المدارس والمراكز الدينية.

وقد بدأ التعليم الإسلامي في جمهورية الهند مع دخول شعاع الإسلام فيها منذ القرن الأول من الهجرة، وبذل المسلمون الجهود الرامية لرفع رايات الإسلام في بلاد الهند وإنارتها بنوره الساطع فقاموا بإنشاء آلاف من المعاهد والمدارس الدينية في المدن والأرياف حيث انتشرت هذه المراكز العلمية وعمت في شتى أرجاء الهند، ووفد إليها العلماء والباحثون والمفكرون من بلاد العرب والفرس، وأنجبت هذه المدارس علماء ومفكرين ومصنفين في مختلف العلوم والفنون.

مشكلة الدراسة:

رغم كثرة المدارس والجامعات الإسلامية في الهند و دورها البارز في نشر العلوم الشرعية وجهودها الملموسة في محاولة التطوير للعملية التعليمية والتربوية سعياً لمواكبة المتطلبات والاتجاهات الحديثة نحو التربية والتعليم تواجه الصعوبات والمشكلات العديدة في سير العملية التعليمية والتربوية بكفاءة

وفاعلية ولا تفي مقتضيات العصر فيلاحظ تقصيراً كبيراً في أدائها التعليمي والتربوي الذي يؤدي إلى ضعف مستوى الأداء الوظيفي والتدريسي لدى المعلمين وبالتالي يسبب ضعف المستوى التحصيلي لدى الطلاب، كما أشار عدد من الدراسات التي تناولت ظاهرة الضعف وأسبابه لدى الطلاب إلى أن جانباً من أسباب هذه الظاهرة يعود إلى تدني أداء المديرين.

فأشارت دراسة محمد يوسف (١٤٣٣هـ) إلى أن بعض المديرين يوظفون معلمين غير مؤهلين، ولا يهتمون بالأمور التعليمية كما ينبغي الاهتمام بها.

وكان من نتائج دراسة عبد الأحد (١٤٢٩هـ)المتعلقة بمشكلة المعلم في مدارس الهند: قلة عدد المعلمين المتخصصين في تعليم المواد التربية الإسلامية، وعدم اهتمام المعلم بتطوير أدائه.

ومن خلال خبرة الباحث لمدة أكثر من عشر سنوات في المجال التربوي والتعليمي في المدارس الإسلامية بجمهورية الهند، لاحظ ضعف التحصيل الدراسي لدى الطلاب نتيجة لبعض الصعوبات والمشكلات التي قد تعيق تطوير التعليم والتربية الاسلامية في تلك المدارس.

لذا دعت الحاجة إلى دراسة الوضع الراهن لنظام التعليم في المدارس الإسلامية بجمهورية الهند وذلك لمعرفة نقاط القوة والضعف والمشكلات التي تواجه النظام التعليمي في المدارس الاسلامية بجمهورية الهند.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على نشأة التعليم الإسلامي وتطوره عبر العصور المختلفة بجمهورية الهند.

٢- التعرف على واقع نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند.

٣- التعرف على أهم مشكلات التعليم الإسلامي بجمهورية الهند.

٤- تقديم بعض الحلول والمقترحات للتغلب على مشكلات التعليم الإسلامي بجمهورية الهند.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

٥- كيف نشأ التعليم الإسلامي وتطور عبر العصور المختلفة بجمهورية الهند؟.

٦- ما واقع نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند؟

٧- ما أهم مشكلات التعليم الإسلامي بجمهورية الهند؟

٨- ما الحلول والمقترحات للتغلب على مشكلات التعليم الإسلامي بجمهورية الهند؟.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١. إبراز أهمية التعليم الإسلامي في جمهورية الهند ونشأته وتطوره عبر العصور المختلفة.
٢. قد تسهم هذه الدراسة في الكشف عن مواطن القوة والضعف في نظام التعليم الإسلامي.
٣. قد تقدم هذه الدراسة بعض الحلول والمقترحات للتغلب على المشكلات التعليمية والتربوية بجمهورية الهند.
٤. يمكن أن تساعد هذه الدراسة مسؤولي التربية والتعليم لتطوير نظام التعليم بجمهورية الهند.
٥. قد تسهم هذه الدراسة في إثراء المعلومات عن نظام التعليم في المدارس الإسلامية بجمهورية الهند.

مصطلحات الدراسة:

يمكن توضيح المعنى المقصود لأبرز مصطلحات الدراسة من خلال تعريفها الاصطلاحي، وهي كالتالي:

نظام التعليم: هو: إطار يضمّ جميع العناصر اللازمة للعمليّة التعليمية ومكوناتها- من أهداف وغايات وأنظمة، وكذلك المعلّمين والطلّاب وجميع العاملين في قطاع التعليم، ويضمّ هذا النظام الإمكانيات المادية والمنشآت التعليمية من مدارس وجامعات ومناهج، وجميع هذه المكوّنات تَرتبط ببعضها بعلاقات تجعلها تتعاون فيما بينها لتحقيق الأهداف الموضوعة من قبل الدّولة مُسبقاً (عزازي،٢٠١٢).

كما يعرف الناصر(٢٠١٢)النظام التعليمي بأنه عبارة عن: "مجموعة من العناصر المترابطة والمتكاملة، والمتفاعلة والتي تعمل معاً لتحقيق هدف أو أهداف مشتركة لنجاح العملية التعليمية".

ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه إطار يضم جميع العناصر التعليمية ومكوناتها من أهداف وغايات وأنظمة، وكذلك المعلّمين والطلّاب وجميع العاملين في قطاع التعليم التي ترتبط ببعضها بعلاقات تجعلها تتعاون فيما بينها لتحقيق الأهداف الموضوعة من قبل المنظمة التعليمية للمسلمين بجمهورية الهند.

التعليم الإسلامي: يطلق التعليم الإسلامي على تدريس العلوم الشرعية وغيرها من العلوم النافعة للإنسان في دينه ودنياه التي لا تتعارض في موضوعاتها مع أحكام الشريعة الإسلامية وخاصة عندما يتم في التعليم في المدارس الإسلامية.(عيد،٢٠١٣).

ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه: هو تدريس العلوم الشرعية وغيرها من العلوم النافعة التي لاتتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية والتي يتم تعليمها في المدارس الإسلامية بجمهورية الهند.

واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لكونه مناسباً لطبيعة الدراسة فإنه يعرف بأنه: أسلوب في البحث يتم من خلالها جمع بيانات ومعلومات عن ظاهرة او حادثة ما أو شيء ما أو واقع ما يقصد العرف على الظاهرة التي تدرسها وتحديد الوضع

الراهن لها والتعرف إلى جوانب القوة والضعف فيها من أجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع أو مدى الحاجة لإحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه.(المديهيم:٧٧،٢٠٢٢).

وقد قام الباحث بوصف "نظام التعليم الإسلامي في جمهورية الهند" من خلال العناصر الآتية: نبذة تعريفية عن جمهورية الهند، نظام التعليم الإسلامي في جمهورية الهند نشأته وتطوره، ومناهجه الدراسية، المشكلات التي تواجه التعليم الإسلامي بجمهورية الهند، والحلول والمقترحات للتغلب عليها، وهي على النحو التالي:

نشأة التعليم الإسلامي في جمهورية الهند وتطوره:

إن نشأة التعليم الإسلامي في جمهورية الهند تعود إلى كتاتيب تدريس القرآن الكريم وهي عبارة عن خلاوي لمبادئ الإسلام، وإلى حلقات المساجد ومجالس طلبة العلم مع مشايخهم لدراسة العلوم الشرعية منذ دخول الإسلام في القرن الأول من الهجرة.

فلما استهل المسلمون فتوحاتهم القوية في الهند منذ عهد السلطان محمود الغزنوي (القرن الرابع الهجري) ودعوا الهنود إلى الإسلام واستقر الاسلام في شبه القارة الهندية بدأ فيها الاهتمام بالتعليم الديني الرسمي، ففي بداية الأمر كانت الكتاتيب والمعاهد تقام في المساجد جنباً إلى جنبٍ في الغالب مما لقي قبولاً عاماً.

وقد اهتم الغزنويون بالتعليم والدعوة في جميع مناطق الهند واستقدموا العلماء والدعاة والمصلحين ليستقروا في الهند وينشروا العلم والثقافة الدينية بين سكانها وقد تم إنشاء العديد من المدارس والمراكز الدينية في بعض مناطق الهند.

يذكر أن أول مدرسة في الهند تم إنشاؤها في الملتان عام(٥٧٨هـ/١١٨٢م) أقامها الوالي ناصر قباجة للوالي الصوفي قطب الدين كاشاني، وكان يدرس بها العلامة الصوفي بهاء الدين زكريا الملتاني، بينما يرى البعض الآخر أن أول

مدرسة هي المدرسة البهقية في بشاور وقد أنشأها حكام عزنة عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م).(الندوي،٢٠١١).

و استقر الاهتمام بإنشاء المدارس في عصور السلاطين المسلمين الذين ورثوا الحكم من الغزنويين، والغوريين، والخلجيين، وآل تغلق ، وشير شاه سوري، والمغول وغيرها وكانت تعد هذه المدارس العلماء والدعاة والباحثين وتخرج موظفين وحكاماً ورجال المناصب العليا في الدولة وتسد احتياجات الدولة والشعب وعامة الناس.(الندوي:١٩،١٤٢٧).

فقد شهدت «دهلي» في عهد السلطان «محمد تغلق»(٧٢٥-٧٥٢هـ = ١٣٢٤-١٣٥١م) عددا كبيرا من المدارسَ يبلغ عددُها ألف مدرسة، وأما سلاطين «جون فور» شرقي البلاد فقد أنشأوا مئات من المدارس واستقدموا أهل العلم والفضل من البلدان النائية وأقطعوا لهم قطائع قيمة، واستمر التفوق العلمي والتعليمي الذي كان يتمتع به «جون فور» حتى نهاية عهد السلاطين اللوديين، وما أكثر المساجد والمدارس التي أنشأها السلطان سكندر اللودي في عهده (٨٩٤-٩٢٣هـ = ١٤٨٨-١٥١٧م) الذي أخذ فيه الهندوس تعلم اللغة الفارسية، وإن الملك همايون(٩١٣- ت٩٦٣هـ١٥٠٥/ ١٥٥٥م) والملك أكبرشاه (٩٦٣- ١٠١٤هـ =١٥٥٥- ١٦٠٥م) شهد عهدهما زياداتٍ ملموسة وازدهاراً كبيراً في عدد المدارس.(المباركفوري،٢٠١٢).

فأنشئت آلاف من المدارس الإسلامية في الهند في عهد الحكومات الإسلامية المختلفة وجاء في هذه المدة الطويلة العلماء الكبار والمحدثون العظام والأدباء البارعون إلى الهند، واستوطنوا مختلف أصقاعها وأرجائها وتركوا آثارا واضحة في مجالات شتى، وأولوا المسلمين اهتمامهم بنشر العلوم الدينية والتراث الإسلامي في هذه البلاد.

هذه كانت بعض ملامح التعليم الإسلامي في العهد الإسلامي بالهند والجهود التي بذلت في مجال التعليم الإسلامي والتربية الإسلامية على مر العصور والتي اشترك فيها كل من الملوك والسلاطين، و الأمراء والعلماء.

وحينما تعرض المسلمون بتيار الاستعمار البريطاني والحكومة المسيطرة التي خططت للقضاء على أمجاد الإسلام في الهند ومحو الثقافة الإسلامية فيها وإبعاد الجيل الناشئ المسلم عن الدين الإسلامي وذلك عن طريق تغيير نظام التعليم الذي أقامه المسلمون في عصورهم الذهبية حيث تعهدت الحكومة البريطانية بإزالة آثار الحكومة الإسلامية الشامخة، هنالك ازداد اهتمام المسلمين بالتعليم الإسلامي مقاومةً لمخططاتها الماكرة وأفكارها الهدامة، وحفاظاً على الكيان الإسلامي، فقاموا بفتح المعاهد والمدارس الأهلية المستقلة الخاصة غير التابعة للحكومة في المدن والأرياف و إنشاء المدارس، والجامعات في جميع أنحاء البلاد، كما يقول الأزهري(١٤٣٣):"وبفضل هذه الجهود صمد المسلمون في الهند أمام الاستعمار الإنجليزي الغاشم، وأمام المحاولات الأخرى التي حاولت النيل من الإسلام وأهله ونجحوا في الحفاظ على دينهم ولغته العربية وعلى ثقافتهم وتفكيرهم."

وبعد استقلال الهند من السيطرة البريطانية في عام ١٩٤٧م تحولت الهند إلى دولة علمانية وديموقراطية وقرر واضعوا الدستور الهندي أن الحكومة لا تتعرض لدين المواطنين وعقيدتهم نفياً ولا إثباتاَ، ولا تعلمهم ذلك في مدارسها وجامعاتها (الحكومية) إلا كمادة المعارف العامة، لأن الهند ذات ألوان وأشكال مختلفة من الأديان والنحل، فليكن الحبل في هذا الشأن متروكا على غارب المواطنين، هناك برز دور المدارس ومسؤولية المسلمين، فإنه لا توجد وسيلة إلى تعلم الدين والعقيدة والكتاب والسنة والاسترشاد في الشؤون والقضايا الدينية والاستعانة فيما يتعلق بالحفاظ على حقوقهم وصيانة شخصيتهم الإسلامية من

الـذوبان والانـدماج في معتقـدات الأغلبيـة الهندوسـية، إلا هـذه المـدارس الدينيـة والمؤسسات التعليمية التي نشروا شبكتها في طول البلاد وعرضها.

ومن هنا أكثروا من إنشاء المدارس على نطاق أوسع مقارنة بما قبلها حتى بلغت عشرات آلاف _فيما بين الصغيرة والكبيرة _ولا تزال هذه السلسلة المباركة لإنشاء المدارس والمؤسسات الدينية قائمة ومستمرة، والمعنيون بالقضايا الإسلامية أفاضل علماء الهند دائمو الدارسين لأوضاع المسلمين الدينية والاجتماعية في كل منطقة الهند، وقد قال بهذا الصدد الأميني(٢٠٠٠م): أصبحت الهند الآن أكبر أقلية مسلمة في العالم في نشر شبكات المدارس الدينية والجامعات الإسلامية، فلا تخلو قرية مسلمة من المدرسة الإسلامية فضلا عن المدن والأمصار(سليم،٢٠١٦).

وقد بلغ عدد المدارس الإسلامية المعترف بها في عام ٢٠١٠ حسب إحصائيات التقرير المقـدم مـن لجنـة ساشـر أكثـر مـن مئـة ألـف مدرسـة منتشـرة في أرجـاء الهند.(جفري،٢٠١٢).

وقـد خرجـت هـذه المـدارس، و الجامعـات عـددا هـائلا مـن العلمـاء والـدعاة والمؤلفين في جميع مجالات العلوم والفنون جيلاً بعد جيل حتى برعوا في ميادين التربية والتعليم والعلوم الشرعية، وطوروا مناهجها وعبروا عن الفكر الإسلامي في الهند بمؤلفات قيمة في مختلف علوم الدين كالعقيدة والتفسير، والحديث، والفقه وكتبوا مؤلفات قيمة في الأدب العربي لا يسع المجال هنا لبيانها، وهكذا ازدهـر التعلـيم الإسـلامي وتطـور في الهنـد ولايـزال مسـتمرا في سـير التطـور والازدهار.

نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند ومناهجه الدراسية:

حينما قام الباحث بدراسة نظام التعليم الإسلامي في الهند وتطوراته عبر العصور المختلفـة مـن خـلال البحـوث والمقـالات والدراسـات المتعلقـة بموضـوع التعلـيم

الإسلامي في الهند، ودراسة الوضع الراهن للمدارس وجد أن التعليم الإسلامي في الزمن القديم كان يقدم من خلال النظامين:

النظام الأول: نظام مدرسي، حيث كان يتم التدريس في الأماكن المخصصة للتعليم من قبل أهالي القرى، أو من الجمعيات والهيئات في المساجد والدور والمباني المدرسية.

النظام الثاني: نظام شخصي: حيث يتوافد الدارسون إلى أحد المشايخ ويتلقون عنده في بيته أو في مسجده العلوم والمعارف في تخصصات متعددة حسب رغباتهم وميولهم.

والنظام التعليمي الإسلامي ومنهجه الدراسي في جمهورية الهند مر بأدوار ومراحل مختلفة من حيث التطور والتغير الذي طرأ على المناهج بتغيرات الأوضاع السياسية والاجتماعية عبر العصور. ويمكن إلقاء الضوء على نظام التعليم الإسلامي في الهند من خلال ما يلي:

المراحل الدراسية:

في بداية الأمر لم يكن هناك نظام معين للتعليم في تحديد الفئات العمرية ومراحلها الدراسية فكانت تفتتح الدراسة بتعليم القرآن الكريم للفرد المسلم مهما كان عمره، صغيراً كان أو كبيراً من دون تحديد العمر ثم مبادئ الدين الإسلامي وأصوله، فكان التعليم على مبدأ الفروق الفردية حيث يبدأ كل شخص في التعلم حسب مستواه العلمي، وبهذا الصدد يقول الندوي(٢٠١١): كانت بداية نظام التعليم للمسلمين في الهند هو إتقان القرآن والكتابة والحساب، وذلك في المرحلة الأولى ثم يلتحق التلميذ بشيخ يعلمه المنطق والفلسفة والنحو والصرف والفنون، هذا بجانب أصول الدين وعقب ذلك كان الطالب يلتحق بإحدى المدارس الكبرى ليدرس أحد العلوم تفصيلاً كما أشار إلى أن هناك كانت مراكز ومؤسسات لتدريس العلوم والفنون المختلفة مع انتشار المدارس الخاصة والعامة، وكانت هذه المراكز والمؤسسات العلمية تدرس بها التعليم العالي

والدراسات العليا، ولم يكن هناك نظام دقيق في تقسيم المراحل الدراسية كما لم يكن هناك تحديد لمدة الحصول على العلوم المختلفة، ومن هنا لم يكن هناك نظام معين في الدرس والتدريس حيث كانت تتم اختيارات لبعض الكتب على حسب المواد.

وتشير بعض الدراسات إلى أن منذ بداية التعليم في العهد الإسلامي إلى القرن العاشر للهجرة كانت المراحل التعليمية بدون تحديد المراحل العمرية للتعليم وهي: مرحلة تعليم القرآن ثم مرحلة تعلم اللغة الفارسية، ثم العربية، ثم النحو والصرف، ثم الحديث، ثم الفقه وأصوله ثم الفنون والعلوم الأخرى. (الندوي، ٢٠٠٦).

هكذا استمر التعليم الإسلامي حسب الأولويات ومقتضيات العصر عبر العصور الإسلامية حتى استقلال الهند من السيطرة البريطانية، و لم يكن هناك تحديد دقيق للمراحل الدراسية، ومع مرور النظام التعليمي الإسلامي بتغيرات وتطورات حديثة حسب مقتضيات العصر تم تحديد المراحل الدراسية ومسمياتها منذ عهد غير بعيد وهي كالتالي:

الروضة (ما قبل الابتدائية) مدة دراستها سنتان – **الابتدائية**، ومدة دراستها خمس سنوات- **المتوسطة**، ومدة دراستها: ثلاث سنوات – **الثانوية** ومدة دراستها: سنتان **العالمية**، ومدة دراستها سنتان،- **الفضيلة/ الكلية**، ومدة دراستها: سنتان- **الإفتاء** (في بعض المدارس الكبرى/ الجامعات ، ومدتها دراستها: سنة أو سنتان.

وهذه المراحل الدراسية تبنتها معظم المدارس الإسلامية في جمهورية الهند، والشهادات التي تمنحها تلك المدارس هي: شهادة الثانوية- شهادة العالمية- شهادة الفضيلة- كما تمنح بعض المدراس الكبرى(الجامعات) إجازة الإفتاء والقضاء، وهناك بعض المجالس الحكومية للمدراس الإسلامية في بعض الولايات تقدم الاختبارات التي تعترف بها الحكومة الهندية مثل ولاية بهار، وبنغال ومادهيا

براديش، ولاية أترابراديش فإنها توجد هناك مجلس التعليم المدرسي حيث يقوم المجلس بإجراء الاختبارات للطلاب الملتحقين بالمدارس التابعة للمجلس ويمنح شهادات: الثانوية (المولوي)/ منشي/ الثانوية العليا(عالم)/ كامل/ فاضل.

ومن هنا يمكن تقسيم المدارس الإسلامية من حيث المستوى التعليمي والمراحل التعليمية على أربعة أقسام:

١) **الكتاتيب والمدارس الابتدائية**: تهتم بتعليم الأطفال الصغار، وتدريسهم القرآن الكريم، ومواد المرحلة الابتدائية، وتلقن الأطفال الصغار المبادئ الأساسية لدين الإسلام الحنيف .ويدرس فيها مواد مرحلة ما قبل المدرسة والابتدائية (الروضة- الابتدائية).

٢) **مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتجويده**: هي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده فقط.

٣) **المدارس التي يتم فيها التدريس من المرحلة المتوسطة إلى المرحلة الثانوية.**

٤) **المدارس الكبيرة التي تسمى الجامعة**، ويتم فيها تدريس جميع المراحل الدراسية أي الابتدائية و المتوسطة والثانوية، و الجامعية، كما يتم فيها تدريس التخصصات الأخرى مثل التفسير والحديث والإفتاء بعد التخرج في مرحلة الفضيلة وهذه المدارس قليلة جدا مقارنة بالمدارس الأخرى. (الجامعي ،٢٠٠٢م).

المناهج الدراسية:

مرت المناهج الدراسية في الهند إلى أربعة أدوار كما أشار إليها الأعظمي الندوي(٢٠١١)،و الندوي(٢٠٠٦):

الدور الأول:

يبدأ الدور الأول من القرن السابع الهجري وينتهي في القرن العاشر وكان المنهج التعليمي في هذا الدور يقتصر على الاهتمام بتعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتعليم اللغة الفارسية، ثم الصرف والنحو، ثم التفسير والحديث والفقه ، وعلوم الأدب. وكان نظام المنهج الدراسي موزعاً على المراحل التعليمية التالية:

المرحلة الأولى: مرحلة تدريس القرآن الكريم:

يقول الندوي (٢٠٠٦) اختار المسلمون بعد استقرارهم في الهند طريقة مختلفة للتعليم في ضوء مقتضيات البيئة الهندية، فكان اهتمامهم الأول بتدريس القرآن الكريم، فكان القرآن مادة لازمة تفتتح بها الدراسة وكان معلمون أخصائيون برعوا في تدريس القرآن الكريم تلاوةً وتجويداً وحفظًا.

المرحلة الثانية: تدريس اللغة الفارسية:

وبعد تدريس القرآن الكريم كانت اللغة الفارسية تدرس لأنها كانت اللغة الرسمية ولغة العلم في البلاد، ولأنها كانت لغة الأم للحكام القادمين من شمال غربي الهند، فكانت تنتهي هذه المرحلة بتعليم اللغة الفارسية وشيء من مبادئ اللغة العربية لفهم بعض الكتب العلمية.

المرحلة الثالثة: مرحلة تدريس اللغة العربية:

كانت هذه المرحلة مرحلة تعلم اللغة العربية ودراسة العلوم الإسلامية العقلية والنقلية، وكانت هذه المرحلة أيضا تتوزع إلى مرحلتين : المتوسطة والعالية، والمتوسطة كانت تشتمل على دراسة مبادئ اللغة ومبادئ العلوم من الصرف والنحو، والفقه، والحديث، وعلوم أخرى.

وهكذا توزع مراحل التعليم في الدور الأول على المواضيع الآتية: القرآن الكريم تلاوة وحفظا ثم الفارسية، ثم الصرف والنحو، ثم التفسير والحديث والفقه ، وعلوم الأدب.

الدور الثاني: كان الدور الأول للتعليم في الهند خاليا كليا عن المنطق والفلسفة والكلام، وفي أواخر القرن التاسع حدث انقلاب في عهد سكندر اللودي الذي جلس

على سرير الملك عام (٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م) فكانت دراسة العلوم والفنون الأخرى لازمة في هذا الدور وهي البلاغة والفقه وأصوله، والمنطق والكلام والتصوف، وقد كان علماء ذلك العصر يشتغلون بتدريس الكلام والمنطق والفلسفة والطب، يتوجه إليهم من أراد أن يكمل تعليمه أو يختار ذلك الموضوع الخاص له. وكان هذ العهد عهد ازدهار المنطق والكلام.

الدور الثالث: القرن الحادي عشر للهجرة:

كانت بضاعة العلماء من الحديث ضئيلة إلى القرن العاشر للهجرة ولم يكن علم الحديث معروفة في المدارس فوفق بعض الناس للسفر إلى الحجاز ووجدوا هناك محدثين فأخذوا عنهم الحديث وجاؤوا به إلى الهند فنشأت بعض المراكز لتدريس الحديث الشريف في مختلف أنحاء الهند إلا أن أغلب بلاد الهند كانت غير عامرة بهذا العلم الشريف، فجاء الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي (المتوفي١٠٦٧هـ) وتصدى للدرس والإفادة ثم نال هذا الشرف الشيخ أحمد بن عبدالرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي(المتوفي١١٧٦) و أعد الشيخ الدهلوي حسب ذوقه وفكره منهجاً جديداً للتعليم. وقد ركز فيه واهتم بتدريس علوم القران والحديث اهتماماً خاصاُ.

الدور الرابع: القرن الثاني عشر للهجرة:

يبدأ هذا الدور من القرن الثاني عشر للهجرة وقد قام الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوي (المتوفى١١٦١هـ) نظاما فريدا للتعليم ويتبعه كثير من المدارس الإسلامية التقليدية في الهند ويعرف بالمنهج النظامي (درس نظامي).

وبهذا الصدد يقول (الحسني الندوي،٢٠٠٦): أنه كان خلال العهد الإسلامي في أدواره المتقدمة تابعا إلى حد كبير لما كان عليه في بلاد إسلامية مجاورة مثل خراسان و " ما وراء النهر" إلى بلاد الهند وذلك لسهولة الاتصال والاستفادة منه ثم لورود علماء تلك البلاد إلى بلاد الهند بفترات مختلفة ولكون القادة الحكام في الهند أيضا منتمين في أصولهم إلى تلك البلاد فكان لهم تأثير بحكم غلبتهم

وإشرافهم فكان التابع على المنهج التعليمي في الهند هو الطابع الذي كان سائدا في تلك البلاد المجاورة للهند وكانت مناهج تلك البلاد التعليمية ذات طابع خاص وهو الاعتناء الزائد بالعلوم العقلية فجاء أثره في مناهج الهند التعليمية أيضا، واستمر هذا الطراز للمنهج في الهند في أدوارها الإسلامية، ولم يتطور إلا في الجانب العقلي والنظري، وكانت اليد العليا في ذلك للملا نظام الدين الفرنجي محلي، وبه أصبح هذا المنهج يسمى بالدرس النظامي، وأخيرا جاء في علماء المسلمين العظام من رأوا حاجة إلى تغيير فيه لشعورهم بنقص في الاهتمام اللائق بعلمي القرآن والسنة وهما أصلا العلوم الإسلامية بمقتضى ما تتطلبه الحاجة إلى التوسع في أصول الدين، فاجتهدوا واقترحوا إضافة ما يجب إضافته بمقتضى مصلحة الروح الإسلامية، لقد رأوا نقصا من جهة علوم الكتاب والسنة فأدخلوا كتب الصحاح في الحديث بصورة واسعة، وقام بهذا العمل بصورة خاصة الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي الذي زار بلاد الحرمين الشريفين واستفاد من علمائها وتعمق في العلوم الإسلامية والفكرية فاقترح في منهج التعليم الإسلامي السائد في الهند توسيعا في دراسة الحديث الشريف، منذ ذلك الوقت أصبح المنهج مشتملا على جهتين وهما جهة علوم الكتاب والسنة والحكم التي يحصل العلم بها ، وجهة العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وبعض العلوم الآلية من قواعد اللغة والبلاغة وسارت معظم المدارس الإسلامية على هذ الخط، ودام عنوان هذا المنهج يسمى بالدرس النظامي.

وفي الثمانينات من القرن العشرين بدأت الأوضاع تتغير في جميع المجال، وأخذت العلوم الحديثة والتكنولوجية تتخذ مكانا مرموقا ما بين العلوم الأخرى، واحتاج العلماء إلى إجراء التعديلات في المناهج الدراسية، والإصلاحات الأساسية وإقامة مدرسة دينية أكثر اعتناء بالعلوم العصرية الحديثة المنسجمة مع متطلبات العصر، وحدثت فجوة كبيرة ما بين العلوم العصرية والعلوم الدينية، وقام أبناء الأمة الإسلامية الهندية لمواجهة هذه التغيرات وسد

الفجوة الواسعة التي حالت بين العلوم العصرية والعلوم الدينية فحاولوا ملء الفراغ الهائل بين النظامين التعليمين وبدأت المدارس الهندية الدينية تفتح صفحة جديدة في تاريخها، من خلال إدخال جوانب تعليمية حديثة وتكنولوجيا في المناهج التي تقوم بتدريسها، بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم والدراسات الاجتماعية، على تغيير الصورة النمطية لتلك المدارس. وإن عملية التحديث للمدارس الدينية يفيد المجتمع بشكل كبير، وخريج المدارس الدينية التي جرى تطوير وتحديث مناهج التعليم الخاصة بها الالتحاق بكليات الطب والهندسة وإدارة الأعمال أو أي حقل من حقول التعليم الجامعي الأخرى. وبدأت عملية التغيير والتحديث تدريجياً تعم غالبية المدارس الإسلامية التقليدية بالهند في الوقت الحالي .وتوجد في الهند كثير من المدارس الإسلامية الذين يتبعون نظام تعليم مزدوج، وتعطي للطلاب الفرصة القيمة لتلقي العلوم الدينية والعلوم العصرية، وتدرس في هذه المدارس والجامعات الدينية المواد التي يجري تدريسها في المدارس والكليات والجامعات الهندية الرسمية(الندوي،٢٠١٩).

تمويل التعليم الإسلامي بجمهورية الهند:

لقد كانت المدارس الإسلامية في العهد الإسلامي تمول من الأوقاف الحكومية، ومن الأغنياء والأثرياء من الحكام وغيرهم لكن بعد زوال الحكم الإسلامي وسيطرة الحكم البريطاني تضيقت مصادر التمويل وأغلقت أبواب الأوقاف ولم يبق إلا التبرعات والصدقات الفردية وكذلك كانت الحال بعد استقلال الهند إلا أنه في الآونة الأخيرة بدأت الحكومات الهندية المتعاقبة تدعم بعض المدارس والجامعات وفق الضوابط والشروط التي تفرضها، ومن هنا يمكن تقسيم مدارس المسلمين وجامعاتهم من حيث مصادر التمويل على ثلاثة أنواع:

النوع الأول : المدارس الاسلامية الأهلية غير الحكومية:

وهي المدارس الإسلامية الأهلية غير الحكومية في الهند التي أنشأها المسلمون والجمعيات الإسلامية والتي تهتم بتدريس القرآن الكريم والسنة النبوية، والفقه، والأصول والتاريخ والمنطق والفلسفة وغيرها من العلوم الشرعية، واللغة العربية والإنجليزية وغيرها من اللغات مع تدريس بعض المواد الأخرى كالعلوم والرياضيات والجغرافيا، وهذه المدارس أهلية محضة غير الحكومية لا تعترف الجامعات الحكومية بشهاداتها ولا توظف متخرجيها رسمياً وهي تمول من قبل الشعب المسلم بالتبرعات والأوقاف، والصدقات وغيرها، ولا تحصل على أي دعم مالي من الحكومة وهي مستقلة بذاتها في أمورها المالية والإدارية والنظام التعليمي والمنهج الدراسي، وهي تنتشر في أقطار الهند الواسعة وعددها كبير جدا بحيث يصعب إحصاؤها.

النوع الثاني :المدارس الاسلامية الأهلية شبه الحكومية:

يقصد بها تلك المدارس الإسلامية الأهلية شبه الحكومية في الهند التي أنشأها المسلمون والجمعيات الإسلامية والتي تهتم بتدريس العلوم الشرعية واللغة العربية والإنجليزية وغيرها من اللغات، وبعض المواد الأخرى كالعلوم والرياضيات والجغرافيا، لا تعترف الجامعات الرسمية بشهاداتها ولا توظف متخرجيها رسمياً، وهي تمول من قبل الشعب المسلم بالتبرعات والأوقاف، والصدقات وغيرها، وهي مثل مدارس النوع الأول إلا أنها تحظى بدعم مالي بسيط من الحكومة يتمثل في دفع رواتب لبعض المدرسين والموظفين، ومكافآت سنوية الطلاب، وذلك وفقاً للشروط والضوابط الخاصة التي تفرضها الحكومة، وتكون تحت إشراف هيئة المدارس الحكومية وتدرس المواد المقررة من الهيئة ويجري الاختبار عن طريق الهيئة الحكومية للمدارس والتي هي المسؤولة عن إجراء الاختبارات النهائية. (محمد يوسف:١٤٣٢)

النوع الثالث: المدارس والجامعات الحكومية:

يقصد بها تلك المدارس والجامعات والكليات الحكومية التي أنشأها المسلمون وهي تجري وفق النظام الذي تعترف به الحكومة وتحصل منها على مساعدات تكفي لسد نفقاتها وهذه الكليات والجامعات تهتم بالعلوم العصرية دون الإسلامية اللهم إلا بعض الجامعات التي فيها قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية (الأزهري١٤٣٣ه، ١٢).

إدارة المدارس الإسلامية والإشراف عليها:

إن المؤسسات التعليمية والمدارس الإسلامية بجمهورية الهند لا توجد لها إدارة مركزية التي تقوم بإدارة جميع المدارس بل كل مدرسة مستقلة في حد ذاتها من جميع النواحي الإدارية والتمويلية والتعليمية ولا تنتمي لإحدى إدارات إقليمية ولا محلية فكل منظمة تعليمية أو مدرسة إسلامية لها كيانها الخاصة وإدارتها المستقلة غير تابعة لإدارة أخرى، و ليس لديها برنامج واضح للتنسيق في العملية التعليمية الإسلامية غالباً، إلا أن بعض المدارس تستند في المناهج الدراسية إلى مدرسة أو جامعة كبيرة مثل دار العلوم بديوبند، فبعض المدارس الإسلامية تنتسب إليها وتتبع منهاجها في التعليم، وهذه المدارس والجامعات لها صلة تعليمية معها، وقد أنشأت دار العلوم لهذه المدارس هيئة باسم "رابطة المدارس الإسلامية التابعة لدار العلوم ديوبند"، فتهتم هذه الهيئة بشؤونها التعليمية والإدارية، بالرغم من أن العمل يحتاج إلى كثير من الاهتمام والتطوير، وندوة العلماء بلكناؤ، والجامعة السلفية ببنارس التي تقوم بإلحاق المدارس الإسلامية حيث تتبع المدارس الملحقة بمناهجها التعليمية ويتم قبول طلابها الراغبين في إكمال دراساتهم العليا بالجامعة، كما توجد بعض المجالس التعليمية الحكومية في بعض الولايات مثل: ولاية أترابراديش، وبهار، مادهيا براديش، شاتيش غراه، بنغال، وآسام التي تشرف على المدارس التابعة لها وتفرض عليها سياستها التعليمية وإلا هناك استقلالية تامة للمسلمين في إنشاء المدارس والجامعات وإدارتها من حيث رسم السياسات التعليمية واللوائح والأنظمة وتصميم المناهج

والبرامج التعليمية والخطط التنفيذية داخل المدارس لتسيير العملية التعليمية والتربوية لتحقيق أهدافها المنشودة بكفاءة وفاعلية، تحت مظلة السياسة التعليمية الحكومية ونظامها التعليمي الحكومي بشكل عام.

المشكلات التي يواجها نظام التعليم الإسلامي بجمهورية الهند:

إن نظام التعليمي الإسلامي بجمهورية الهند يعاني من مشكلات عديدة كما أشار إليها كل من عبد الأحد(١٤٢٩) ومحمد يوسف(١٤٣٣) ونوشاد عالم(٢٠١٣) و رخا(٢٠١٦) , شاه (٢٠٢٠) من أهمها مايلي:

المشكلات المتعلقة بالسياسة التعلمية:

- عدم وجود سياسة تعليمية واضحة هادفة للمدارس الإسلامية بجمهورية الهند.
- عدم وجود وثيقة موحدة عن سياسة التعليم الإسلامي التي تشمل الإطار العام لنظم التعليم الإسلامي بجمهورية الهند، من حيث تحديد الرؤية، والرسالة، والأهداف، والبرامج التعليمية، ومراحلها الدراسية ومناهجها، والإدارة التعليمية، وتمويل التعليم، والمباني المدرسية، وبرنامج تأهيل المعلمين وتعيينهم للتدريس، ونظام قبول الطلاب وتقويمهم، وما إلى ذلك من البنود المتعلقة بعملية التعليمية والتربوية الإسلامية.

المشكلات المتعلقة بالإدارة التعليمية:

- عدم وجود قادة المدارس والمديرين المتخصصين في المجال التربوي والتعليمي.
- ضعف الوازع الديني لدى معظم قادة المدارس ومديريها.
- جهالة معظم مسؤولي المدارس الإسلامية.
- عدم الحوكمة الإدارية في المدارس الإسلامية.
- اتباع النمط الاستبدادي في إدارة المدارس الإسلامية.
- ضعف نظام التحفيز والتشجيع على الإبداع والابتكار والأداء الجيد في معظم المدارس.

المشكلات المتعلقة بالمنهج الدراسي:

- عدم تطوير المنهج الدراسي مراعيا لمتطلبات العصر واحتياجات سوق العمل.
- اتباع معظم المدارس بالمنهج الدراسي النظامي التقليدي.
- عدم وجود منهج إسلامي موحد والمقررات الدراسية الإسلامية الموحدة.
- عدم إدخال العلوم الحديثة في المناهج الدراسية في معظم المدارس الإسلامية.

المشكلات المتعلقة بطرائق التدريس واستراتيجياتها:

- اقتصار معظم المدارس الإسلامية على طرائق التدريس التقليدية.
- عدم الالتزام باللغات المحلية الفصحى أثناء التدريس.
- قلة استخدام الوسائل التعليمية الحديثة في معظم المدارس الإسلامية.
- فقدان الوعي التقني في مجال التدريس.

المشكلات المتعلقة بتمويل التعليم الإسلامي:

- عدم تبني الموارد المالية الدائمة واستثمارها لصالح التعليم مثل شراء الأراضي وبيعها ، وبناء الأبراج والفنادق ، والمحلات.
- عدم استثمار الأراضي الموقوفة للمدارس الإسلامية.
- ضعف المشاركة المجتمعية لتمويل التعليم الإسلامي.
- ضعف رغبة أولياء الأمور في أداء الرسوم الدراسية في المدارس الإسلامية.
- قلة تمويل الحكومة للمدارس الإسلامية.

المشكلات المتعلقة بالمعلمين:

- عدم وجود برنامج واضح لتدريب المعلمين وتطوير أدائهم وتأهيلهم المهني على مستوى البلاد أو على مستوى الولايات.
- عدم وجود معايير أو لائحة معينة لتعيين واختيار المعلمين في معظم المدارس ، بل يقبل كل مدرسة أو جامعة المعلمين والأساتذة بدون معايير دقيقة ويكون هذا الاختيار غالباً على أساس العلاقات القديمة والروابط الموثّقة التي تكون بين مدير أو إدارة تلك المدرسة والمعلم ، ما أدى إلى ضعف كبير ووهن شديد في النظام التعليمي الإسلامي.
- عدم إلمام المعلمين بتطورات حديثة في طرق, وأساليب التدريس.
- قلة المعلمين المتخصصين في المجال.

- كثرة الأعباء التدريسية للمعلمين.
- عدم الرضا الوظيفي لدى معظم المعلمين في المدارس الإسلامية.
- قلة الرغبة عند معظم المعلمين في تطوير أدائهم المهني.
- تدني مستوى مرتباتهم الشهرية التي لا تسد احتياجاتهم العائلية.

المشكلات المتعلقة بالطلاب:

- زيادة نسبة التسرب عن المدارس الإسلامية لدى الطلاب.
- ضعف رغبة الاستطلاع العلمي لدى الطلاب.
- ضعف الرغبة في الالتحاق بالمدارس لدى معظم الطلاب.
- تدني مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلاب.

المشكلات المتعلقة بأولياء الأمور:

- قلة شعور أهمية التعليم الإسلامي لدى معظم أولياء أمور الطلاب.
- عدم رغبة أولياء أمور الطلاب الأغنياء في التحاق أبنائهم بالمدارس الإسلامية.
- قلة الاهتمام بالإنفاق على الطلاب الدراسين بالمدارس الإسلامية لدى معظم أولياء الأمور.
- ضعف العلاقات بين المدارس وأولياء أمور الطلاب.

أبرز التحديات التي يواجهها التعليم الإسلامي؟

- هناك كثير من العقبات والتحديات الداخلية التي تعانيها المؤسسات، والمدارس الإسلامية، كما يراها (شاه٢٠٢٠) منها:

- عدم وجود مصادر التمويل التعليمي المستقل للمدارس الإسلامية.

- عدم توافر إمكانية للعمل، بحيث إن المتخرّجين من المدارس الإسلامية يعانون المشكلات الاقتصادية، فيخرج كثير منهم في طلب معيشتهم، فتحرم الأمة الإسلامية من أن تستفيد من هؤلاء الشباب الذين قضوا جزءاً كبيراً من أعمارهم في الحصول على العلوم الدينية.

- ضعف التنظيم والتنسيق بين المؤسسات التعليمية والجمعيات الإسلامية في البلاد.

- عدم قبول شهادة المدارس الدينية في المؤسسات الحكومية والجامعات العصرية، إلا لدى بعضها، وذلك لا يمنح هؤلاء فرصةَ الاستفادة من الجامعات العصرية، ويؤدي إلى منعهم عن تشغيل المناصب الحكومية، وأداء دورهم البارز في هذا المجال.

- انقطاع المناهج التعليمية عن الحياة وعن المجتمعات الموجودة في الهند.

- عدم توافر الإمكانيات المادية التي تساعد في ازدياد النشاطات التعليمية، ونشرها على نطاق واسع.

الحلول والمقترحات:

فيما يلي سرد بعض المقترحات التي قد تسهم في وضع بعض الحلول لبعض المشكلات، والتحديات:

- الاهتمام بالتعليم الإسلامي خصوصا لأطفال المسلمين بالهند.
- تصميم وثيقة سياسة التعليم الإسلامي.
- وضع مناهج مشتركة وموحدة.
- مشاركة الأغنياء ورجال الأعمال في الدعم المادي للتعليم الإسلامي على نطاق أوسع.
- محاولة جمع شمل المنظمات والهيئات الإسلامية، على الأقل حول القضايا العامة.
- مكافحة التخلف التعليمي والاقتصادي والاجتماعي.
- تطوير مناهج التعليم الإسلامي في ضوء متطلبات العصر واحتياجات المجتمع الهندي متعدد الشعوب.
- محاربة الجهالة الدينية وذلك بدعم الدعوة الإسلامية.
- الاهتمام بالتدريب المهني للأساتذة، سواء قبل الخدمة أو في أثنائها، لرفع قدراتهم.

- توفير المعامل والوسائل التعليمية المناسبة في المدارس.
- توفير الإمكانيات المادية اللازمة لممارسة الأنشطة اللاصفية.
- توطيد العلاقات والاتصالات بالجامعات والمنظّمات الأهلية والحكومية وتبادل الخبرات للاستفادة من تجاربها وخبراتها الواسعة.
- إيجاد مكتبات علمية في المدارس والأقسام وتوفير الكتب والمراجع العلمية الكافية.
- ضرورة إنشاء المعاهد والكليات التربوية لتدريب المعلمين وقادة المدارس والمديرين وتزويدهم بشهادة الدبلوم على الأقل.

خلاصة الدراسة:

من خلال عرض و وصف النظام التعليمي الإسلامي بجمهورية الهند منذ نشأته إلى وقتنا الحاضر وبيان ما تم تطوره عبر العصور المختلفة والوضع الحالي للمدارس، يمكن تلخيصه بما يلي:

- إن نظام التعليمي الإسلامي بالهند بدأ مع دخول الإسلام والمسلمين العرب في القرن الأول من الهجرة ممثلا في تدريس القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي في الكتاتيب والمساجد.
- وبدأ النظام التعليمي الإسلامي يتطور مع الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند واستقرار الحكومة الإسلامية وتم إنشاء المدارس ونشر شبكاتها في مشارق الهند ومغاربها في عهد الحكومات الإسلامية المتعاقبة. وكان المنهج التعليمي الإسلامي في أدواره المتقدمة تابعا إلى حد كبير لما كان عليه في بلاد إسلامية مجاورة مثل خراسان و " ما وراء النهر" إلى بلاد الهند وهو الاعتناء الزائد بالعلوم العقلية، وقد مر المنهج التعليمي بمراحل تطورية عبر العصور المختلفة إلى أن استقر المنهج على تدريس الفقه وأصوله والمنطق والفلسفة

والبلاغة والأدب العربي، والتفسير والحديث وعلومهما وسمي بالمنهج الدراسي النظامي (درس نظامي) وما زال هذا المنهج متبعاً في معظم المدارس الإسلامية مع بعض التطورات الحديثة وإدخال بعض العلوم الحديثة مثل اللغة الانجليزية، والعلوم، والرياضيات، وغيرها من العلوم والفنون مواكبة لمتطلبات العصر وسدا لاحتياجات سوق العمل.

- وقد حقق هذا النظام التعليمي الإسلامي في البلاد إنجازات كثيرة، ومن أبرزها: انتشار شبكة المدارس والكتاتيب الدينية في أنحاء البلاد، حتى إلى المناطق الريفية التي لا تزال تحرم من كثير من التسهيلات، وأدت هذه المدارس والجامعات دوراً بارزاً في نشر العلوم الإسلامية والثقافة الإسلامية في البلاد وخارجها،
- ومع الاعتراف بهذه الميّزات والإنجازات وأدوارها البارزة في مجال التعليم والتربية الإسلامية، يوجد هناك قصور وضعف في النظام التعليمي الراهن الذي يواجه العديد من المشكلات والتحديات ينبغي لرجال التربية والتعليم أن يتيقظوا ويُلقوا النظر الفاحص في البحث عن الحلول المناسبة بالجدية وذلك من خلال تبني السياسة التعليمية البناءة والهادفة على وفق متطلبات العصر، و ضرورة التطوير المستمر لنظام التعليم ومناهجه الدراسية، والبحث عن مصادر التمويل المستدامة للتعليم.

المراجع:

١. الأزهري، مقتدى حسن(١٤٣٣هـ). المدارس العربية في الهند. مجلة صوت الأمة الشهرية، الجامعة السلفية بنارس، الهند ع ت (١١-١٦)
٢. رخا، إيمان أحمد (٢٠١٦) .نظام التعليم الإسلامي في الهند (دراسة حالة لولاية كيرلا). ورقة عمل قدم لمؤتمر مشكلات التعليم للأقيات المسلمة في الهند المنعقدة بنيو دهلي، استرجع في ٢٠٢١/٤/١٢ على الرابط: https://maed.journals.ekb.eg/article

٣. شاه، ظهور أحمد (٢٠٢٠) .ما ذا حقق التعليم الإسلامي في الهند. مدونة خاصة المسلمون حول العالم ، استرجع في ٢٠٢٢/٥/١٢ على الرابط: https://muslimsaroundtheworld.com/

٤. عبد الأحد، ظهير أحمد. (١٤٢٩). *مشكلات تعليم التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة بمدينة دلهي من وجهة نظر المعلمين ومديري المدارس*.[رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الملك سعود بالرياض.

٥. عبد الغفار، السيد أحمد(٢٠١٣) الإدارة المدرسية الفاعلة،ط١،القاهرة، دار النشر للجامعات.

٦. عزازي، فاتن محمد عبد المنعم (٢٠١٢) *نظم التعليم بالمملكة العربية السعودية*. ط/١، الرياض: مكتبة الزهراء.

٧. العساف، صالح بن حمد.(٢٠٠٣).*المدخل إلى الدراسة في العلوم السلوكية*. الرياض: مكتبة العبيكان.

٨. العنزي، خالد خلف.(٢٠١٦).*الكفايات القيادية اللازمة لمدير المدرسة في المرحلة المتوسطة في دولة الكويت بوصفه مشرفا تربويا مقيماً*[رسالة الماجستير غير منشورة]. جامعة آل بيت ،الأردن.

٩. المباركفوري، جميل أحمد ، محمد عارف(٢٠١٢)المدارس في الهند. *مجلة الداعي ، مجلة الكترونية الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، الهند. جمادى الأولى – جمادى الثانية = أبريل – مايو ، ٥ – ٦ (٣٦)*

١٠. سليم، بدرالدين، محمد.(٢٠١٦). *تقويم أداء معلمي القرآن الكريم بالمدارس الابتدائية بالهند على ضوء الكفايات اللازمة*. [رسالة ماجستير غير منشورة]. المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.

١١. عيد، محمد فتحي(٢٠١٣). أثر التعليم الإسلامي في توطيد الأمن. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب. العدد(٥٣) المجلد(٢٧) جامعة الأمير نايف الرياض.

١٢. محمد يوسف، أنصار أحمد. (١٤٣٣).*أسباب ضعف التحصيل الدراسي لدى طلاب المدارس العربية الإسلامية في الهند من وجهة نظر مديري المدارس والمعلمين* [رسالة ماجستير غير منشورة].جامعة الملك سعود بالرياض.

١٣. المديهيم، توفيق بن صالح.(١٤٤٤). *تعزيز الجودة الشخصية لدى قادة مدارس التعليم العام بالمملكة العربية السعودية في ضوء التجارب العالمية: نموذج مقترح*.[رسالة الدكتوراه غير منشورة] جامعة الملك سعود بالرياض.

١٤. الناصر، صالح محمود (٢٠١٢).*نظام التعليم في اليمن*. دار عبادي: صنعاء.

١٥.الندوي، شميم أحمد.(٢٠١٩) المناهج الدراسية في المدارس الإسلامية شمالاً وجنوباً في الهند –دراسة مقارنة. *مجلة أقلام الهند*.٣(٤)*يوليو-سبتمبر مجلة الكترونية فصلية محكمة*. استرجع في ٢٠٢٣/٠١/١٥على الرابط:https://www.aqlamalhind.com/?cat=1

١٦. الندوي، صاحب عالم.(٢٠١١). نشأة المدارس الإسلامية في الهند. الحلقة الأولى. *مجلة البعث الإسلامي*،٨(٥٦)٥٥-٦٤.

١٧. الندوي، محمد واضح، رشيد.(٢٠٠٦). *حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج*.(ط١) الهند، لكناؤ، المجمع الإسلامي العلمي.

١٨. نوشاد عالم ,عبد المعيد. (2013).المشكلات التربوية في الهند. استرجع في ٢٠٢٢/٣/١٠على الرابط:

١٩. http://abdulmueedsalafi.blogspot.com/2013/05/blog-post.html

.... ❖❖❖❖❖ ....

المخطوطات العربية في الهند: دراسة تاريخية

الباحث/ أحمد رضا [*]

الملخص:

يعود اهتمام العرب بالهند وإعجابهم بحضارتها العريقة إلى ما قبل ظهور الإسلام، إذ كان يتم التبادل الثقافي والحضاري والأدبي بين الهنود والعرب من خلال التجارة والرحلة عبر الطرق البحرية. لذا، احتضنت الهند على مدى حقبة طويلة من الزمن جزءًا كبيرًا من الثقافة العربية والأدب العربي، يمكن تتبعه في مدنها وقراها، وفي آثارها ومآذنها، وفي متاحفها وأرشيفاتها ومكتباتها. وهناك الآلاف من المخطوطات العربية النادرة والكلاسيكية الموجودة في الهند في مختلف المكتبات والمتاحف والمساجد والجامعات، مما يجعلها أكبر البلدان التي تم فيها الحفاظ على هذا العدد الهائل من المخطوطات العربية على مرّ السنين. دخلت اللغة العربية الهند بفضل العلاقات التجارية مع الجزء الجنوبي من الهند، ولاسيما منطقة مالا بار، وازدهرت هذه العلاقة أكثر مع الفتوحات الإسلامية في الأجزاء الشمالية من الهند ومع قدوم الحكام من بلاد العرب ومن المناطق الأخرى مثل تركيا وإيران وأفغانستان، ليؤسسوا ممالك وإمبراطوريات متعددة على أراضيها بدءاً من القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي). وبسبب شغفهم بالعلوم والفنون إنهم تركوا وراءهم العديد من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والأردية في مواضيع عديدة، ولكن المخطوطات العربية هيمنت عليها جميعا بسبب كون العربية لغة دينية للمسلمين. لا ريب في أن المخطوطات هي تراثنا العلمي والأدبي ووثيقة مهمة للتاريخ والفن والثقافة. ولا يمكن لأحد أن يتجاهل أهميتها التاريخية والثقافية في العصر الحديث.

---

[*] الباحث بمرحلة الدكتوراه، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند.

يودّ الباحث من خلال هذه المقالة البسيطة أن يستكشف رحلة المخطوطات العربية وتطوّرها في الهند بدءًا من العصر المغولي حتى فترة حكّام دكن، الذين تولّوا أمر المخطوطات العربية بكل إخلاصٍ أثناء حكمهم في أجزاء مختلفة من الهند. علاوة على ذلك، ستستعرض هذه المقالة بعض المخطوطات العربية الهامة والنادرة التي تم الحفاظ عليها حتى يومنا هذا في مختلف المكتبات والمحفوظات والمتاحف في الهند.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات، الخطوط العربية، التراث الإسلامي، الأدب العربي، الثقافات العربية الهندية، المكتبات، المتاحف، الأدب العربي،

المخطوطات العربية في الهند: دراسة تاريخية:

ترجع العلاقات المتينة والصلات الوطيدة بين الهند وبلاد العرب إلى فجر التاريخ، حيث كان العرب والهنود يتبادلون التجارة بشكل أساسي، ولكن حصل بينهم تفاعل ثقافي واحتكاك لغوي أيضا، فكانت الفرصة سانحة لكلتا الأمّتين العريقتين في الحضارة والتأريخ أن تعرفا دياناتهما ومجتمعاتهما وسياستهما، ولا عجب إذا أبهرت الهند وما فيها من جمالٍ وتنوعٍ أعين العرب وأثارت إعجابهم، حتّى أصبحت كلمة "الهند" بلغتهم استعارة للفتاة الجميلة. وتطوّرت العلاقة الودية بينهما إلى حد كبير بعد ظهور الإسلام وانتشاره في الهند وتنامي العلاقات التجارية والاقتصادية، أما الاهتمامات الثقافية فقد ازدهرت بشكل ملحوظ منذ العهد العباسي وما بعد.

لأجل ذلك، تحتضن الهند اليوم جزءا كبيرا من الثقافة العربية الممتدّة على المئات من السنين، وتوجد في مدنها وقراها وفي مدارسها وجوامعها وفي مكتباتها ومتاحفها الآلاف من المخطوطات العربية النادرة التي هي مفخرة من مفاخر بلاد الهند. وقد دخلت اللغة العربية إلى الهند بسبب العلاقات التجارية وتوطدت هذه العلاقة مع الفتح الإسلامي لأجزاء منها، ومع حكامٍ

جاءوا من بلاد العرب وبلاد الفرس وأفغانستان ليؤسسوا فيها ممالك وإمارات متعددة خلفت وراءها عددا كبيرا من المخطوطات العربية والفارسية والأردية والتركية، ولكن تغلبت عليها العربية لكونها لغة دينية للمسلمين. إن المخطوطات هي تراثنا القومي ومأخذ مستند للتاريخ والثقافة، ولذا لا يمكن لأحد أن يغضّ النظر عن أهميتها التاريخية والأدبية، وقبل أن ندخل في الموضوع الرئيسي لابد لنا من أن نعرف بعض النقاط المهمة عن المخطوطات.

أصل كلمة "المخطوطة":

المخطوطة كلمة مشتقة من الفعل "خط" "يخط" أي كتب يكتب، وهي مكتوبة يدوية بأي شكل من الأشكال سواء كان على ورق أو على أية مادة أخرى كالجلود، والألواح الطينية القديمة، والحجارة وغيرها، وقد كتبت في مختلف طرق الكتابة كخط النستعليق، والخط الكوفي، والخط الحيري، والخط النبطي وخط النسخ وخط الثلث وغيرها. وهي بمثابة إرثنا الأدبي والثقافي والعلمي والتأريخي، ووسيلة مؤثرة لتناقل الأخبار ورواية الأشعار وكتابة التراجم ووصف الرحلات والأحوال والمجتمعات.

ومن المعروف أن الخط العربي أخذ يزدهر بظهور الإسلام على حساب سائر الخطوط في الجزيرة العربية ثم لم يلبث أن انتشر خارجها تبعا لانتشار العرب والإسلام[١]، وكان في القرن الثاني من الهجرة يكتب بغير النقاط والحركات، ويدعى ذلك الخط "الخط النبطي" (نسبة إلى الأنباط)، وبعد الاختلاط بالخط المحلي أصبح الخط الحيري، والكوفي، وقد لعب فن

[١] د. محمد سعيد الطريحي، أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند، موسوعة الموسم: موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار التراث، أكاديمية الكوفة هولنده، ٢٠٠٩، ص ١٣٨.

الكتابة دورا ملحوظا في تطوير فن المخطوطات، ثم منافسات الكتابة الفنية أوصلت المخطوطات إلى القمة.

بداية المخطوطة في الهند:

نعثر على وجود المخطوطات العربية في الهند من القرن الثاني للهجرة في ظل تطور علاقة الهند والعرب، وفي القرن التاسع للهجرة تطورت المخطوطات العربية في الهند تطورا كبيرا وكتبت على الأوراق بكثرة، وقد كتبت المخطوطات في لغات مختلفة أيضا؛ مثل الأردية، والفارسية، والهندية، المراتية، التاملية، السنسكريتية، البنجابية، وغوجراتية وغيرها [٢].

وتتواجد المخطوطات العربية والفارسية والأردية في المدن التي عاش فيها المسلمون بعدد كثير، فقد جذب الخطاطون الماهرون اهتمام عامّة الناس وخواصهم على حد سواء إلى إبداعاتهم الفنية، وأصبحت لهم مكانة مرموقة في المجتمع، وقد شجّعهم على ذلك إشراف الملوك والأمراء ورعايتهم تشجيعا بالغا، ونتيجة لذلك، ظهرت "سوق الوراقين" حيث كانت المخطوطات الجيدة تباع بقيمة غالية، وأصبحت تلك السوق فيما بعد وسيلة لمعرفة الثقافات والسير والتواريخ أيضا. وهكذا أصبحت كتابة المخطوطات مهنة مربحة تدرّ على أصحابها أموالاً طائلةً في العصر القديم. وممّا يلاحظ هنا أن المكتبات الملكية وكذلك المكتبات العامة أصبحت زاخرة بالمخطوطات العربية المتنوعة.

تطور المخطوطة في العهد المغولي:

كان الحكام المسلمون عامة والملوك المغول خاصة صرفوا اهتمامهم إلى المخطوطات والنقش، وقاموا بشرائها والاحتفاظ بها في مكتباتهم الخاصة،

---

[٢] د. مه جبين أختر، مجلة شهرية " هندوستاني خطى ميراث" مقالة- الأهمية التاريخية للمخطوطات العربية في الهند، ص ٢٢٤.

وفي طليعة هؤلاء الملوك؛ الملك جلال الدين محمد أكبر(١٥٥٦م-١٦٠٥م) والملك نور الدين سليم جهانغير(١٦٠٥م-١٦٢٧م) والملك شهاب الدين شاه جهان(١٦٢٨م-١٦٥٨م). وهؤلاء الحكام شكّلوا لجنة خاصة للنقش وكتابة المخطوطات، وعيّنوا فيها الخطاطين والنقاشين الماهرين بصفة رسمية، وأسموها "كارخانه" (المعمل)، وبعض المخطوطات من تلك العهود تحمل التوقيعات والهوامش للملوك والأمراء، كما توجد مخطوطتان نادرتان في النقش والتزيين من عهد الإمبراطور المغولي "جلال الدين محمد أكبر"، وهما "همزة نامة" (رسالة همزه) و"رزم نامة" (رسالة رزمة) ترجمة فارسية للأحداث التاريخية لمهابهاراتا وراماياناً[٣].

وطبقا لقول ابن هشام (عبد الملك بن هشام): حمير بن سبأ كان أول كاتب للعربية،[٤] وقد كتب نرمل الغوسوامي المحرر لجريدة" دينمان تايمز" الهندية الأسبوعية عن الخط واللغة العربية؛ "إن أجمل هدية إسلامية عندي هي الخط العربي والمخطوطات، فكل لفظ فيها يوحي بالأفضلية والقوة الإسلامية والحضارة والثقافة الكاملة، فنجد نماذج لا تنسى للخط العربي على أبواب المساجد والقصور والقلاع التي تعكس التمدن والحضارة التاريخية. " وكذلك تحظى المكتبات لحكام الولايات المستقلة الجنوبية في "بيجافور" و"غولكوندا" بأهمية بالغة في هذا الصدد، إنها حافلة بالمخطوطات العربية النادرة، ومركز رئيسي لها في جنوب الهند.

وتمتلك المكتبات الملكية الممتدة على أنحاء الهند بعض أهم المخطوطات العربية النادرة، ومن بين تلك المكتبات؛ "مكتبة المجتمع الآسيوي" ببنغال، و"المكتبة القومية" بكولكاتا، و"مكتبة خدا بخش" بباتنة، ومكتبة رضا

---

[٣] المصدر السابق.
[٤] المصدر السابق

ببلرامفور، ومكتبة مولانا آزاد بدلهي الجديدة، ومكتبة الجامعة العثمانية، متحف سالار جنغ، والمكتبة الشرقية، ودائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ومكتبة المخطوطات بتشنائ، ودار المصنفين شبلي الأكاديمية بأعظم جره. جميع هذه المكتبات تمتلك بعض المخطوطات العربية القيّمة والنادرة.

الآن نستعرض بعض أهم المخطوطات التاريخية العربية من مختلف المكتبات الهندية، والتي لا تزال تعتبر تحفة فنية وتراثا علميا وعربيا.

١- توجد نسخة القرآن الكريم التي كتبها الخليفة الرابع سيدنا علي-كرم الله وجهه- بخط كوفي، وتوجد نسخة التاريخ الملكي الخوارزمي في مكتبة خدا بخش بباتنه (١١٤٥ه).

٢- نسخة تحتوي على تاريخ مكة منذ ولادة النبي محمّد-صلى الله عليه وسلم- حتى يوم الهجرة كاملا في مكتبة المجتمع الآسيوي بكولكاتا.

٣- نسخة كبيرة تشتمل على"تاريخ هرات" منذ العام ١٢٢١ هجرة إلى العام ١٣٣١هجرة في المكتبة القومية بكولكاتا.

٤- مخطوطة باسم "بادشاه نامة" (رسالة الملك) في المجتمع الآسيوي بكولكاتا، وهي تتحدث عن عهد الملك المغولي شاه جهان وما حدث فيه من الوقائع، وعليها توقيع الملك المغولي شاه جهان، وهذه المكتبة تحتفظ بنسخة نادرة لـ "التعليقات والنوادر" لأبي علي هارون أيضا، ويقال إنه لا توجد نسخة ثانية لها في أيّة مكتبة من مكتبات العالم، وفضلا عن ذلك، فيها مخطوطة لـ "تاريخ علم النجوم" لأثر الدين المفضل ابن عمر الأبهري.

وطبقا للتقدير العام تتواجد الآلاف من المخطوطات العربية في مختلف المكتبات والمتاحف الهندية، ويقدر عددها بنحو خمسة وخمسين ألف

مخطوطة عربية في الهند[٥]، ناهيك عن المخطوطات المكتوبة باللغات المحلية، ولا يسعني المجال أن أحصر كل المخطوطات العربية هنا، فذخيرة المخطوطات لنواب محمد علي خان ولاجاه لتاميل نادو، جنوب الهند، وأترا براديش لا تزال مختفية عن عيون الناس حتى الآن وتنتظر من يزيح الستار عنها.

ويعتبر القرن السادس عشر الميلادي عصرا ذهبيا في الهند بالنسبة للغة العربية وأدبها، وهو العصر الذي حكم فيه المغول الهند. وكان الملك المغولي الثاني الملك نصير الدين محمد همايون (١٥٣٠م-١٥٤٠م و ١٥٥٥م-١٥٥٦م) قد استدعى جماعة من الخطاطين من إيران في عام 1547م، ونشر أفضل المخطوطات في سلطنته، و كان أبوه الملك ظهير الدين محمد بابر (١٥٢٦م-١٥٣٠م) نفسه خطاطا ماهرا جدا، والملك المغولي جهانغير، والملك شاه جهان، والأميرة جهان آراء والأميرة زيب النساء بيغم كلهم كانوا معجبين بالمخطوطات والنوادر وبالتالي قاموا بالإشراف على فن الكتابة والمخطوطات، ويمكن أن نرى بعض أجمل النماذج لها في القصور والعمارات والدواوين الملكية من ذلك العهد الذهبي، وفضلا عن ذلك، إنهم اهتمّوا بترويج العلوم والفنون والتاريخ والآداب في صورة المخطوطات، فتطورت الكتابة والمخطوطات والكتابة المصورة تطورا ملحوظا وعكست تلك المخطوطات من ذلك العهد الشريعة والقانون الإسلامي والحضارة والتمدن[٦]. وعندما اتجه الملك المغولي أورنغ زيب إلى جنوب الهند وخاصة إلى المنطقة التي تعرف بـ "دكن"، أخذ معه الخزائن العلمية والأدبية، والمخطوطات، واللوحات ومدوّني التاريخ، وبعد أن فتح "دكن" استولى على الثروة العلمية والحضارة الملكية

[٥] حوار د. مجيب الرحمن، اللغة العربية هويتنا إن كنا عجما، مجلة الفيصل

[٦] د. محمد سعيد الطريحي، موسوعة الموسم: موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار التراث، أكاديمية الكوفة هولنده، ٢٠٠٩، ص ١٣٨.

للأسرة الملكية العادلية والقطبية اليمنية لولاية كلبركه، غولكوندا، بيدر، وبيجافور.

دور المملكات المختلفة في دكن في تطور المخطوطة:

مثّلت حكومة "مملكة عادل" لبيجافور وحكام مملكة قطب في غولكندا دورا مهما في تأليف المخطوطات التاريخية في القرن الخامس عشر، وإنهم تعلّموا هذا الفن الخطاطي أيضا، وعرضوا نماذج جيدة للمخطوطات، منها "نسخة نورس" جميلة تمتلكها مكتبة متحف سالار جنغ بمدينة حيدر آباد، في مجال الموسيقى، كتبها الملك خليل في القرن السابع عشر من الميلاد، والذي كتبت متونه الشعرية بالخطّين: الفارسي والهندي معًا. وكذلك تتواجد في تلك المكتبة مخطوطات أخرى لها أهمية تاريخية، منها على سبيل المثال "إبراهيم نامه" "علي نامه" آزرب سلطاني" و تاريخ سكهان".

هناك مخطوطة باسم "تاج المآثر" التي كتبت في خط النسخ وتشتمل على تاريخ دلهي. ويوجد توقيع المؤلف على نسخة" تذكرة دولت شاه" والنسخة الملكية "تحفة سامي" التي ألفها الملك الصفوي سام مرزا، وتشتمل على عشرة تصاوير صغيرة ومزينة بالنقاش، وهي نموذج رئيسية "لمدرسة تلوين شيراز"(Shiraz School of Painting) والمخطوطات العربية للصوفي الشهير العالم محمد الحسيني غيسودراز من كلبركه لها أهمية تاريخية أيضا. وتوجد المخطوطات في أشكال مختلفة منها القطعات، والأشعار، والقصائد، والآيات القرآنية المزينة بالألواح[٧].

[٧] د. مه جبين أختر، مجلة شهرية " هندوستاني خطى ميراث" مقالة- الأهمية التاريخية للمخطوطات العربية في الهند، ص ٢٢٤

ومن أهم الكتب التاريخية للهند "سبحة المرجان في آثار هندوستان" للسيد غلام آزاد البلغرامي ١٢٠٠ للهجرة، التي نسختها موجودة في مكتبة بانكي فور، أسعد آباد. وقد اندرجت فيها أحوال العلماء والفضلاء المسلمين من الهند وباكستان حسب الترتيب التاريخي في بابها الثاني التي قد تم طبعها. وتوجد نسخ أخرى عن نفس الموضوع باسم "تاريخ علماء الهند" و " مآثر الكرام"، و "أبجد العلوم" ألفها النواب صديق حسن البوبالي.

وفي "مآثر الكرام" قد كتب المؤلف آزاد الأحوال والواقعات التاريخية للعلماء والأولياء المتميزين للبلد بلغرام.

ونسخة نذير أحمد "الرسالة في تاريخ الغدر" زينة لمكتبة علي جراه. وتوجد نسخة عباس مرزا ابن سعيد أحمد الحسيني من القرن الثالث عشر للهجرة "الحصن المتين في تاريخ أود" في مكتبة بنغال وكذلك نعرف وجود كتاب "تاريخ يمني" للمملوك علي الدهلوي بها. ونجد تاريخ غوجرات ومالواه، والواقعات التاريخية لمختلف مملكات الهند في "مآثر محمود شاهي (١٤٤٢م)"و" طبقات ناصري" (١٥٠٠م)"و"تاريخ محمدي"، وقد سجلت فيها أحوال المعاشرة والمجتمع والمعيشة لذلك العهد.

ونظرا لأعداد ضخمة من المخطوطات نقتصر هنا على ذكر بعض المخطوطات التاريخية في الهند، ولكن قبل ذلك نذكر مكتبات حيدر آباد الّتي تمتلك تلك المخطوطات العربية، وهي: الجامعة العثمانية، دائرة المعارف العثمانية، والمكتبة السعيدية، ومركز المخطوطات الشرقية، مكتبة متحف سالار جنغ، ومركز الآصفية. وتوجد في هذه المكتبات المخطوطات العربية المتنوعة المكتوبة في موضوعات مختلفة. نقدم هنا بعض المخطوطات التاريخية العربية من مكتبات حيدر آباد.

مكتبة الجامعة العثمانية:

تعتبر الجامعة العثمانية من أهمّ الجامعات التاريخية بمدينة حيدر آباد، وتضم عشرات الكليات، وأكثر من مائة ألف طالب يدرسون فيها، ويقدر عدد المخطوطات العربية بها بنحو ألفي مخطوطة. وقد تمّ إخراج بعض تلك المخطوطات، وأجري البحث ما قبل الدكتوراة والدكتوراة عن بعضها أيضا، وبينما ارتدت بعضها زي الطباعة، لا تزال بعضها الأخرى تتطلّع إلى الطباعة والنشر. وقبل عدّة سنوات شكّلت لجنة المنح الجامعية (UGC) هيئة من الباحثين والمحققين لتحقيق مخطوطة عربية تشتمل على ٢٤٠ صفحة عن موضوع الهجرة وقد ألفها نواب صديق حسن خان القنوجي. وقامت الهيئة بتحقيق هذه المخطوطة التاريخية، واسم المخطوطة الأصلي "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة"[٨] وبالإضافة إلى ذلك، نذكر الفهرس الموجز لأهم المخطوطات التاريخية الأخرى التي تحتفظ بها هذه المكتبة القديمة:

١. تاريخ الخلفاء- العلامة جلال الدين السيوطي
٢. تاريخ الدولة العثمانية- اسم كاتبها مجهول
٣. تاريخ ابن خلكان (في أربعة أجزاء)
٤. قصص الأنبياء- محمد بن عبد الله
٥. تاريخ حكماء السلف
٦. تاريخ كتاب القصص
٧. تاريخ كتاب في الأدب
٨. تاريخ كتاب في الحديث – زكي الدين
٩. تاريخ كتاب حيوة الحيوان – كمال الدين
١٠. تاريخ كتاب روضة الأزهار
١١. كتاب في التاريخ
١٢. كتاب المفصل في صنعة – زمخشري

[٨] المصدر السابق

١٣. كتاب الهند – أبو ريحان البيروني (دائرة المعارف)

وكتبت جميع هذه المخطوطات بخط النسخ، والخط الكوفي وخط الثلث.

والآن نتناول المخطوطة التاريخية "كتاب الهند" بالبحث والمناقشة، وقد كتب المؤرخون عنها أن: "السلطان محمود الغزنوي" كتب رسالة إلى خوارزم شاه قائلا "أرسل لنا بعضا من علماء قصرك الأجلاء حتى يزداد صيت قصرنا بقدومهم ونستزيد ونستفيد من فيض علمهم". فلم يتهيأ أحد من العلماء للسفر بسبب شدة طبع الملك وقساوة مزاجه، وبالصدفة وقع نظر خوارزم شاه على البيروني، وكان أبو ريحان محمد البيروني ماهرا جدا في متعدد العلوم والفنون وقد قام بنقد الأحداث التاريخية في كتبه، وكان يزن كل الأمور بميزان العقل وكان يظلّ مشغولا ليل نهار بالأمور العلمية لدرجة أن وفاته حدثت بسقوط الكتب عليه.[٩]

كان البيروني أول مؤرخ ورحالة للهند. عاش فيلسوفا، عالم اجتماع ومفكرا عظيما، وكان مغرما بالسفر والترحال. وقد التقى في غزنة ببعض الكهّان الهندوس الذين كانوا قد وصلوا إلى الهند مع السلطان الغزنوي، فعندما سمع من هؤلاء الكهّان عن الهند، زاد شوقه للزيارة والسياحة لها.

وفي سنة ٤٠٨هـ قدم مع السلطان محمود الغزنوي إلى الهند. وقضى هناك ٤٠ سنة تقريبا واطّلع على أوضاع الهند اطلاعا واسعا. وعلى الرغم من أنه عانى من المشاكل والتحديات، فقد تعلم اللغة السنسكريتية من الكهان بتمويه وحيلة، ثم قرأ الكتب الفلسفية والدينية لأهل الهند، وألف كتابا عن علوم وفنون أهل الهند، وعقائدهم، وثقافاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، طبع ذلك الكتاب فيما بعد باسم "كتاب الهند. وهذا أول كتاب جامع لا مثيل له عن

[٩] المصدر السابق

الأوضاع الاجتماعية والحضارية للهند القديمة. وقام فيه بدراسة معتقدات أهل الهند بشكل دقيق وقال البيروني: "إنّ للعامة من الناس مذهبا وللخاصة مذهبا آخر. والناس في الهند يحبّون الشعر على الرغم من أن النثر سهل الفهم". وأضاف قائلا في كتابه المشهور: "وبعد محاولات كثيرة أردت أن أعرض ترجمة بعض الكتب العربية المشهورة مثل "اقليدس" و"مجسطي" على الكهان الهندوس وأردت أن أقرأ عليهم كتاب "صنعت اسطرلاب"، ولكن لم يستطع الناس فهم هذا وابتليت بالمصائب". (مقدمة كتاب الهند- ص ٦٦)

ومن خلال " كتاب الهند " قام البيروني بتعريف الهند وحضارتها العريقة إلى العالم لأول مرة. وألف العديد من الكتب في تاريخ علم الفلك والنجوم، ومن خلال أبحاثه أثبت بطريقة علمية أن نظام الكون يكون في وقت واحد، وبعد أن كتب "القانون المسعودي" في هذا الموضوع وعرضه على الملك محمود الغزنوي، فغمره الفرح والسرور، وقدّم له الكثير من الهدايا والتحف بما فيها فيل مرصع ولكنه لم يقبل هذه الهدايا الغالية رغم بؤس حالته.

وتمت ترجمة "كتاب الهند" و"القانون المسعودي" إلى أكثر اللغات الأوروبية، وبعد أن اطّلع على الكتب المقدّسة الهندوسية القديمة باللغة السنسكريتية مثل بهاغافاد غيتا، ورمايانا، ومهابهارتا، ومنوشاستra، قام بترجمتها إلى اللغة العربية وأرفقها بالمصادر والمراجع. وقد أخبر أهل الهند أن الدنيا واسعة والعلم كالبحر، وأطلق عليها أهل الهند اسم "الساحرة" و"بحر العلم".

وقد تم نشر "كتاب الهند" (أصله باللغة العربية) في عام ١٨٨٧م من مدينة (لايبزيغ، ألمانيا) وباللغة الإنجليزية في عام ١٨٨٨م من مدينة (لندن،

بريطانيا). و"القانون المسعودي" (أصله باللغة عربية) قد تم نشره من دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد[١٠].

وقائمة أهم المخطوطات في الجامعة العثمانية:

١- دلائل الخيرات- لمحمد بن سليمان الجزري
٢- الكافية-
٣- التيسير في علم القرآن- لأبي عمر عثمان
٤- كتاب السيرة – لابن هشام
٥- المختصر من تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم- لأبي عبد الله البخاري
٦- أنوار التنزيل- للبيضاوي
٧- تفسير الجلالين – لإمام السيوطي
٨- ديوان المتنبي
٩- تاريخ ابن خلكان
١٠- حياة الحيوان - للدميري
١١- القانون- بوعلي سينا
١٢- كتاب النحو

المكتبة الآصفية:

تمتلك المكتبة الآصفية ٦٣٣٧ مخطوطة باللغة العربية، تم تأسيسها على يد شيخ الإسلام الحافظ أنوار الله تحت إشراف مير عثمان علي خان آصف السابع في عام ١٨٩١م، بجانب المخطوطات العربية، تتواجد فيها المخطوطات باللغات الأخرى أيضا، ففيها ١٦٧٣ مخطوطة باللغة الأردوية و٨٩١٥ مخطوطة باللغة الفارسية.

مكتبة المتحف سالار جنغ:

[١٠] المصدر السابق

تم تأسيس هذه المكتبة الشهيرة علي يد مير عثمان علي خان في عهد سالار جنغ الثالث، والذي كان مغرما بجمع مختلف النوادر، وكان يشتريها بدفع ثمن باهظ جدا، ويبلغ عدد المخطوطات فيها ما يقارب ٢٢٢٠ مخطوطة عربية، بينما باللغة الأردوية عددها نحو ٩٧١٠، وباللغة الفارسية عددها نحو ٣٣٢٢ واللغة التركية عددها نحو ١٣٦، ومن أهم نوادر مخطوطات المتحف فيما يلي[11]:

١. نسخة القرآن الكريم (مكتوبة بالخط الكوفي على جلد الغزلان في القرن الثاني من الهجرة)
٢. قصيدة البردة- ياقوت المستعصمي (٦٩٨هـ)
٣. نسخة تهافت الفلاسفة- أبو حامد الغزالي (٥٠٧هـ)
٤. شرع الإسلام إلى دار السلام- محمد بن أبي بكر السمرقندي
٥. تفسير سورة يوسف- أبو حامد الغزالي
٦. تفسير القرآن- ملا علي القاري بن سلطان (١٠١٤هـ)
٧. مختصر الصحيحين- لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي(٧١٠هـ)
٨. أحكام القضاء القدر- لأبي محمد عنايت الله المعروف بأبي يزيد البسطامي
٩. حجة العارفين في أصول الدين- للسيد نور علي بن محمد قاسم الحسيني، وغيرها من المخطوطات.

الجامعة النظامية:

إنها مدرسة عربية قديمة، تضم مكتبتها "مكتبة الجامعة النظامية" ما يقارب ١١٣٠مخطوطة عربية، وفيها نسخة قديمة جدا لـ" تاريخ علماء دكن" ولكن كاتب هذه النسخة مجهول.

أرشيف الدولة: (State Achieves)

[11].https://web.archive.org/web/20130111114604/http://www.salarjungmuseum.in/html/events_septemberl

توجد فيها نسخ قلمية نادرة عن سجلات الحكام والوثائق التاريخية عن آندرا براديش، وهي ترجع إلى عام ١٦٣٠م حتى ١٧٢٤م من الميلاد، وعددها مائتا ألف، منها خمسة آلاف وثيقة تاريخية لعهد الملك المغولي شاه جهان، ومائة وخمسون ألف وثيقة تاريخية من عهد الملك المغولي أورنغ زيب.

ويوجد فيها أيضا سجلّ المملكة السابقة لحيدرآباد من عام ١٧٢٤م حتى ١٩٥٩م بشكل الوثائق. ويوجد فيها أيضا السجل التاريخي لأسرة المملكة العالية، والمملكة القطبية، وعهد البهمني.

المكتبة السعيدة بحيدر آباد:

قام بتأسيسها المفتي محمد سعيد في عام ١٣١٢ من الهجرة. تمتلك هذه المكتبة المخطوطات النادرة من القاهرة، ودمشق، وبغداد، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة. يبلغ عدد المخطوطات فيها نحو ٣١٣٦، و"تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر (٥٧١هـ) التي تشتمل على ٨ مجلدات، و"التبيان في تفسير القرآن" لأبي جعفر الطوسي و"تحفة الغريب" للدماميني من أهم المخطوطات التي توجد في رفوف هذه المكتبة"[١٢].

كما توجد المخطوطات المهمة الأخرى أيضا، منها:

١. أسماء المهمة في ابناء المحكمة- لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي (٤٦٤هـ)
٢. حرز الأماني- العلامة الشاطبي (٥٩٠هـ)
٣. تسديد القوس في تخريج أحاديث مسند الفردوس- الصقلاني (٨٥٢هـ)
٤. شرح المواقف- القاضي عضد الدكن (٧٦٨هـ)
٥. شرح مسلم الثبوت- عبد العلى الفرنجي

[١٢] المكتبة السعيدية: فهرس المخطوطات العربية: القرآن الكريم، علوم القرآن، الحديث، والسيرة، والشريعة الإسلامية.

٦. شمائل النبي- الإمام الترمذي (٩٨٢ه)
٧. الموطأ (ثلث نسخ) – لإمام المالك (١٧٩ه)
٨. تفسير فيض الكريم- القاضي بدر الدولة محمد صبغة الله (١٢٨٠ه)

دائرة المعارف العثمانية:

إن الدول العربية تعترف بالخدمات العلمية الجليلة التي أدّاها هذا المركز العريق في نشر المخطوطات العربية في الأدب العربي والثقافة والتفسير والتاريخ والسيرة والاجتماع والفلسفة والطب، أسّسها في عام ١٨٨٢م نخبة من العلماء الأجلاء وأصحاب المناصب العليا، وهم: عماد الملك سيد حسين ومولانا محمد انوار الله خان الفاروقي وملا عبد القيوم[١٣]. فالهدف الأول لتأسيسها كان جمع المؤلفات والمخطوطات العربية النادرة وصيانتها والبحث عنها وترجمتها ونشرها. حتى الآن تم النشر ١٥٠ مخطوطة نادرة، وهي تشمل علم الطب، والزراعة، وعلم الأحجار، (المجوهرات) وعلم التاريخ، والعلوم الإسلامية وغيرها من العلوم. ويوجد بها أيضا كتاب "الكمال" المعروف والذي نجد فيه الوثائق التاريخية المكتوبة بالتفصيل عن العلماء المشهورين وقبائلهم، وقد نشرت ٧ مجلدات له منذ عام ١٩٦٢م حتى عام ١٩٨٥م. وكان شيخ الأزهر الدكتور سيد محمد علي الطنطاوي خلال زيارته للهند عام ١٩٩٦م زار هذه المكتبة العريقة وقال إعجابا بها:

"لقد ازددت سعادة وسرورا بزيارتي لدائرة المعارف العثمانية، ورأيت فيها من المؤلفات القيمة والمخطوطات النادرة، لا أستطيع أن أعبر عنه من سرور وارتياح.

[١٣] الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الإعداد عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري، ٢٠١٢.

فهذه الدائرة قد قدمت للتراث العربي والإسلامي والإنساني ما تعجز ألفاظ اللغة العربية عن الإحاطة بها. وأسأل الله تعالى أن يزيد في ثروة هذه الدائرة من الكتب والمخطوطات وأن يجمعنا جميعا على طاعته"[١٤]."

الخاتمة:

لا شك في أن ملوك الهند وسلاطينها عموما وملوك الدكن (جنوب الهند) خاصةً أدّوا دورًا بارزًا في جمع المخطوطات العربية والإسلامية وتطويرها، كما لا يمكن الإنكار أو التغاضي عن دور المدارس الدينية والعلماء والمشايخ والصوفية الذين ساهموا بالتساوي في نشرها وتنميتها.

المخطوطات العربية هي تراثنا العلمي والأدبي ومصدر غال لإقامة الاتصال والارتباط بين القديم والجديد، ووسيلة مهمّة للإطلال على الماضي، واكتشاف الوقائع التاريخية ونفض الغبار المتراكم عن وجه الحقيقة الناصع. وفي العصر الحديث حيث العولمة والرقمنة، وحيث تحيط التكنولوجيا والآلات الحديثة بكل جانب من جوانب الحياة، ربّما لا نبالي بهذه الروائع والنوادر المنتشرة في مكتباتنا ومتاحفنا وقصورنا ومراكز الأرشيف، وتبدو لنا هذه المخطوطات القديمة مجرد أوراقٍ باليةٍ، ولكنّها في الحقيقة ذات أهمّية بالغة وجزء من تراثنا الثمين، ومن اللازم لنا أن نعضّ بالنواجذ عليها ونحتفظ بها. ومن ناحية أخرى، تساعد هذه المخطوطات في دراسة مختلف أنواع الكتابات العربية، وأساليبها، وتطوّراتها.

لذا، نظراً إلى القيمة والأهمية التي تحملها هذه المخطوطات، فإنّ الواجب العلمي والديني يملي علينا أن نهتم بهذه الثروة المعرفية القيمة والحفاظ عليها.

---

[١٤] الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، إعداد: عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري الندوي، ص ٣٠٦.

المصادر والمراجع

(١) أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند، موسوعة الموسم: موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار التراث، د. محمد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة هولنده، ٢٠٠٩

(٢) حوار د. مجيب الرحمن، اللغة العربية هويتنا إن كنا عجما، مجلة الفيصل سبتمبر ٢٠٢٣

(٣) الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الإعداد عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري، ٢٠١٢

(٤) مجلة شهرية " هندوستاني خطى ميراث" مقالة د. مه جبين أختر – الأهمية التاريخية للمخطوطات العربية في الهند

(٥) المخطوطات العربية في الهند، ترجمة وتحقيق: محمد الشنيطي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(٦) المكتبة السعيدية: فهرس المخطوطات العربية: القرآن الكريم، علوم القرآن، الحديث، والسيرة، والشريعة الإسلامية

(٧) A Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Library of the India office: by Otto Loth

مواقع الإنترنت

(١) https://web.archive.org/web/20130111114604/http://www.salarjungmuseum.in/html/events_september

(٢) https://www.salarjungmuseum.in/Library.html

(٣) https://www.nidaulhind.com/2016/10/blog-post.html

.... ❖❖❖❖❖ ....

نشأة القصة القصيرة في الأردن وتطورها

د. بلال أحمد شاه*

ملخص البحث:

شهدت السّاحة الأدبية في الربع الأخير من القرن الماضي تغيرا لافتا في مفاهيم الأدب ووظائفه، وتنوعت طرائق العرض وأساليب القول، نتيجة لما أصاب العالم من تسارع تكنولوجي محموم، وتغيرات حادة على الصعيد السّياسي والاقتصادي والاجتماعي والثّقافي، تبع ذلك تغير في أشكال التّعبير، وتغير الذائقة في الإبداع والتلقي. والأدب أحد أهم المكونات التي أصابها هذا التّغير، وكانت القصة القصيرة من أبرز إفرازاته. وقد شهدت السّاحة الأدبية الأردنية والعربية نموا مضطردا بهذا اللون القصصي، بوصفه أحد أهم نتاج مرحلة التّجريب التي عاشتها القصة، وعلى الرغم من افتقاره إلى القواعد والأسس الناظمة والمميزة له، إلا أنه لقي رواجا وحضورا في المشهد الأدبي، ساعد في ذلك وسائل الاتصال الحديثة، التي راقها أن تجد أدبا بحجم المساحة المتضائلة يوما بعد يوم، فزخرت به الصحف اليومية والمجلات والمدونات الإلكترونية. والقصة القصيرة ليست جنسا أدبيا متفردا بذاته، بل هي تعبر عن مرحلة متطورة في الإبداع الإنساني، تمرد على التفصيل، والاستطراد، والحشو، التي لم تعدّ تتلاءم مع الحداثة في الزمان وفي المكان وفي وسائل الاتصال. فجاء هذا اللون القصصي مكثفا مختزلا في معظم عناصره، مهتما باصطياد اللقطات الإنسانية المهمة وتدوينها ومعالجتها بأسلوب ساخر جميل. شهدت السّاحة الأردنية احتفاء لافتا بهذا اللون القصصي، فكثر كتابها، وكثر قراؤها، وتناولتها أقلام النّقاد بالبحث والدّراسة. وفي هذا البحث سنقدم دراسة شاملة

* المحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة كشمير، الهند.

عن ظهورها (أي القصة القصيرة) في الأدب العربي، ونبين نشأتها وتطورها في الأردن وهو غاية الدراسة والبحث.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة، الأدب العربي، الأردن، القصة الأردنية، النشاطات الأدبية.

المقدمة:

إن التّجربة الأردنية لم تتخلف عن التّجارب العربية، بل ترافقت معها في الزمان، والقيمة الفنية، وحجم المنجز، وكان للمرأة القاصة مشاركة قوية في كتابة هذا اللون، فاقت إسهام القاص الرجل، معظم القاصات الأردنيات كتبن القصة القصيرة، على الرغم من شروطها الجمالية الصعبة، إلا أنها تجاوبت مع هموم المجتمع الأردني وحاجاتها، وكان للهموم الاجتماعية قصب السبق، دون إغفال لقضايا الأمة الوجدانية والمصيرية.

لقد شهدت القصة القصيرة في الأردن سبعا وتسعين سنة من عمرها (١٩٢٢-٢٠١٩م)، وفي هذه المدة الطويلة لقد مرت القصة القصيرة الأردنية على مراحل مختلفة من نشأتها وتطورها. ويرى الباحث أن القصة القصيرة الأردنية ما زالت تنشأ عاما فعاما وعقدا فعقدا حتى حصلت على النضج الفني في الخمسينيات والستينيات، وبرعت في الصّورة الفنية الكاملة في السبّعينيات وما بعدها، أن الظروف المختلفة سببت ظهور القصة القصيرة في الأردن ولكن هذا الظهور لم يأت فجأة، ولم تتكمل نشأة القصة القصيرة في مدة قليلة. ولمزيد من الإيضاح، سنصور القصة القصيرة في صورة بناء، فكما أن البناء لا يتكمل في ليلة، إن القصة القصيرة في الأردن لم تتأتّ في الصورة الفنية الكاملة في سنة أو سنتين، بل مرت سنون في تشكيل القصة القصيرة بملاحها الفنية المتميزة.

المدخل:

مرحلة الظهور للقصة القصيرة في الأردن تمتد من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٤٨م، وهذه المرحلة قد سميت مرحلة الولادة للقصة القصيرة، فالرواد في بداية

المرحلة غرسوا البذور للقصة القصيرة والأدباء الخالقون قاموا بتربية الشجيرات، حتى صارت هذه الشّجيرات عبر العصور أشجارا كبيرة ناضجة، وليلاحظ أن نشاة القصة القصيرة في الأردن قد ظلت تحت الأدب الفلسطيني، وهناك عديد من الأدباء الذين ساهموا في القصة الأردنية، والقصة الفلسطينية معا، ولذلك تتلاحق دراسة القصة الأردنية والقصة الفلسطينية، ويمكن لنا أن نقول إن الأدب الفلسطيني كان عاملا رئيسيا في ولادة القصة القصيرة في الأردن، وهذا الأمر يتحقق من أن الرواد للقصة القصيرة في هذه الفترة لقد جاءوا من البلاد المجاورة خاصة فلسطين وسوريا، فهذا الفن قدم إلى الأردن من خلف الحدود، فأبو غنيمة كان يقيم في الشام وينتقل بين دمشق وإربد وحلب وإستنبول واستقر لفترة في برلين، وقدم كل من شكري شعشاعة ومحمود سيف الدين الإيراني من فلسطين، وكان للقصة القصيرة في هذه الفترة ميزات تمتاز بها، هي مرحلة الولادة للقصة القصيرة ونشأتها الإبتدائية، لذلك لم تشاهد هذه المرحلة العمل القصصي على نطاق واسع، ولهذا كانت المجموعات القصصية قليلة في هذه الفترة كما كانت أسماء كتابها محدودة أيضا. ففي الثلاثينيات من القرن العشرين، لم يكن هناك سوى عملين قصصيين : الأول كتاب " وطنية خالدة وأزاهير الصحراء" لروكس بن زائد العزيزي الذي صدر عام ١٩٣٦م، والثاني "أول الشوط" لمحمود سيف الدين الإيراني الذي صدر عام ١٩٣٧. والقصة القصيرة في هذه المرحلة كان مفهومها ساذجا وبسيطا وسطحيا فهي كانت تمثال الأساطير الرائجة في الأزمان السالفة، ولذلك لم يك هناك حبكة مرتبطة ووحدة الانطباع في المعنى الفني وغيرها من المكونات التي تعد لازمة للقصة القصيرة. وهذه الميزة تتم عن طفولة القصة القصيرة في هذه المرحلة، ويقول محمد يوسف عبيدات"تأسست جذور القصة القصيرة على الحكايات ذات الأبعاد الأسطورية والغيبية، والموروث الفلكلوري الشعبي، بما يعمله هذا الموروث من بساطة في التركيب



والطرح، فلم تغب صورة الجان والعفاريت، والأمير والفقير، والنبع والبادية كمكون رئيس من مكونات القصة ومفرداتها الأكثر شيوعا"[١]. وقد رأى سمير قطامي أن من الصعب إدراج أعمال هذه الفجوة ووضعها في أطر فنية، لأنها قامت على بناء فني بسيط وأدوات تعبيرية ساذجة، لا تتعدى باب الحكاية أو الخبر المساق للوعظ والإرشاد، وقد كانت الصبغة الغالبة للقصص هي التدخل السافر وفرض الآراء، سمات واضحة تميز أقاصيص هذه الطلائع، وتضعف التكنيك القصصي، والبناء الفني فيها[٢].

ولدت القصة القصيرة في الأردن مع ولادته بوصفه بلدا جيوسياسيا، وبالتحديد عام ١٩٢٢م، وقد أجمع الدارسون على أن "محمد صبحي أبو غنيمة" (١٩٠٢-١٩٧٠م) هو أول من كتب قصة أردنية. ولا يريد الباحث الخوض في الظروف التي أدت إلى ولادة هذا الفن، ولكن لا بد من تسجيل جملة من الملاحظات.

يرى الباحث أن تخلق هذا الفن (في الأردن) لم يتأت فقط من الخلل الذي أصاب التركيبة الاجتماعية، وإعادة توزيع الطبقات الاجتماعية، وبالتحديد ولادة طبقة جديدة هي الطبقة البرجوازية، إذ لم يكن المجتمع الأردني في ذلك الزمان أكثر من طبقة واحدة، طبقة رعوية أمية، تحكمها قوانين القبيلة، حيث لا غني فيها ولا فقير، أمة لا تقرأ ولا تكتب، خلافا للبلدان المجاورة " مصر وسوريا وفلسطين والعراق" حيث شهدت تلك الأقطار التكوين الطبقي الثلاثي، والتغيرات الملموسة لهذا التكوين في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعلى نحو يذكر بما حصل في أوربا قبل ذلك بقرن ونصف. فالأردن بإمكاناته لم يعرف طبقة إقطاعية على النحو الذي عرفته البلدان المجاورة.

---

[١]. ياغي عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٣م.
[٢]. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الاردن، (١٩٢١-١٩٤٨)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٨٩م.

فهذا الفن قدم من خلف الحدود، فأبو غنيمة كان يقيم في الشام ويتنقل بين دمشق، إربد، حلب، استنبول، واستقر لفترة في برلين، وأصدر فيها أول مجلة عربية، هي "مجلة الحمامة". وقدم كل من "شكري شعشاعة" و"محمود سيف الدين الإيراني" من فلسطين، وهؤلاء جميعهم اطلعوا على تجارب الأمم الأخرى في القصة، ساعدهم في ذلك إتقانهم لغات تلك الأمم. فأبو غنيمة أتقن التركية والألمانية، و"عيسى الناعوري" الإيطالية، و"خليل بيدس" الروسية، و"عبد الحميد ياسين" الفرنسية والإنجليزية، حيث كان لهم تأثير واضح في مسيرة القصة الأردنية. ولا نغفل مطلقا نشوء وتكون شريحة اجتماعية متعلمة، ساهمت في تكوين خصائص جديدة للمجتمع الأردني، وأغنت المشهد الأدبي عموما، ومعظم هؤلاء ممن تلقوا تعليمهم في مدارس بيروت ودمشق.

وإن كانت نصوصها تقترب من القصة القصيرة، فقد كانت المجموعات القصصية في هذه الفترة قليلة جدا، وإن أسماء كتابها كانت محدودة أيضا، وظلت على مدى عقود هي ذاتها، ومسكونة بالرؤى الذاتية في أغلب الأحيان.

تأسست جذور القصة القصيرة على الحكايات ذات الأبعاد الأسطورية والغيبية، والموروث الفلكلوري الشعبي، بما يحمله هذا الموروث من بساطة في التركيب والطرح، فلم تغب صورة الجان والعفاريت، والأمير والفقير، والنبع والبادية كمكون رئيس من مكونات القصة ومفرداتها الأكثر شيوعا، وكأنها انعكاس لمنظومة المفاهيم والقيم الاجتماعية البسيطة السائدة آنذاك.

ومع تقدم الزمن وفي الثلاثينيات تحديدا، شهدت الأعمال القصصية تحول القاصين للتاريخ، يغرفون منه قصصهم ويسقطونها على الواقع الاجتماعي، (كأبناء الغساسنة، وإبراهيم باشا) عام ١٩٣٦م لـ"روكس العزيزي". والسبب هو عقم الحراك الاجتماعي الذي يولد تفاعل الأديب مع بيئته.

كان لصدور المجلات والصحف في نهاية المرحلة أثر بارز في نضج التجربة الأردنية، فقد حفلت مجلتا الرائد والجزيرة، بالعديد من القصص، وكثرت

الأسماء والمجموعات، وقد وصل عدد الصحف في شرق الأردن بين عامي ١٩٢٣-١٩٤٩م[٣]، اثنتين وأربعين صحيفة ومجلة، بين أهلية ورسمية ومدرسية وحزبية، ولعل أول مجلة أصدرها أردني هي مجلة الحمامة، لـ"محمد صبحي أبو غنيمة" في مدينة برلين. وقد رصد أسامة يوسف شهاب، تسعا وأربعين قصة منشورة في جريدة "الجزيرة"، لسبعة وثلاثين كاتبا، بين عامي ١٩٣٣-١٩٥٢. ورصد "عبد الرحمن ياغي" أكثر من عشر قصص نشرت في مجلتي الرائد والجزيرة، كتبها كل من عيسى الناعورين فالح الغرايبة، متري شرايحة، عبد الحليم عباس، صالح السلفيتي، عبد الرزاق الحمود، وأديب عباسي[٤]. وحتى في هذه المرحلة، كان مفهوم القصة ساذجا وبسيطا وسطحيا، يقوم على قص حادثة أو حكاية، غالبا ما تكون.

ذاتية معرفة المكان والزمان والشخصيات، ناهيك عن تدخل القاص في توجيه أحداث القصة، مبديا سروره أو امتعاضه من موقف ما، وموجها ومرشدا بطريقة مباشرة. وقد رأى "سمير قطامي"، أن من الصعب إدراج أعمال هذه الفترة ووضعها في أطر فنية، لأنها قامت على بناء فني بسيط، وأدوات تعبيرية ساذجة، لا تتعدى باب الحكاية أو الخبر المساق للوعظ والإرشاد، فلم يكن مستواها بشكل عام في أواخر الثلاثينيات أفضل مما كتب في أوائل الثلاثينيات. وقد كانت الصبغة الغالبة للقصص، هي التدخل السافر وفرض الآراء، سمات واضحة تميز أقاصيص هذه الطلائع، وتضعف التكنيك القصصي، والبناء الفني فيها"[٥].

---

[٣]. محمد عبيد الله، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ص ٣٥، ٢٠٠١م.

[٤]. أسامة يوسف شهاب، صحيفة الجزيرة الأردنية: دورها في الحركة الأدبية، وزارة الثقافة الأردنية عمان، الأردن، ص ١٥٥، ١٩٨٨م.

[٥]. عبد الرحمن ياغي، القصة القصيرة في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ص ١٦، ١٩٩٣م.

ومن هنا نستطيع القول: "إن الأعمال القصصية في الفترة الأولى، لم تقترب من الواقع، ولم تتفاعل مع الحياة، ولم تتناغم مع مسيرتها وحركتها الدائبة، بل اقتصرت على إجراء بعض التجديدات المحدودة والبسيطة في الشكل الفني الذي كان سائدا في الساحة العربية، عن طريق تضمين أعمالهم بعض البصمات الحياتية، والتساهل في استخدام اللغة الثالثة"[٦]، وهي اللغة المزيج بين الفصحى والعامية. ثم الاقتباس من اللغات الغربية، مع أن الركائز الأساسية للتطور، والأسس الفنية التي يقوم عليها، والتي تحتاج إلى الانغماس في الواقع بقيت على حالها. "أي أن الأدب لم يحتف بالواقع، ولم يجعله همه المفضل إلا في الخمسينيات من هذا القرن"[٧].

مرحلة النضج ١٩٥٠- ١٩٧٠ م:

شهدت هذه المرحلة تزاوجا اجتماعيا بين النازحين من فلسطين، وسكان شرق الأردن، إثر نكبة عام ١٩٤٨م. فالقادمون من فلسطين بما يحملونه من قيم معرفية وحضارية ساهموا مساهمة كبيرة في تغير البنية الاجتماعية لسكان شرق الأردن، ما عكس أثره على مناحي الحياة كافة، وقد أصاب القصة القصيرة كغيرها جانب كثير من التأثير نتيجة هذا التزاوج، وكان لقضية فلسطين حضور فاعل في نتاج هذه المرحلة، وبدأت المجموعات تتوالى، ولمعت أسماء كان لها حضور مهم في الساحة الأدبية مستقبلا. ويسجل الباحث هنا المجموعات القصصية التي صدرت في هذه الفترة.

١- من وحي الواقع — أمين فارس ملحس — ١٩٥٢م
٢- عطف أم وقصص أخرى — عبد الحميد الانشاصي — ١٩٥٢م
٣- الأخوات الحزينات — نجاتي صديقي — ١٩٥٣م
٤- شعاع النور — محمد أديب العامري — ١٩٥٣م
٥- وطنية خالدة وأزاهير الصحراء — روكس العزيزي

[٦] . سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرق الأردن ١٩٢١–١٩٤٨م، وزارة الثقافة، عمان، ص ١٤٧، ١٩٨٩م.
[٧] . جاسم عاصي، نظرة شاملة في المشهد القصصي الأردني، ٢٠٠٠م.

العنوان	المؤلف	السنة
٦- طريق الشوك	عيسى الناعوري	١٩٥٥م
٧- المجنون يعشق الموت	ميشيل الحاج	١٩٥٥م
٨- مع الناس	محمود سيف الدين الإيراني	١٩٥٥م
٩- خلي السيف يقول	عيسى الناعوري	١٩٥٦م
١٠- قصص ونقدات	حسني فريز	١٩٦٧م
١١- الدحنون	محمد سعيد الجندي	١٩٥٩م
١٢- عشر قصص مصورة	عبد الحميد ياسين	١٩٥٩م
١٣- عائد إلى الميدان	عيسى الناعوري	١٩٦١م
١٤- حبة البرتقال	محمد عناني	١٩٦٢م
١٥- ما أقل الثمن	محمود سيف الدين الإيراني	١٩٦٢م
١٦- يا أيها الإنسان	يوسف العظم	١٩٦٢م
١٧- الشيوعي المليونير	نجاتي صديقي	١٩٦٣م
١٨- متى ينتهي الليل	محمود سيف الدين الإيراني	١٩٦٣م[٨]

وقد كان لانتشار التّعليم وانتشار المدارس في مختلف أرجاء البلاد، وتوفر ظروف سياسية مناسبة كالصراع الذي دبّ بين الدول العربية (التقدميّة) التي تنادي بوحدة الأمة العربية وتحررها، وبين دول اتهمت بالرجعية والعمالة، ثم الصراعات الأيديولوجية الكثيرة والمتباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، كل ذلك أدى إلى ولادة شريحة اجتماعية مثقفة، وتبعا لنشوئها، ازداد انتشار الصحف والمجلات ودور النشر، وطباعة الكتب مما شكل بيئة مناسبة لانتشار الفن القصصي، ولم تعد القصة مجرد كذبة متفق عليها بين القاص والقارئ، أو موعظة أخلاقية، أو خلاصة تجارب ذاتية، إنما أصبحت مكونا مهما من مكونات المشهد الفكري والثقافي، ووسيلة من وسائل التغيير في المجتمع، وكان لعمليات الترجمة واطلاع الكتاب على نتاج كبار القاصين العالميين، أثر في خلق بيئته مناسبة لازدهار هذا الفن.

[٨]. حسين جمعة، القوس والوتر، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص ١١، ٢٠٠١م.

ويسجل الباحث على هذه المرحلة الملاحظات التالية :

- ازدياد عدد القاصين وازدياد الإصدارات زيادة ملحوظة، وهو ما يؤشر على زيادة الوعي الثقافي للمجتمع بعمومه، مع ملاحظة أن بعض القاصين استحوذوا على نصيب الأسد في نسبة الإصدارات، فقد أصدر كل من "عيسى الناعوري" و"محمود سيف الدين الإيراني" ست مجموعات من أصل ثماني عشرة مجموعة هي مجمل الإصدارات في الأردن.
- لم تكن القصة في مفهوم كتابها، تعني أكثر من حكاية لحادثة بسيطة ذات مغزى أخلاقي، أو رسما سريعا لانطباع ما عن شخصية من الشّخصيات أو قضية من القضايا، وقد كانت هذه النظرة شخصية بدرجة نستطيع معها أن نقول " إن الكاتب وهو يتناول الشخصية المأزومة لم يمتد بها ليشمل أفراد المجتمع، ولم يحاول أن يكشف جميع الشخصيات التي يعرضها، وحتى حين يعرضها يتناولها من زاوية معينة".
- الاعتماد على أسلوب السّرد التلقيني، والوصف المخل بسلاسة وتتابع الأحداث. فقد كان القاص يقوم بتصوير الشخصية تصويرا مباشرا، وبعد ذلك يدخلها جو القصة عنوة دون أن يتيح لها رسم صورتها من خلال حركتها داخل النص القصصي.

وبصورة عامة اختفت المبالغات والمصادفات اللامعقولة، واختلف الخطاب القصصي، فما كان مقنعا في الأربعينيات لم يعد كذلك في مجتمع متعلم. ثم خفت وتيرة العودة للتاريخ واستقرائه، ومالت القصة إلى معالجة قضايا اجتماعية، كالعلاقة الزوجية، والأمانة والغدر، ورغم ذلك بقيت القصة في المراتب الأخيرة من اهتمام الأدباء

والمثقفين "اعتادت الصحف أن تنشر في صفحتها الأخيرة قصة يتسلى بها القراء إذا ما فرغوا من تصفح سائر الأبواب"[٩]، ولعل ذلك اعتراف بمكانة القصة القصيرة.

- يلحظ أنه من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٧٠م، لم تصدر أية مجموعة قصصية، ما يستدعي دراسة هذه الظاهر دراسة معمقة باحثة عن الأساليب.
- غياب حركة النّقد غيابا نهائيا، ما نتج عنه استمرار الأعمال القصصية ضمن نمطية واحدة، وتقليد ما ترجم من أعمال لعمالقة القصة الغربيين، لا سيما وأن حركة الترجمة راجعت رواجا لافتا في هذه المرحلة.

وبالرغم من أن هذه المرحلة في القصة الأردنية كانت تهتم بمحتوى النص لا بشكله فقد شهدت عمليات تمرد وخروج عن هذا المنهحى، لكنها لم تكن سوى محاولات لم تلبث في مرحلة قادمة من أن تصبح ظاهرة حين أصبح التعاطي مع النص القصصي كوحدة متكاملة.

وقد أراد الباحث من وراء سرد هذه التفاصيل عن بدايات الفن القصصي في الأردن، ومرورا بمرحلة النضج التي عاشها المشهد القصصي، بيان المستوى الفني لهذا اللون الأدبي في مراحله الأولى وكيفية تطوره مع مرور الأيام، سواء على مستوى الرؤى أو القضايا، أو الأساليب وأدوات ووسائل التشكيل الفني، وهو ما يوصلنا إلى مرحلة جديدة من مراحل تطور القصة القصيرة.

مرحلة التجريب:

---

[٩]. حسن عليان، فن القصة القصيرة في فلسطين، القصة القصيرة في الأردن، أوراق ملتقى عمان الثقافي، دار أزمنة عمان، الأردن، ص ٦٠، ١٩٩٤م.

وهي مرحلة الخروج على القوالب الجاهزة، والتحلل من الأطر التقليدية في الكتابة، وهي التي عكست حالة القلق والتوتر التي أصابت المثقف الأردني، نتيجة الهزائم والانكسارات التي أصابت وجدانه، مما أدى إلى تخلخل القديم والمبادئ الناظمة لحياة الأمة، وظهور مستويات جديدة من الصدام بين المثقف الأردني، والواقع الذي يعيشه، وكان لاطلاع القاصين الأردنيين على ثقافات وتجارب الأمم والشعوب الأخرى، أثر بارز في ازدياد حركة التحدث والتجريب، وتطور الرؤيا الفنية، حيث لم يعد بالإمكان القبول بالأشكال والتقنيات والأساليب الاعتيادية، لمواجهة التغيرات الجديدة في البنية الاجتماعية، مستفيدين من تزايد حركات الترجمة والنقل، وافتتاح المراكز الأكاديمية والجامعات والهيئات الثقافية المختلفة، والتي كان للأردنيين الذين تلقوا تعليمهم في الخارج دور مهم فيها، ومشاركتهم في الحركة الأدبية مبدعين ودارسين ونقاد.

لقد حققت القصة القصيرة في هذه المرحلة "جملة من الخصائص المميزة، والجماليات النوعية، ومع أن هذه السمات ليست ابتداعا خالصا ولا بدعا ساطعة، فإنها يمكن أن تخص الجيل القصصي الجديد، ويمكن أن نميزه بالنظر إلى اتساعها في نتاجه، وإلى ما بذله قصاصوا هذا الجيل من جهد في تطويرها وتعديلها"[١٠].

فاللغة لم تعد تستخدم استخداما مباشرا، إنما أصبح لها استخدام جديد، استخدام شعري يعتمد التغريب في الدلالة مع التركيز على تصوير البعد الجمالي في اللغة، فلم تعد لغة القص مجرد وسيلة لإنضاح الفكرة، أو لإبراز السرد وأحداثه، وإنما أصبحت أداة جمالية مستهدفة لذاتها حيث تسهم أحيانا في كسر المألوف، وخلق بنية رمزية غرائبية تتجاوز الواقع.

[١٠]. محمد عبيد الله، جماليات القصة القصيرة في الأردن، ص ١٢٥، ٢٠٠٢م.

ولعل أبرز ملامح هذه المرحلة هي الواقعية حيث "لم يعد للقصة كيان خارجي وإنما تحولت إلى الذات أو الواقع الداخلي بدلا عن الواقع الخارجي"[٤٢]، وهو ما ولد بالتالي سمة التداخل بين السرد والشعر، والتي نلمسها في أكثر الأعمال القصصية في هذه المرحلة، حيث شاركت القصة الشعر في أدواته.

يقول "جمال يونس" في قصة "سهم مفاجئ":

"القصة التي استعمرك بعيونها، لم تكتشف روعة تعثر الخطوات في عالمك.

لم تذق طعم النظرة التي تغدو (صباحا) يستأنس بشعاع شمس خجول.

رفعت كفها الناعمة النحيلة إلى خصلات شعرها، وسمحت لأنامل عاجية بالنواغل عميقها وسريعا.

تاهت أركان دنياك، وضج سؤال أربك الطريق، وأحالته الذات للذات"[١١].

وقد أورد عدد من الدارسين الأردنيين الأنماط والأساليب القصصية الجديدة في هذه المرحلة وبإسهاب، مسجلين أهم الأشكال المستحدثة، والتي اتسمت "بغرائبية الحدث، وتهميش الزمان، وضبابية المكان، وتوظيف الأساطير، بمعنى تجاوز عناصر الزمان والمكان وخلط الوهم بالحقيقة" وأستطيع أن أجمل هذه الأنماط على النحو التالي:

اللقطات السّينمائية:

حيث لجأ عدد من كتاب القصة القصيرة في الأردن إلى إسقاط بعض العناصر الخاصة بفن السينما على بعض المشاهد والوقائع الحياتية التي يعكسونها في قصصهم، ومن أبرز الكتاب الذين انعكست المشاهد واللقطات السّينمائية قي قصصهم: "يوسف يوسف" في مجموعته، "الطائر المفقود"، ١٩٨٥م. "بسمة النسور" في مجموعتيها "نحو الوراء"، ١٩٩١م، و"اعتياد الأشياء"، ١٩٩٤م.، و"صباح المدني" في مجموعتها "سهرة على شرفة القلق"، ١٩٩٧م. و"عدنان مدانات" في مجموعته "العمر الجميل"، ١٩٩٧م. و"محمد طميلة" في مجموعاته

---

[١١]. المرجع نفسه، ص ٢١٣.

"جولة العرق"، ١٩٨٠م، "الخيبة"، ١٩٨١م، "ملاحظات حول قضية أساسية"، ١٩٨١م، "المتحمسون الأوغاد"، ١٩٨٦م، و"عباس أرناءوط" في مجموعته "الماء وركض"، ١٩٩٥م. و"عزمي خميس" في مجموعته "جلبة في الممر"، ١٩٩٥م"[١٢].

اللوحات القصصية:

انعكست ممارسات بعض كتاب القصة لفن الرسم على قصصهم، فتناولوا أحداثا ممزوجة بشكل غير طبيعي، وكان طموحهم أن يعيدوا ترتيبها وتسلسلها بشكل منطقي، يوازي ما هو معروف ومألوف في واقعنا، ومن أبرز الكتاب الذي تتضح اللوحات القصصية في مجموعاتهم:

"زهيرة زقطان" في مجموعتها "أوراق غزالة" ١٩٨٦م. و"ليلى الأطرش" في مجموعتها "يوم العادي" ١٩٩٨م. و"وليم هلسة" في مجموعتيه "الجدران المثقوبة" ١٩٨١م، و"الرحيل إلى الداخل" ١٩٩٧م"[١٣].

قصص الميثولوجيا:

اعتمدت إعادة تشكيل المخزون الأسطوري، بشكل أضفى عليه دلالات معاصرة دون أن يأسرهم سحر الأسطورة، أو المكان أو الزمان الذي ظهرت فيه، أو الكيفية التي تم تقديمها به، ودون أن يؤثر ذلك على النسيج القصصي عندهم، فهم يكتبون بوعي، يسيطرون من خلاله على المواقف الميثولوجية، ويضفون عليها من روحهم المعاصرة. ومن أبرز كتاب القصة الذي انعكس ذلك في قصصهم هم:

"مفلح العدوان" في مجموعتيه "الدواح" ١٩٩٥م، و"الرحى" ١٩٩٧م. "محمد طحمير" في مجموعته "أواكس" ١٩٩٨م. و"محمد خليل" في مجموعته "ذات

[١٢]. انظر- ايناس ابو سالم، اتجاهات القصة القصيرة في الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، ص ٢٠-٢٥، ٢٠٠٤م.
[١٣]. محمد المشايخ، القصة القصيرة في الأردن، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.

مساء في المدينة" ١٩٨٦م. و"نبيل عبد الكريم" في مجموعته "الصور الجميلة" ١٩٩٦م".[١٤]

قصة الفانتازيا :

وهي رفض حدود المنطق العقلي التقليدي، والانطلاق إلى عوالم ما فوق الطبيعة المادية، وهي قصص تغلب عليها الضبابية والغرابة والتفكك، ويهدف كتابها إلى التعبير عن الفوضى الحضارية والفكرية التي تعم حياتنا المعاصرة، والتي ترفض الاعتراف بالأمور الواقعية التقليدية، ومن أبرز كتاب القصة الذين استخدموا الفانتازيا في قصصهم هم :

"عبد الله الشحام" قي مجموعتيه "لا أقسم بالشمس" ١٩٨٤م، و "الآلة الصندوق" ١٩٨٥م. و"عمار الجنيدي" في مجموعته القصصية "الموناليزا تلبس الحجاب" ١٩٩٨م. و"سعيد الخواجا" في مجموعته "اللافتة" ١٩٩٦م".[١٥]

الميتا قصة :

"كانت القصة فيما سبق تلزم السارد أن يحدد علاقته بما يروي، وبالتالي لا يسرد إلا ما يعرف، أو ما يسمح له موقفه في القصة أن يعرفه، أي : المحافظة على وهم اللعبة التخييلية. لكنها في الحقبة الأخيرة اقتحمت هذه الحدود، فصار الكاتب يتدخل صراحة وقصدا في مجرى الأحداث، كاشفا لعبة الإيهام، محاورا نفسه أو شخصياته، أو يتحدث عن قصته وعن صلته بها، بوصفه خالقا وبطلا في الآن نفسه للنص السردي، وهكذا صار بمكنة القصة أن تتأمل ذاتها، وتتمرأى في ذاتها، وهناك أمثلة كثيرة على هذه النمط السردي كما في قصص لـ"أحمد النعيمي" و"زياد بركات" و"نبيل عبد الكريم"".[١٦]

---

[١٤]. محمد عطيات، القصة القصيرة في الأردن، البدايات والروئ، ٢٠٠٦م.

[١٥]. انظر- المرجع السابق.

[١٦]. محمد عبيد الله، جماليات القصة القصيرة في الأردن، عمان، ص ٢١٢، ٢٠٠٢م.

ومن هنا، نستطيع القول، إن القصة القصيرة جنس أدبي ظهر على الساحة الأدبية، وكان حضوره المتميز والمتابع لنشأة هذا الفن وتطوره في الأردن، "يجد أنه لم يبدأ من الصفر، فقد أفاد كتّابها من تجارب في مصر وسوريا ولبنان والمهجر".

"وقد كان للصحف اليومية والأسبوعية والملاحق الثقافية والدوريات دور في انتشار هذا الفن"[١٧].

وتشير الدراسات التي أرّخت للحركة الأدبية في الأردن، أن خليل بيدس كان رائد فن القصة القصيرة في فلسطين والأردن وفي وطن العربي، فقد سبق كثيرين إلى الترجمة والنقد والتأليف، وتتجه الأنظار من ثم إلى محمود سيف الدين الإيراني الذي يعد القطب الثاني بعد بيدس، إذ بدأ بكتابة القصة منذ مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين حتى وفاته، كما تتجه الأنظار إلى نجاتي صدقي وعاف العزوني وأحمد الدباغ وحنا سويدة وعبد الحميد ياسين، الذي ظهرت أولى قصصه عام ١٩٤٦م، وإلى جانب هؤلاء كان محمد صبحي أبو غنيمة الذي نشر قصصا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الفائت. وتجلى إبداعه في قصته "محبة الله". وكان شكري شعشاعة صاحب كتاب "ذكريات"، وعبد الحليم عباس صاحب رواية "فتاة من فلسطين"، ومحمد أديب العامري صاحب "الاتجاه الأخلاقي في القصة الأردنية"، وقد برز هذا الاتجاه في مجموعته "شعاع النور"، حسني فريز في كتاب "قصص ونقدات" حيث بدأ فيه رائدا لمذهب النقد الاجتماعي المباشر في القصة في الأردن.

وهناك الكثيرون مثل عيسى الناعوري وأمين فارس ملحس ومحمد سعيد الجنيدي، "ومن القاصات المميزات كانت سميرة عزام التي راوحت في قصصها بين الرومانسية والواقعية، ونجوى قعوار التي مثلت الاتجاه الاجتماعي في

---

[١٧]. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الأردن، وزارة الثقافة والشباب، عمان، الأردن، ص ١٤٢، ١٩٨١م.

مجموعتها "عابروا سبيل"وصبحي أبو غنيمة صاحب "أغاني الليل" وهي أول مجموعة قصصية في الأردن[١٨]، وقد صدرت عام ١٩٢٢م. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين، لم يكن هناك سوى عملين قصصين : الأول كتاب "وطنية خالدة وأزاهير الصحراء" لروكس بن زائد العزيزي الذي صدر عام ١٩٣٦م. والثاني "أول الشوط" لمحمود سيف الدين الإيراني، الذي صدر عام ١٩٣٧م.

وفي الأربعينيات، كان هناك عدد الأسماء القصصية التي برزت من مثل : عيسى الناعوري، وفتى اليرموك، وفالح الداوود الغرابية وعقلة راجحي، ومتري شرايحة، وعبد الحليم عباس وغيرهم،وقد احتضنت كل من جريدة "الجزيرة" ومجلة "الرائد" قصص هؤلاء الأدباء[١٩].

وتعدّ الخمسينيات بداية نشوء القصة القصيرة بملامحها الواضحة في الأردن، إذ شهدت هذه الفترة انقلابا كبيرا في الحياة الفكرية، ولعبت الظروف السّياسية دورا خطيرا في تشكيل الملامح الثقافية، فقد نجم عن اقتلاع الشعب الفلسطيني عن أرضه وتشريده إلى أراض عربية أخرى، أن تغيرت البيئة المكانية في البلاد العربية التي هاجر اللاجئون الفلسطينيون إليها، وانقلبت الموازين الاجتماعية، وتبدلت البيئة الثقافية، وبخاصة في الأردن الذي لجأ إليه معظم أبناء الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، فأصبح المجتمع الجديد مرتعا للمعاناة الفكرية الأدبية.

وقد أثرت القصة الفلسطينية في القصة في الأردن، وكان كتّاب فلسطين أسبق إلى معرفة القصة القصيرة من كتّاب الأردن، نتيجة الانفتاح الثقافي المبكر للسكان فيها على البلاد العربية المجاورة، ومعرفتهم ماهية فن القصة القصيرة ودورها في الحياة[٢٠].

---

[١٨]. انظر – المرجع السابق، ص ١٦٧.
[١٩]. محمود سيف الدين، ثقافتنا في خمسين عاما، دار الثقافة والفنون عمان، الأردن، ص ١٢٩، ١٩٧٢م.
[٢٠]. عطيات محمد، القصة الطويلة في الأدب الأردني، ص ٢٣.

ويمزج هاشم ياغي في كتابه القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ١٨٥٠- ١٩٦٥م بين كتّاب القصة في الأردن وفلسطين منذ بداية الرواد، ولعل ذلك يرد إلى الاختلاط والتجانس بين أبناء ضفتي نهر الأردن، هذا التجانس الذي عبر عن نفسه بمجتمع واحد اختلط والتحم بعد نكبة ١٩٤٨م، وقد عانى هذا المجتمع بفعل الاحتلال الإسرائيلي وتشريد سكان فلسطين، من مشكلات صحية واجتماعية واقتصادية وسياسية حادة، عبرت عن نفسها بالنتاج القصصي الذي ظهر في تلك الفترة"[٢١].

وبلغ ما نشر من القصة القصيرة في عقد الستينيات في الأردن، إحدى عشرة مجموعة، وقد أسهمت مجلة "الأفق الجديد"(١٩٦١- ١٩٦٥) في نشر نتاجات الكتّاب الأردنيين من القصة القصيرة في هذه الفترة، وقد شجع النقاد كتّاب القصة القصيرة من خلال دراستهم وترجماتهم وما أجروه من مسابقات، وكذلك انفتاح جيل الشباب على الثقافات المختلفة على تعدديتها، فتعرفوا إلى مختلف الأنماط الأدبية والاتجاهات الأدبية المختلفة"[٢٢].

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن تأصيل القصة القصيرة في الأردن فإننا نستطيع ذلك عن طريق قراءة التراث النقدي القصصي في الأردن ما بين ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ نجد جيلين متمايزين يتعاورون التراث القصصي هما، **أولا** : جيل الرواد، الذي تخطّى أخطاء كتّاب بدايات القصة القصيرة ومضوا في هذا الفن إلى مدى بعيد من التطور والنضج والالتحام بالواقع الاجتماعي والسياسي"[٢٣]. **وثانيا** : جيل الشباب، وقد كانت هزيمة حزيران بداية مرحلة جديدة، لها آثارها المادية والاجتماعية والنفسية، أعطت جيل الشباب من الكتّاب في أواخر الستينيات والسبعينيات دفعة قوية، وتصورا جديدا، ومواقف جديدة، ورؤية

[٢١]. ياغي هاشم، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ص ١٣، ١٩٨١م.
[٢٢]. انظر – ياغي عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، ص ١٦.
[٢٣]. عليان حسن، القصة القصيرة في الأردن، عمان، ص ٢٨، ١٩٩٤م.

جديدة لأزمة الصراع العربي مع الصهاينة وآثار هذه الأزمة على الفكر والسلوك، فوصفتهم في دائرة الالتزام بالأمة والمجتمع والفرد، ووضعت الإنسان في عين التجربة، ووضعت حداً لحيرة الإنسان وقلقه، وإذا لم يعد لديه مجال للهروب الرومانسي الحالم حتى لا يتهم بالشذوذ أو السلبية.

وشهدت السّبعينيات ظهور مبدعين آخرين في مجالي القصة والرواية منهم : إبراهيم العبسي، ويوسف ضمرة، وهند أبو الشعر، وإلياس فركوخ، وهاشم غرايبة، وخليل قنديل، وعدي مدانات، ورجاء أبو غزالة، وتريز حداد، وسهير التل، وزهرة عمر، وغيرهم. لقد أصبح جيل القصة الذي دخل عقد السبعينيات قادرا على منح القصة أبعادا جديدة، ومذاقا جديدا أو أمتعة جديدة وامتدت رويته إلى واقعة في الوطن وتجاوزته إلى العالم العربي، بل إلى خارج حدود العالم العربي"[٢٤]. وثمة من يربط ذلك "باتساع حركة الترجمة والتأثير والتأليف، ظهور حركة نقدية ناشطة، وتأسيس الجامعة الأردنية".

هناك اتجاهات متعددة لكتّاب القصة القصيرة في تلك المرحلة تتمثل في الاتجاه الفني ويمثله جمال أبو حمدان وأحمد الزعبي وعلي حسين خلف ومحمد طملية وغيرهم، والاتجاه الفكري ومثله إبراهيم العبسي وخليل السواحري وأبو الشعر وإنصاف قلعجي وغيرهم، واتجاه البنية الروائية في القصص ويمثلها مؤنس الرزاز وجمال ناجي وأحمد عودة ومحمد عيد وغيرهم[٢٥].

وقد ازدهر فن القصة في العقد الأخير من القرن العشرين، ولمعت أسماء كتّاب من مثل : الأستاذ مفلح العدوان، وأحمد النعيمي، وغسان عبد الرزاق، وزياد بركات، وباسم الزعبي، وسعيد الخواجة، ويحيى عبابنة. وكان هناك

---

[٢٤]. عليان حسن، القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص ٣١، ١٩٩٤م.
[٢٥]. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الأردن، ص ١٦٣.

حضور لافت للقاصات مثل : جواهر رفايعة، وجميلة عمايرة، وتغريد قنديل، ومريم جبر فريحات، ونوال عباسي، وحزامة حبايب.

ومن ثم فإن التجربة القصصية في الأردن، كانت زاخرة بالأشكال القصصية التي سادت في العالم العربي، وكان ذلك لأسباب تعود إلى تراكم خبرة الكتاب في مجال القصة القصيرة، والاحتكاك بالقصة العربية، والتفاعل مع التراث القصصي العربي، والاستفادة من المؤثرات الأجنبية، ومحاولات التجديد التي أرادها القاصون في مجال القصة القصيرة.

نرى من المناسب أن نقدم تعريفها لغة واصطلاحا وعناصرها وفنياتها.

القصة لغة :

يقصد بكلمة "القص" في اللغة العربية كما ورد في مختلف المعاجم، "قص الأثر" أي تتبع مساره ورصد حركة أصحابه والتقط بعض أخبارهم، ومن هذا المعنى قوله تعالى : "قال ذلك ما كُنّا نبْغِ فارْتدّا على آثارِهما قصصا"[٢٦]. ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى : "وقالت لأُخْته قُصِّيه فبصُرتْ به عنْ جُنُبٍ وهُمْ لا يشعُرون"[٢٧]. ويقال : اقتص أثره وتقصص أثره. والمعنى الثاني هو الإخبار والرواية[٢٨]، فقد ورد في لسان العرب أن الكلمة تعني " تتبع أثر الشيئ شيئا بعد شيئ وإيراد الخبر ونقله للغير، وتعني أيضاً "الجملة من الكلام"[٢٩].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي وردت معان كثيرة لكلمة "قص" متفقة في معظمها مع ما ورد في لسان العرب، ومنها : قص أثره قصاً وقصصياً تتبعه، وجاءت لفظة "قص" في دائرة المعارف لفؤاد أفرام البستاني بهذا المعنى : تتبع وتقصي أخبار الناس وفعالهم شيئاً بعد شيئ، أو حادثة بعد حادثة".

[٢٦]. سورة الكهف، رقم الآية ٦٤.
[٢٧]. سورة القصص، رقم الآية ١١.
[٢٨]. القصة القصيرة، دراسة ومختارات، د. الطاهر أحمد المكي، دار المعارف القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٧٣.
[٢٩]. لسان العرب، مادة: (ق،م).

القصة اصطلاحاً :

من الصعب للباحث أن يضع تعريفاً خاصا شاملاً للقصة، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة التعريفات لكلمة "القصة"، وإلى استمرار عمليات التجريب والتحديث في الساحة الأدبية بشكل عام، ويمكن لنا أن نقدم هنا تعريف القصة عند معظم الكتاب والنقاد، وهو على النحو التالي :

القصة سرد واقعي أو خيالي لأفعال قد يكون نثراً أو شعراً يقصد به إثارة الاهتمام والإمتاع أو تثقيف السامعين أو القراء.

أو "إن القصة عمل أدبي، يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، يتعمق القاص في تقصيها والنظر إليها من جوانب متعددة، ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها، وتسلسل الفكرة فيها وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي وما يكتنفها من مصاعب وعقبات على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة.

القصة في الأدب العربي قبل عصر النهضة:

وقبل أن يخوض الباحث في التعريف بالقصة القصيرة في العصر الحديث يرى من الضروري أن يلقي نظرة عابرة على وجود القصة في الأدب العربي قبل عصر النهضة.

إن القصة في جوهرها وجهة نظر وموقف من الحياة، ومع ازدهار الحضارة العربية بسبب انتشار الإسلام بدأ احتكاكها بالحضارات الأخرى المجاورة لها، ومن هنا أخذت القصة العربية نمطا جديداً، وبدأ العرب يحكون قصصاً وروايات وحكايات شعبية، وبدأوا يسجلونها، حتى وصلت إلى الجيل القادم مجموعات عديدة للقصص العربية القديمة، منها كتاب كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والمقامات لبديع الزمان الهمذاني. كما يوجد في المكتبة العربية كتب أخرى كثيرة جمعت القصص العربية القديمة في موضوعات شتى مثل قصص محاسن الأخلاق، وقصص مساوئ الأخلاق،

وقصص في الكرم والجود، وقصص البخلاء، وقصص الملوك والأمراء، وغيرها من القصص الكثيرة. ومن أهم ما نجد من كتب حوت على القصص في التراث العربي هي : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد لإبن عبد ربه، وأخبار الحمقى والمغفلين لإبن الجوزي، وكتاب البخلاء للجاحظ، وغير ذلك من كتب التراث.

والعرب قديماً كانوا يرون أن "القصة أقدر الأساليب الأدبية على تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، وتمثيل الأخلاق وتصوير العادات والتقاليد، ورسم خلجات النفوس، كما أنها إذا شرف غرضها، ونبل مقصدها، وكرمت غايتها، تهذب الطباع وترقق القلوب، وتدفع الناس إلى الاقتداء بالمثل العليا"[٣٠]، وكما يقول الدكتور زكي مبارك "بأن العرب، كجميع الأمم لهم قصص وأسلوب وأحاديث وأسماء وخرافات وأساطير يقضون بها أوقات الفراغ، ويصورون بها عاداتهم وطباعهم وغرائزهم من حيث لا يقصدون"[٣١].

وعلى هذا يمكن القول بأن الأدب العربي كان حافلا بالقصة والرواية والحكاية مثل الآداب العالمية الأخرى.

أما القصة وخاصة القصة القصيرة كنوع أدبي مستقل كما هو متعارف الآن فتاريخها قريب جداً، حيث عرفها الأدب العربي في القرن التاسع عشر، وذلك بتأثير الأدب العربي من الآداب الأوربية. فإن القصة عموما حكاية، والحكاية خصوصاً أن يروي إنسان لآخرين ما رأى أو سمع أو تصور، وهي على هذا قديمة قدم المجتمع الإنساني واطلع العرب خلال القرن العشرين اطلاعاً ما على الأدب الغربي، واطلعوا على القصة الحديثة منه، ورأوا المكانة الشامخة التي تحتلها، وألموا بالصفات التي تميزها على حين لم يكن لديهم منها شيئ.

---

[٣٠]. قصص العرب، إعداد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، المقدمة، ج١، ص ٣٠.
[٣١]. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج١، ص ١٩٧.

والقصة القصيرة قد اختلف النقاد كثيراً في تعريفها، وذلك لأن القصة القصيرة قد ظهرت على حيز الوجود قبل أن يحاول النقاد إيجاد مجموعة من النظريات الضابطة لها، فليس من الغريب أن يجد الباحث من النقاد من يقرر أن ليس ثمة تعريف جامع لهذا النوع الأدبي الحديث الولادة. ولا يمكن للباحث أن يقوم بذكر كل تعريف للقصة القصيرة، لأن تعريفاتها قد تعددت بتعدد معرفيها، فعرفها كل واحد من النقاد حسب رؤيته[٣٢]، ولكن طبيعة الدراسة تقتضي إيراد بعض التعريفات، فيقول عز الدين إسماعيل عن القصة القصيرة بأنها "صورة من صور التعبير التي نشأت في الآداب الأوربية، ثم انتقلت إلى الأدب العربي الحديث، وورغم حداثة نشأتها فإنها استطاعت أن تكون جمهوراً واسعاً من الكتاب والقراء"[٣٣].

وهناك تعريف آخر للقصة القصيرة، وهو "أن القصة القصيرة هي نوع من النثر الفني القصصي أو الحكائي الذي يقرأ بشكل مناسب في جلسة واحدة"[٣٤]، وفي هذا السياق يعرفها امبرت اندرسون بأنها : "حكاية قصيرة ما أمكن حتى ليمكن أن تقرأ في جلسة واحدة"[٣٥].

ويعرفها يمني العيد قائلاً : إن القصة القصيرة "نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس، مما قد يضمنه الفنان عمله، تجمع الفن إلى شيئ آخر مهم، فهي تعطى اللذة الفنية والمتعة الجمالية، التي يعطيها كل عمل فني، إلى جانب ما لها من خاصية أخرى، تتصل بما يشغل الناس ويهمهم في الحياة". أو

---

[٣٢]. القصة القصيرة، نظرياً وتطبيقاً، يوسف الشاروني، سلسلة الهلال، عدد ٣١٦، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٦٦-٦٧.

[٣٣]. روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، د. عز الدين إسماعيل، دار الرائد العربي بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٦٥.

[٣٤]. شعرية السرد العربي، قراءات في السرد العربي المعاصر، علي كاطع خلف، الإتحاد العام للأدباء والكتاب في النجف، ط ٢٠٠٨م، ص ٩٧.

[٣٥]. القصة القصيرة، دراسة نصية لتطور الشكل الفني، د. صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط ٢٠٠١م، ص ٣٠.

هي سرد مكتوب أو شفوي، يدور حول أحداث محدودة، وممارسة فنية محذوذة في الزمان والفضاء والكتابة.

ويقول أليكس كيجان الروائي القاص البريطاني : "سئلت في درس : ما القصة القصيرة؟ كانت إجابتي الأولى أنها شيئ يمكن أن يقرأ في جلسة واحدة، ويمنح القارئ تنويراً فريداً، مفاجئاً وذهبياً مثل شعاع الشمس وهو ينشق وسط غيمة كثيفة. وواصلت القول بأن القصة القصيرة الحقة – في رائي – أقرب إلى القصيدة من الرواية[36].

نشأة القصة القصيرة وأهم روادها ومراحل تطورها :

كما تقدم أن القصة القصيرة حديثة الولادة بالأجناس الأدبية الأخرى، و لكن يصعب على الباحث أن يحدد موطن نشأة القصة القصيرة، ومن كان أول رجل نشأ على يديه هذا النوع الأدبي ؟ فبعض النقاد يرون أن القصة القصيرة بشكلها الفني المعاصر ظهرت على أيدي عدد من الرواد، في مقدمتهم الأديب الأمريكي "إدجار آلان بو" وفي جانب آخر أقر العديد من النقاد أن القصة القصيرة نشأت على يد الأديب الروسي "جوجول" (GOGOL) الذي قدم أول مجموعة قصصية باسم "المعطف" في القرن التاسع عشر[37]، يعده هؤلاء النقاد أبا القصة الحديثة بمختلف تقنياتها ومظاهرها، إذ يقول عنه مكسيم جوركي : "لقد خرجنا من تحت" معطف جوجول، على أي حال فإن "جوجول" قد أسهم في خلق القصة القصيرة، ودفع بها خطوة واسعة، ونزل بها إلى الحياة اليومية بلحظاتها العابرة، وشخصياتها المتفردة، وصراعها الدائب، وكان به من الحس الفني ومن الإدراك ما جعله يخرج بالطفل الوليد إلى الوجود متخففاً من كل الأثقال التي تحول دون نموه وتقدمه، والتزم الموضوعية البحتة في كل ما

[36]. القصة القصيرة، ولسن ثورنلي، ترجمة مانع حماد الجهنين، النادي الثقافي جدة، ص ٢٥٠.
[37]. انظر: فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ٥٢.

كتب من قصص قصيرة، وصور الحياة كما هي عليه، بلا تزويق ولا وعظ ولا إرشاد، وكان "جوجول" ذا أسلوب بارع وموسيقى متميزة، وكان على قدرة بالغة على التصوير، وهذا ما جعله متمكناً من مادته[٣٨].

أما الكاتب الأمريكي "إدجار آلان بو" فلا ينكر دوره في التنظير للقصة القصيرة، فإنه سعى في الحقيقة لتشكيل عالم قصصي جديد، واستفاد من الرموز والخيالات، وبرع في القصة القصيرة وأجاد فيها، وكان يختلف في وجهة نظره عن "جوجول" إذ يرى أن "التهذيب ودروس الأخلاق لا مكان لها على الإطلاق في الإبداع الفني، ويقول معرفاً للقصة : " تقدم القصة الحقة في رأينا مجالا أكثر ملائمة دون شك لتدريب القرائح الأرقى سمواً، مما يمكن أن تقدمه مجالات النثر العادية الأخرى يبني الكاتب القدير قصة لن يشكل فكره ليوائم أحداثه إذا كان فطناً، إلا بعد أن يدرك جيداً أثراً ما".

صحيح أن القصة القصيرة قد نشأت على أيدي "جوجول"، وأخذت تنمو وتزدهر على يد الكاتب الأمريكي "إدجار آلان بو"، إلا أن تطورها الحقيقي وتأسيسها الفني لم يتم إلا على يد الكاتب الفرنسي "جي دي موباسان"، والأديب الروسي "أنطوان تشيكوف" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فموباسان يرى أن القصة القصيرة تجيئ منفصلاً وتعبيراً عن لحظة محددة. أما بالنسبة لأنطوان تشيكوف فكان صاحب أثر كبير في تطور القصة القصيرة، كما كان له تأثير بالغ على من جاء بعده، لأنه كان يحرص على الاغتراف من الحياة بوصفها المصدر الأول في نظره للتجربة الإنسانية الخصبة".

وهؤلاء الرواد قد عرَفوا القصة القصيرة في مجتمعاتهم كجنس أدبي حتى أصبح لفيف من الأدباء يكتب القصة القصيرة، فظهر في روسيا كل من تبر جنيف، وتولستوي، وديستوفسكي، وشهدت فرنسا فوبير، وأناتون، وإميل

---

[٣٨]. انظر: نظرية الأدب، أوشن وارين. ص ٢٥.



زولا وآخرين، ولمع في أمريكا هورتون، وأرفنج، وهارت، كما ظهر في أمريكا ناقد القصة القصيرة "براندر ماتيوس" الذي كتب كتاب "فلسفة القصة القصيرة" عام ١٩٠١م، والذي يعد أول كتاب يتحدث عن كتابة القصة القصيرة، وقد ضمنه العديد من أفكار إدجار آلان بو".

القصة القصيرة في الأدب العربي:

أما القصة القصيرة في الأدب العربي فلم تظهر إلا بتأثير من الآداب الأوروبية في مطلع القرن العشرين، وذلك بعد اتصال العرب بالعالم الغربي بواسطة التبشير أو الاحتلال، أو بواسطة التجارة، أو من خلال البعثات العلمية التي أوفدتها البلاد العربية إلى البلاد الغربية[٣٩]، ويتضح من ذلك أن القصة القصيرة نوع أدبي استورده العرب من الغرب، ثم قام الأدباء والكتاب يبدعون القصص القصيرة حتى وجدت في اللغة العربية مكتبة ضخمة للقصة القصيرة التي توافق التقنيات الحديثة. وبعد دراسة تاريخ القصة القصيرة ومراحل تطورها يتضح أن القصة القصيرة قد مرت في مصر بثلاث مراحل رئيسة، المرحلة الأولى : مرحلة بحث وإنشاء لهذا النوع في الثقافة العربية، قاد هذه المرحلة كبار رواد القصة القصيرة في العالم العربي، وهم محمد تيمور ومحمود تيمور، وميخائيل نعيمة، ومحمود طاهر لاشين، وشحاتة عبيد. والمرحلة الثانية من أولئك الكبار الذين لهم إسهامات بارزة في تطور القصة القصيرة في العالم العربي، وهم حسين فوزي، ويحي حقي، ويوسف إدريس، وغيرهم، وهذه المرحلة تسمى بمرحلة النضج. ثم تأتي المرحلة الثالثة، وهذه المرحلة تبدأ من كتاب الستينيات إلى يومنا هذا. وهو العصر الذي عاش فيه الأديب مفلح العدوان وعاش فيه الأدباء الآخرون ولا يزال يعيشون والذين تطورت على أيديهم القصة القصيرة في الأدب العربي.

---

[٣٩]. انظر: جماليات القصة القصيرة المعاصرة، د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ص ٦٠.

عناصر القصة القصيرة وفنياتها:

إن القصة القصيرة بشكلها الفني المعاصر تتكون من عناصر وفنيات لابد من وجودها فيها، ويتضح من الدراسات الحديثة في القصة القصيرة أن عناصرها وفنياتها هي على النحو التالي:

الموضوع:

هو الحادث الذي يعتبره المبدع أساس عمله، والمبدع يختار هذا الموضوع لقصصه من تجاربه أو من تجارب الآخرين، أو من ثقافته، أو من تاريخه، أو من الوثائق.

الرؤية والفكرة:

لابد لكل عمل يقدمه مبدع أن يكون لديه رؤية خاصة وفكرة مميزة، فإنها في الحقيقة وجهة نظر المبدع والفنان، بل هي "جوهر العمل الفني"، ونواته الفكرية التي قد تصدر عن الفنان دون وعي منه لفرط خبرته، فهي تعبر عن مفهومه ونظرته للحياة، والمبدع الحقيقي هو الذي تكون له نظرة ما حول ما يقدمه من أعمال فنية، فبالرؤية والفكرة يمتاز الكاتب الكبير عن الكاتب الصغير، وإنما الفكرة هو الهدف الأصلي الذي يحاول الكاتب عرضه في القصة.

اللغة:

وهي تحتل مركزاً رئيسياً بين جميع عناصر القصة القصيرة في تشكيلها وصياغتها، ولها قيمة حقيقية في البناء القصصي، واختيار اللغة الجيدة الممتازة يجعل القصة تبتعد عن الرتابة، ولذا معظم كتاب القصة يهتمون باللغة، أما من لا يهتم منهم باللغة فيقول عنهم موسى كردي: "ومشكلة قصاصينا أيضاً أنهم لم يفهموا بعد عبقرية اللغة وطواعيتها، ولم يدركوا إدراكاً واعياً قدرتها على الأداء والتعبير، فلا بد لكل مبدع من أن

يتجنب من الأخطاء اللغوية من حيث القواعد والذوق، لأن "اللغة هي كل شيئ في عالم الأدب" [٤].

الشخصية:

وهي جوهر القصة القصيرة إذ لا يمكن وجودها بدون الشخصية، وقد يكون شخص أو قوي غيبية، أو بمعنى أدق، كل شيئ مؤثر في اتجاه الحدث صعوداً وهبوطاً، انسباطاً أو تأزماً، فإن الشخصية في القصة هي التي تتركز حولها جميع الأحداث القصصية، وقد تتعدد الشخصيات في قصة واحدة، إلى شخصيات رئيسة، وهي التي تظهر في القصة من بدايتها إلى نهايتها، وإلى شخصيات نامية، تنمو بين أحداث القصة ثم تختفي بعد قليل.

الأسلوب الفني:

والمراد منه تلك التقنية الفنية التي يتم بها تصوير الحدث أو الحالة، والكاتب في حاجة لتشكيل هذه الصياغة الفنية لوسائل عديدة ينفذ بها لشخصياته ومواقفه، لكي يخرج عمله في صورة جديدة جذابة للقارئ، لأن الأسلوب هو ما يميز كاتباً عن الآخر، فهناك كاتب يبدو أنه يعرف كل شيئ عن الأبطال فيصف ويقرر وينتقد ويعلق، وآخر لا يتدخل في القصة، وإنما يقدم لنا الأحداث وينقل إلينا ما يقوله شخوص القصة دون تعليق، والأسلوب في الحقيقة يعني نقل الأحداث من صورتها المتخيلة في ذهن الكاتب أو المبدع إلى صورة لغوية، أمام القارئ، وهو دور الكاتب وعمله في نقلها على الورق، والأسلوب الفني يشمل السرد والحوار وما إلى ذالك.

والسرد هو الوصف أو التصوير، وبهذا يعتبر جزءاً من الحدث والشخصية، فلا يمكن وجود قصة بدون سرد أو وصف وتصوير، أما الحوار فهو المحادثة التي تدور بين الشخصيات والأبطال في القصة، وهو أحد أهم التقنيات

---

[٤]. سيكولوجية الإبداع الفني في القصة القصيرة، د. شاكر عبد الحميد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٨.

الفنية التي تشارك في بناء العمل. والحوار في القصة القصيرة لا بد أن يكون موجزاً قصيراً محكماً، لا يكون فيه إسهاب ممل للقارئ، لأن الإسهاب في الحوار في معظم الأحيان يجعل العمل الأدبي القصصي يفقد دوره وقيمته، ولاينال ذلك الإنتاج الأدبي إعجاب القارئ، ولا يحقق هدفه الذي كتب لأجله.

البيئة أو المكان والزمان:

لابد في كل قصة أن تحدد لها البيئة من حيث الزمان والمكان، لأنه ليس من الممكن أن تدور الأحداث القصصية بدون زمان ومكان، فالبيئة هي التي تحتضن الشخصيات والأحداث، فالكاتب دائماً يحدد الزمان والمكان لتقريب شخوص القصة إلى الفهم، ولا يكتفي بتحديد الزمان والمكان بل يحدد أحوال الزمان والمكان، ويصف بدقة متناهية كل ما تشمل عليه البيئة الزمانية والمكانية من مكونات وأشياء جزئية، فالبيئة المكانية تعني المكان الذي تجري فيه الأحداث، وتعني المجتمع المحيط وما فيه من ظروف تؤثر على الشخصيات، أما البيئة الزمانية فتقصد بها تلك المرحلة التاريخية التي تصورها أحداث القصة.

الوصف:

وهو من أهم عناصر القصة، وهو في المصطلح: "تصوير العالم الخارجي أو العالم الداخلي، من خلال الألفاظ والعبارات، تقوم فيه التشبيهات والاستعارات مقام الألوان لدى الرسام، والنغم لدى الموسيقى".[٤١] والوصف يخلق البيئة التي تجري فيها أحداث القصة.

الخاتمة:

ومن هنا يتضح أن القصة القصيرة "هي فن يجمع من كل الفنون، ففيها من القصيد بناؤه وتماسكه، وفيها من الرواية الحدث والشخوص، وفيها من المسرح الحوار ودقة اللفظ واللغة، وفيها من المقال منطقية السرد ودقته

---

[٤١]. الموقع الإلكتروني: WWW.brahimdarghouth.com

وهي بذلك تأخذ من كل فن أدق وأجمل ما فيه"[٤٢]. والقصة القصيرة تنقسم إلى عدة أقسام منها قصص تاريخية وقصص رومانسية وقصص واقعية وغيرها. ومما سبق من تعريفات القصة القصيرة يمكن أن يلخص الباحث إلى أن القصة القصيرة فن أدبي سردي أو نوع أدبي ذو شخصيات محددة ومكان وزمان محددين، ولكن من الصعب أن يعرف هذا الجنس الأدبي بكلمات محدودة، لأن هذا النوع ما زال في تطور.

المصادر والمراجع:

١. ، د. صلاح رزق، القصة القصيرة، دراسة نصية لتطور الشكل الفنيدار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط ٢٠٠١م.
٢. إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، المقدمة، ج١، ١٩٩٦م.
٣. أسامة يوسف شهاب، صحيفة الجزيرة الأردنية: دورها في الحركة الأدبية، وزارة الثقافة الأردنية عمان، الأردن، ١٩٨٨م.
٤. جاسم عاصي، نظرة شاملة في المشهد القصصي الأردني، ٢٠٠٠م.
٥. حسن عليان، فن القصة القصيرة في فلسطين، القصة القصيرة في الأردن، أوراق ملتقى عمان الثقافي، دار أزمنة عمان، الأردن، ١٩٩٤م.
٦. د. الطاهر أحمد المكي، القصة القصيرة، دراسة ومختارات، دار المعارف القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
٧. د. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج١، ٢٠٠٢م.
٨. د. شاكر عبد الحميد، سيكولوجية الإبداع الفني في القصة القصيرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٩. د. عز الدين إسماعيل، روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي بيروت، ١٩٩٠م.

[٤٢]. القصة العربية أجيال وآفاق، المجلة العربي كويت، الكتاب الرابع والعشرون، مقال الدكتور محمد الرميحي، يوليو ١٩٨٩م، ص ٦٠.

١٠. د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، جماليات القصة القصيرة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٦م.
١١. علي كاطع خلف، شعرية السرد العربي، قراءات في السرد العربي المعاصر، الإتحاد العام للأدباء والكتاب في النجف، ط ٢٠٠٨م.
١٢. فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، ٢٠٠٨م.
١٣. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الاردن، (١٩٢١-١٩٤٨)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٨٩م.
١٤. محمد المشايخ، القصة القصيرة في الأردن، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
١٥. محمد عبيد الله، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ٢٠٠١م.
١٦. محمد عبيد الله، جماليات القصة القصيرة في الأردن، ٢٠٠٢م.
١٧. ولسن ثورنلي، القصة القصيرة، ترجمة مانع حماد الجهنين، النادي الثقافي جدة، ٢٠٠١م.
١٨. ياغي عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٣م.
١٩. يوسف الشاروني، القصة القصيرة، نظرياً وتطبيقاً، سلسلة الهلال، عدد ٣١٦، القاهرة، ١٩٧٧م.



المفتي محمد عظيم الدين – وأعماله في إحياء التراث العربي بدائرة المعارف العثمانية

سيد جميل الدين [*]

الملخص:

أنجبت الهند عددا كبيرا من العلماء الأفذاذ الذين غيّروا مجرى التاريخ، وساهموا بالتصنيف والتحقيق في النهضة العلمية الهندية، ونوّه بهم علماء العرب، وأثنوا عليهم بثناء عاطر. ومن المحققين الذين أدُّوا دورا ملموسا في حقول التحقيق والتصنيف المحقق الجليل محمد عظيم الدين -رحمه الله- صدرالمصححين بدائرة المعارف العثمانية سابقا. وهو يعد من مشاهير رجال العلم في الهند، وحظيت تحقيقاته بالقبول والاستحسان، كما أنه يعتبر من أهم المصححين لدائرة المعارف العثمانية الذين خلد ذكرهم في تحقيق التراث الإسلامي. ولكنه مع ذلك لم يحظ بالعناية الفائقة من قبل الباحثين والمتخصصين رغم أنه أثرى المكتبة العربية بالأعمال القيمة. هذا الأمر هو ما دفعني إلى إعداد هذا البحث المتواضع عن هذه الشخصية الجليلة، وهو يشمل مبحثين؛ أولهما يتناول سيرته، والثاني يعرف بجهوده العلمية في دائرة المعارف العثمانية الكائنة بمدينة حيدرآباد (الدكن).

الكلمات المفتاحية: المفتي محمد عظيم الدين، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن.

المبحث الأول: حياته ونشأته

ينتمي الشيخ إلى أسرة متدينّة معروفة بالعلم والفضل، والصلاح والتقوى، والتي أنجبت أهل العلم ورجال الدين مثل الشيخ المفتي محمد رحيم الدين- رحمه الله- مفتي المملكة الآصفجاهية بالدكن. اسمه محمد عظيم

---

[*] الباحث بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية بمدينة حيدرآباد، الهند.

الدين بن محمد نظام الدين بن محمد سراج الدين بن محمد شيخ حسين بن شيخ إسماعيل بن شيخ إبراهيم بن شيخ أحمد بن شيخ مخدوم[١]. ولد الشيخ عام ١٩٣٩ م بمدينة حيدرآباد دكن. نشأ الشيخ في أسرة متديّنة معروفة بالاعتصام بالكتاب والسنة، وترعرع في بيئة علمية، وشبّ على حب العلم والمعرفة، والفضل الأكبر في بناء شخصيته العلمية يرجع إلى عمه الجليل الشيخ مفتي المملكة الآصفجاهية محمد رحيم الدين -رحمه الله-.

التحق الشيخ المفتي محمد عظيم الدين بالجامعة النظامية في الفصل الرابع في المرحلة الابتدائية قبل ١٩٥٠ الميلادي، وتدرج في الفصول حتى وصل إلى مرحلة الفضيلة. تخرج في الجامعة النظامية حاملا جميع شهاداته عام ١٩٥٩، وقد حصل الشيخ على جميع المراحل التعليمة من البداية إلى النهاية في الجامعة النظامية، و أدرك عهداً من عهودها الذهبيّة، وسعد بالتلمذة على أساتذتها العظام، ومنهم : العلامة البحاثة سيد محمود شاه بن المبارك المعروف بأبي الوفاء الأفغاني مؤسس إحياء المعارف النعمانية (١٣١٠هـ-١٣٩٥هـ): فضيلة العلامة، الفقيه الجليل محمد رحيم الدين- رحمه الله تعالى- مفتي المملكة الآصفجاهية (١٣١١-١٣٨٩هـ) المفتي محمد عبدا لحميد -رحمه الله- شيخ الجامعة الأسبق بالجامعة النظامية (المتوفى ١٣٩٧هـ).[٢]

توّجت جهوده في حقل البحث والتحقيق بالجوائز والأوسمة الغالية، منها الجدير بالذكر جائزة رئيس الجمهورية الهندية تقديرا لخدمته الجليلة للغة العربية وترويجها في الهند، وذلك في شهر يناير عام ٢٠١٤. لكنه لم يستطع الذهاب إلى قصر الرئاسة بمدينة دهلي لأخذ الجائزة، ولأجل ذلك أرسلت الحكومة الهندية جائزته إلى بيته. وكذلك كرّمته الحكومة الإقليمية ولاية تلنغانا بجائزة تقديرية اعترافا وتقديرا لخدماته الجليلة عام ٢٠١٦م.

[١] علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي،ص ٢٥٦
[٢] "فقيه ملت "،ص٣١

أصيب الشيخ في آخر عمره بالمرض، حتى وافاه أجله المحتوم في الساعة التاسعة مساء يوم الجمعة السادس وعشرين من شهر شعبان المعظم عام ١٤٤٢ الهجري الموافق السابع من شهر نيسان عام ٢٠٢١ الميلادي. فغربت شمس القرن الواحد والعشرين، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، لقد انتهى بوفاته باب من الإخلاص للدين والعمل، والوفاء للمبادئ الإسلامية، وجمال من الإيمان الصادق، والحياة التي تحلت بالجهد المتواصل والعلم الصالح.

صلى عليه آلاف من المسلمين الوافدين من أنحاء الهند في رحاب الجامعة النظامية بعد الظهر يوم السبت، وأم الصلاة عليه شقيقه الأصغر الدكتور القاضي محمد أكرم الدين، ودعا الشيخ المفتي محمد خليل أحمد -شيخ الجامعة بالجامعة النظامية- . حَضَرَها عدد كبير من طلاّب الجامعة النظامية وأساتذتها ومنسوبيها و حشد هائل من أهالي مدينة حيدرآباد. ودفن في مقبرة العلماء أي مقبرة شجاعية الكائنة بحارة عيدي بازار بمدينة حيدرآباد (الدكن).[٣]

أبيات في رثائه:

نظم الأبيات التالية في رثائه الدكتور الأستاذ سيد بديع الدين الصابري- حفظه الله- رئيس قسم العربي بالجامعة العثمانية:

يا من له اسم عظيم بيننا	نال القبول بفضله في هندنا
يا أهل جامعتي نسيل دموعنا	بفراق مفتي ديننا وحبيبنا
أكبادنا مجروحة محزونة	مالت إليه قلوب كل كبيرنا
أقواله مقبولة. إفتاؤه	مفتاح اطمئنان كل عظيمنا

وقرض الأستاذ الحافظ محمد فيروز خان، المدرس بالجامعة النظامية، هذه الأبيات في رثائه:

وداعا وداعا لمفتٍ عظيم	فقيه ،نبيل كريم الخصال

[٣] جريدة أردية " سياست" الصادرة من مدينة حيدآباد الدكن.٢٤ مارس٢٠٢٠ م

تسيل الدموع فراقا لشيخ مضى في وصال لرب الكمال
له اسمٌ عظيم وفعل عظيم تجلى بشخص عديم المثال
سقانا جميعا كؤوس الوداد سقاه الإله بكأس الوصال
فيا رب وارزقه وصلا رفيعا بمنح النعيم و دار النوال

المبحث الثاني: أعماله وتحقيقاته في دائرة المعارف العثمانية:

تعريف موجز بدائرة المعارف:

تم تأسيس "دائرة المعارف" في العهد الآصفجاهي بإشارة و تحريك شيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد أنوار الله الفاروقي (١٢٦٤-١٣٣٦هـ) ، وشارك في حركة تأسيسها نخبة من العلماء وعظاء الأمة، مثل: عماد الملك مولانا السيد حسين البلكرامي (١٢٦٠ ١٣٤٤هـ)، والملا محمد عبد القيوم (١٢٧٠-١٣٢٤هـ)، وقد تم تأسيسها تحت رعاية نظام الملك الآصفجاه السادس وذلك في سنة ١٣٠٦هـ١٨٨٨م، فلذا سميت أولاً دائرة المعارف النظامية، وعندما تولى عرش الحكومة الآصفية نظام الملك الآصفجاه آخر أمراء بإمارة حيدرآباد مير عثمان علي خان في سنة ١٣٣٨هـ ١٩١٩مـ، تحولت إلى اسم دائرة المعارف العثمانية.

تعد دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد (الدكن) من أجلّ المآثر الهندية العلمية، وهي مؤسسة عريقة قدمت خدمات ملموسة في نشر جواهرها العلمية في صور منقحة وبطبعات محققة، مازالت تسدي خدماتها بكل إمعان وتحقيق.[٤]

انخرط الشيخ المفتي محمد عظيم الدين في سلك الوظيفة بدائرة المعارف العثمانية عام ١٩٦٠ الميلادي، وظل مشغولا فيها حتى تقاعد عن العمل عام ١٩٩٩ الميلادي، وفي هذة الرحلة المديدة عمل الشيخ مصححا ثم تدرج إلى منصب صدر

[٤] راجع للمزيد إلى الكتاب "علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي " للأستاذ الدكتور سلطان محي الدين.

المصححين، حقق الشيخ عديدا من الكتب والنوادر التي كانت لم تطبع بعد، فطبعت الدائرة وعرضتها أمام الأوساط العلمية، ومن أهمها ما يلي:

المستقصى في الأمثال:

إن هذا الكتاب جليل في بابه، وفريد من نوعه، و واحد من أمهات الكتب التي ألفت في موضوع الأمثال، ألفه الشيخ أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى٥٣٨هـ). وكان عالما لغويا، وأديبا عبقريا، ومعتزلا في الفكر و العقيدة، خلّف وراءه تراثا ضخما يثري المكتبة العربية. جمع فيه المؤلف الأمثال والحكم ونوادرمن النكات اللغوية، وقصصا جميلة ومآثر تاريخية.

يهتم المؤلف بذكر خلفية الأمثال والحكم، ويتحدث الكتاب عن مبدأ الأمثال وموضع استخدامها والبئية العربية التي جعلت الأمثال، رتّبه المؤلف على حروف الهجاء؛ فهو موسوعة لغوية تحمل في جنبها كثيرا من أخبار العرب ومميزات لغة الضاد والقصص العلمية، وقال المصحح المفتي عظيم الدين في مقدمة الكتاب: "جمع الزمخشري مواد كتابه من كل ناحية من النواحي ومن كل معاشرة ومن كل بيئة من البيئات ومن كل شؤون الحياة الإنسانية. وكانت غايته بذلك أن يجمع في كتابه من كل أقسام الأمثال سواء كان جيدا أم رديئا، علميا أم عاميا فالأمثال التي كانت في صدورهم نقلها المؤلف إلى القرطاس من غير أن يميز بين الجديد والقديم "[٥].

يحتوي الكتاب على ٣٤٦١ مثالا، منها ١٩١٧ في الجزء الأول، وفي الجزء الثاني ١٥٤٤، ويبلغ عدد صفحات الكتاب في الجزأين ٨٩٣ صفحة، وعام الطبع ١٣٨١ الهجري و الموافق ١٩٦٢ الميلادي.

كان الباحث سيد عبد الرحمن خان التحق بقسم الدكتوراة بالجامعة العثمانية لتحقيق هذه المخطوطة، ولكن النصيب لم يحالفه فإذا مرض بمرض

[٥] مقدمة الكتاب "المستقصى في الأمثال "ص ٥

معضل لم يدعه أن يكمل عمله، ولأجل ذلك كلفت الدائرة بهذه المسؤولية الشيخ المفتي محمد عظيم الدين والشيخ عبد العزيز. فكانت الحاجة ماسة إلى تصحيح النسخ العديدة المنتشرة في المكتبات بمختلف البلدان، وإخراجها في ثوب جديد وعرضها في معارض المكتبات العربية الدولية. لإنجاز هذا العمل الهام شمّرت دائرة المعارف العثمانية عن ساق جدها، واستفاد المحقق في تصحيحه من ثلاث نسخ، واعتمد على نسخة دارالكتب المصرية ونسخة رامفور (الهند) ونسخة المكتبة الآصفية بمدينة حيدرآباد الهند.[٦]

أسلوب التصحيح:

وضعت دائرة المعارف العثمانية عديدا من الضوابط والأصول لإنجاز مثل هذا العمل النفيس وتصحيح النسخ والمخطوطات، فالمصحح يلتزم بها ويعمل بالتوجيهات القيمة التي يوجّهها إليه مدير الدائرة بين حين وآخر، وإليكم تلك الأصول التي اتخذها وسلك عليها المصحح خلال تصحيحه هذا السفرالجليل، وهي مأخوذة من مقدمة الكتاب نفسه:

الأول: لقد يوجد في النسخ المصرية بعض الحواشي على الأمثال التي تتعلق بها فوضعها المصحح على مكانها المناسب.

الثاني: لقد صحح بعض الأغلاط الفاحشة وعورضت النسخ بما ألف وطبع من أمثال العرب كمجمع الأمثال للميداني ورمزه "ي"وكتاب الفاخر للضبي ورمزه"ف"وكتاب الأمثال للعسكري ورمزه "ك"وغيرها .

الثالث: أضيف الإعراب في بعض المواضع وحذف من البعض وآثرنا الأصح في المتن وزاد الجود والمراجع للآيات والأحاديث والأشعار بالاستقصاء في هذا الأمر.[٧]

---

[٦] المصدر االسابق ص ٦

[٧] المصدر االسابق ص ٧

أخيرا قدمت الدائرة كلمات الشكر إلى كل من المصححين الشيخ المفتي محمد عظيم الدين وزميله في العمل الشيخ عبد العزيز ومشرفهما الشيخ الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، وصدرالمصححين بها الشيخ جلالة العلم سيد حبيب الله رشيد باشاه أمير الجامعة النظامية رحمهم الله أجمعين[٨].

غريب الحديث:

هذا الكتاب يتحدث عن شرح الكلمات الغريبة الواردة في أحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأخباره، وفي أحاديث الخلفاء الراشدين والصحابة والصحابيات والتابعين. ألّفه الشيخ إمام اللغة المحدث الفقيه الأديب أبوعبيد القاسم بن سلام الهروي (المتوفى ٢٢٤هـ). وكان أبو عبيد علما ضخما من أعلام الفكر العربي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، و أوائل القرن الثالث.

ذكر مؤلف الكتاب الحديث أولا ثم وضّح الكلمات الغامضة منه مستشهدا بالأشعار الجاهلية وكلام أئمة اللغة أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي، وبذل في جمعه وتبويبه فترة أربعين سنة حتى صار كتابه حاجة كل من يشتغل بعلوم الحديث[٩]؛ فهو أول تأليف في علم غريب الحديث ، ونعم، سبق أبا عبيدة بعض العلماء إلى التصنيف في هذا العلم، و لكنها كانت بدايات متواضعة ، بدليل قلة النقول عنها والإحالة عليها، فضلا عن أنه لا يوجد بين أيدينا شيئ من هذه التصانيف، مخطوطا أو مطبوعا .

ويدل على ريادة أبي عبيد للتصنيف في هذا الفن قول الإمام الخطابي في مقدمة كتابه غريب الحديث: "فكان أول من سبق إليه و دل من بعده عليه أبو عبيد القاسم بن سلام، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من

[٨] نفس المصدر ص ١١
[٩] مقدمة غريب الحديث

مشاهير غريب الحديث، فصار كتابه إماما لأهل الحديث به يتذاكرون و إليه يتحاكمون ".[١٠]

اعتمد المحقق على عديد من النسخ من بينها صورة عكسية لنسخة مكتبة المدرسة المحمدية بمدراس (الهند)، وكانت هذه النسخة كاملة إلا أنها محذوفة الأسانيد، وأما النسخة الثانية فهي أيضا عكس نسخة المكتبة الرامفورية وهذه النسخة مشتملة على تسعة أجزاء، والنسخة الثالثة هي عكس نسخة ليدن بقلم مغربي فهي أقدم نسخة وصلت إلى المصحح لأنها كتبت بعد ثماني وعشرين سنة فقط من وفاة المؤلف والنسخة الرابعة هي عكس نسخة جامعة الأزهر بمصر[١١] . (يقصد بمفردة "عكس" أنها نسخة مصورة)

أسلوب التصحيح:

جعل المصحح المفتي محمد عظيم الدين نسخة المكتبة المحمدية الهندية أساسا، وقابلها بالنسخ الأخر، ثم خرّج الأحاديث المذكورة فيها عن معجم ألفاظ الحديث، ثم صحّح متن الكتاب على قدر المستطاع ، وراجع الأبيات وأحالها ، وزاد البحور، وأما الحواشيه الموجودة بهامش الأصل والمأخوذة من شمس العلوم وغيرها من الكتب؛ فراجع المصحح الأصول، وأما الأمور التي تركها أبوعبيد بصدد شرح الألفاظ، وكان قد شرحها الزمخشري والخطابي وابن الأثير في كتبهم ومصنفاته؛ فزاد المصحح هذه الفوائد في الذيل .

وله أربع مجلدات ضخمة، في الجزء الأول ٣٧٢ صفحة، وفي الثاني ٣١٠ صفحة، وفي الثالث ٤٨٨ صفحة، وفي الرابع ٥٠٣ صفحة. وقد اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه المفتي محمد عظيم الدين النظامي، وقد برزت طبعته الأولى من سنة ١٣٨٤ الهجري إلى سنة١٣٨٧.

وقد كتب الشيخ المفتي عظيم الدين رحمه الله في آخر الكتاب:

---

[١٠] غريب الحديث للخطابي 1/ ٤٧

[١١] مقدمة غريب الحديث

" كنت بدأت تصحيح هذا الكتاب والتعليق عليه يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣ ﻫ وفرغت منه غرة شعبان المعظم سنة ١٣٨٦ ﻫ .والحمد لله هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين – محمد عظيم الدين غفر له"[١٢].

كتاب الفتوح:

مصدر أساسي في التاريخ الإسلامي، ألفه الشيخ المؤرخ الشهير أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (المتوفى ٣١٤ﻫ). تناول فيه مصنفه قضايا تاريخية مهمة، وخاصة الأحزاب والفتوحات الإسلامية وما يتعلق بها من كتب بين القادة والخلفاء وإعداد الجيوش وتواريخ تلك المعارك والفتوح وقادة تلك المعارك وما جرى فيها من أخبار مهمة، ونتائج هذه المعارك . وعلى الكتاب حواشي وتعليقات ومقارنات، وهو يحتل مكانا مرموقا في التاريخ الإسلامي، ويعد مصدرا أساسيا من مصادره، سجل الكتاب فيه تاريخ عهد الخلفاء الراشدين، ومن جلسوا على عرش الخلافة بعدهم إلى خلافة المعتصم بالله.

تحدث فيه المؤلف عن الولاة والأمراء والحكام وأحوالهم وعهودهم السياسية وجهودهم للرقي والتطور وازدهار العلوم، وقد ظهرت طبعته الأولى عام من ١٣٨٨ الهجري إلى ١٣٩٥، وحققه شيخنا المفتي محمد عظيم الدين- رحمه الله- . والكتاب يبتني على ثلاث نسخ : نسخة مكتبة جوتة -ألمانيا ونسخة مكتبة التركية، ونسخة أحمد باشاه الجزار المحفوظة في دبلن-إيرلندا، تفاصيل الأجزاء كما يلي:[١٣]

الجزء	عددالصفحات
١	٣٥٦

[١٢] غريب الحديث 501/4

[١٣] الفهرس الوصفي ص ١٤٠

٢	٥٠٦
٣	٣٢٨
٤	٢٧٢
٥	٣٢٦
٦	٣٣٥
٧	٣٣٤
٨	٣٦٤

ذيل تاريخ بغداد:

ألفه محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بـ" ابن نجار"البغدادي (٥٧٨هـ-٥٦٤٣) هذا ذيل لـ "تأريخ مدينة السلام "تأليف الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٥٤٦٤) حاول صاحبه في ذيله التعريف بأفاضل الناس ممن اشتهروا بالتحديث، والذين كان من بينهم علماء و وجهاء، حفاظ و قراء ووعاظ، وأصحاب المناصب ممن شهد لهم الخواص والعوام بتبحرهم في علوم الدين .

والكتاب في خمسة أجزاء من بينهما زهاء ثماني عشرة صفحة. وقد اعتنى بتصحيح هذا الكتاب الشيخ المفتي محمد عظيم الدين مع زملائه في العمل.[١٤]

المنتخب من كنايات الأدباء و إشارات البلغاء :

ألفه إمام الأدب واللغة القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني الثقفي (المتوفى ٥٤٨٢). هذا الكتاب من مؤلفات قيمة في اللغة العربية، جمع المؤلف فيه من الشوارد والنوادر والكنايات اللطيفة والإشارات الرائقة،

[١٤] الفهرس الوصفي ص ١٤٢

والنوادر البديعية والمعاني المبتكرة، والحكايات الأنيقة، و الأشعار الحسنة، حيث يمكن للكاتب والباحث أن يستفيد منها في تقويم اللسان.

عنى بتنقيحه المفتي محمد عظيم الدين . والكتاب في جزء واحد يستغرق أربعة مائة وستين صفحة.[١٥]

صفة الصفوة

هوكتاب جليل في السيرة النبوية وتراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم من طبقات رجال العلم والدين، جمعه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي (٥٠٨ هـ – ٥٩٧ هـ)، يتناول الكتاب التراجم والقصص الأخلاقية والدينية والمواعظ التي ظهرت مع كبار الأتقياء والأصفياء من الصحابة ومن بعدهم، ابتدأ ابن الجوزي المصنف بذكر وجيز عن سيرة رسول الله وأخلاقه النبيلة وأوصافه الجميلة وشمائله المحمودة، ثم ذكر بعضا من كبار الصحابة كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ثم الذين لهم صلة قوية بالله عز وجل من العباد والأتقياء والصالحين، حيث يقدم أسماءهم ونبذة من مآثرهم وأخلاقهم التي يُقتدى بها ويُهتدى بنورها من الاعتبار والاتعاظ والسير على نهجهم، وقد زاد مَن ذكرهم ابن الجوزي في كتابه على ١٠٣٠ علماً.

طبعت الدائرة هذا السفرالجليل مرتين، وفي الطبعة الثانية راجعه المفتي محمد عظيم الدين رحمه الله.[١٦]

عام الطبع والنشر(طبعة ثانية)	الجزء	عدد الصفحات
١٣٨٨	١	٣٥٠
١٣٨٩	٢	٣١٦

[١٥] الفهرس الوصفي ١٦٧

[١٦] صفة الصفوة ص300/2

١٣٩٠	٣	٣٠٣
١٣٩٢	٤	٤٣٧

ذيل مرآة الزمان:

هذا الكتب من نوادر كتب التاريخ، جمع فيه المؤلف الوقائع التي جرت في بلاد سوريا ومصر والعراق بين سنوات ٦٥٤-٦٨٦ الهجرية، مشتملا على الحوادث الأخيرة من الحروب الصليبية التي وقعت بين دول المسلمين والنصارى، وهو يتضمن أيضا تراجم أعيان دولة الأيوبيين والمماليك . وقد اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه في الجزء الثالث والرابع العلامة محمد منير الدين الشاذلي النظامي شيخ الحديث بالجامعة النظامية ،و ساهم المفتي محمد عظيم الدين معه في العمل مساهمة جادة[١٧]

الخاتمة: وجملة القول أن الشيخ قضى ربيع حياته في حدائق العلم والمعرفة، ولعب دورا بارزا في نشر العلوم الإسلامية وأسدى خدمات ملموسة في تحقيق الكتب العلمية. خلف وراءه تراثا ستنتفع الأمة بها إلى فترة طويلة، وتستفيد بتحقيقاته الباحثون إلى أجل طويل.

المصادر والمراجع:

١. ، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى٥٣٨هـ)، تحقيق:المفتي محمد عظيم الدين، ***المستقصى في الأمثال***، دائرة المعارف العثمانية، عام١٣٨١الهجري والموافق ١٩٦٢ الميلادي.

[١٧] الفهرس الوصفي ص ١٣١

٢. ، الدكتور محمد سلطان محي الدين، ***علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي***، ط،٢٠٠٥، ناشر: مطبعة أبي الوفاء الأفغاني بالجامعة النظامية بمدينة حيدرآباد الدكن.

٣. أبوعبيد القاسم بن سلام الهروي (المتوفى ٢٢٤ه). تحقيق: المفتي محمد عظيم الدين، ***غريب الحديث***، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٦ هـ

٤. أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (المتوفى ٣١٤ه). تحقيق: المفتي محمد عظيم الدين، ***كتاب الفتوح***، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٥هـ

٥. محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بـ" ابن نجار"البغدادي(٥٧٨هـ-٦٤٣ه)، تحقيق: المفتي محمد عظيم الدين، **ذيل تاريخ بغداد**، عام الطبع :١٤٠٤

٦. القاضي أبوالعباس أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني الثقفي (المتوفى ٤٨٢ه) تحقيق: المفتي محمد عظيم الدين، ***المنتخب من كنايات الأدباء و إشارات البلغاء***، دائرة المعارف العثمانية .

(٧) الأستاذ محمد فصيح الدين، ***فقيه ملت خطاب*** ، ط،٢٠١٦ أنوار برنترس مدينة حيدرآباد.،

(٨) الأستاذ مولانا محمد وجيه الله سبحاني خريج الجامعة النظامية، مقالته المنشورة في الجريد الأردية "منصف" الصادرة عن مدينة حيدرآباد ١٦ابريل٢٠٢١.

(٩) عظمت الله الندوي، زكريا الغوري، ***الفهرس الوصفي الصادر عن دائرة المعارف العثمانية***، دائرة المعارف العثمانية، ٢٠١٣.



قراءة في رواية "التبر" لإبراهيم الكوني

محمد مهربان علي *

ملخص البحث:

مما لا شكّ فيه أن الرواية قد احتلّت مكانًا بارزًا بين فنون الأدب، ونالت المرتبة الأولى بين جميع الأنواع الأدبية في العصر الحديث، ولاريب في أنّ العصر الراهن قد شهد تطوّراً وازدهاراً ملحوظاً في الفن القصصي، من أمثال القصة، والرواية، والرواية الشعريّة التمثيليّة، كما استحدث فيه بعض الموضوعات والجهات، والساحات والنزعات الجديدة. وإلى جانب الموضوعات العادية الأخرى للرواية، اتخذت الصحراء موضوعاً مهمّاً، وذلك بما تحتويه من دلالات حكائية ومكانية وتاريخية وكونها فضاء يتسع للحكاية الأسطورية والخرافية. واهتمّ بها بعض من الأدباء من أمثال: عبدالرحمن منيف، وصبري موسى وميرال الطحاوي، ولكن أكثر الأدباء اهتماماً بالصحراء في كتاباته في العصر الحالي هو الكاتب والروائي الليبي إبراهيم الكوني الذي ظهر على الساحة الأدبية في أربعينات القرن العشرين في الصحراء الأفريقية في ليبيا، وجعل الصحراء موضوعا لمعظم إبداعاته، وكتب عنها بكل التفاصيل من مكوّناتها ورجالها، وحيواناتها، وعاداتها، ولغاتها، وتواريخها بأسلوب سردي منفرد، فبلغ بأدب الصحراء ذروتها موضوعاً وفناً.

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، أدب الصحراء، الرواية العربية، إبراهيم الكوني، ليبيا، الفنون الأدبية، الصحراء المغاربية.

---

* الباحث في الدكتوراه بقسم اللغة العربية، جامعة دلهي، الهند

المدخل: إبراهيم الكوني كاتب معروف غزير الإنتاج في العصر الحاضر، كتب حول شتى الفنون الأدبية بما فيها القصة، والرواية، والنصوص، والنظر واللغة وما إليها، ولكن أكثر إنتاجاته تحوي الرواية التي تدور حول موضوع محدد هو الصحراء. له حتى الآن واحد وثمانون كتاباً منها حَوالي أربعين رواية ذات أهمية فائقة. حاز أكثر من 15 جائزة وطنية ودولية، وتم ترشيحه من قبل الأوساط العلمية والنقدية لجائزة نوبل أكثر من مرة. وفي هذا البحث سأحاول أن أقوم بقراءة وتحليل أحد أبرز رواياته هي رواية "التبر" موضوعاً وأسلوباً وذلك على النحو التالي:

الأول :نبذة عن إبراهيم الكوني

الثاني : رواية "التبر"؛ موضوعها ومحتواها

الثالث: رواية "التبر" وأسلوبها

نبذة عن إبراهيم الكوني

إبراهيم الكوني كاتب ليبي أمازيغي ولد في 7 أغسطس عام ١٩٤٨م بمدينة غدامس في فزّان، إقليم جنوب ليبيا، ونشأ بالحمادة الحمراء بين قبيلة "الطوارق" في الصحراء الإفريقية الكبرى التي يعشقها، ويكتب عنها أجمل رواياته، ولقب بعدة ألقاب من أمثال: "فيلسوف الصحراء"، و"راهب الصحراء".

تلقى تعليمه في فزّان، إقليم جنوب ليبيا، وعمل صحفياً، ثم رحل إلى الاتحاد السوفيتي ليدرس الأدب والفلسفة في معهد غوركي للآداب بمدينة موسكو عام ١٩٧٧م حيث نال شهادتي الليسانس والماجستير، ثمّ شرع تحضيره لدرجة الدكتوراه في أدب دوستويفسكي وأخذ "دوستويفسكي: بين حجة إبليس وحقيقة المسيح" موضوعاً لرسالته تحت إشراف البروفسور ماشينسكي وعقب رحيله قبل الوقت، جعل أستاذه البروفسور بوغدانوف مشرفا له. "دوستويفسكي:

بين حجة إبليس وحقيقة المسيح" كان هذا هو موضوع الرسالة الذي استهواني في أدب هذا الحكيم[١].

إبراهيم الكوني كاتب، وروائي، وقاص، وصحفي، ودبلوماسي، ولغوي، وناقد، وفيلسوف. وهو أديب متعدد الثقافات واللغات، وواسع الاطلاع وغزير الإنتاج. قرأ أكثر كتّاب العرب الكبار من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث وبعضهم الذين ذكرهم الكوني في كتابه "عدوس السرى" هو الشاعر والأديب العراقي عبد الوهاب البياتي والشاعر محمود درويش والروائي العراقي برهان الخطيب والشاعر محمد مهدي الجواهري، متنبّي القرن العشرين وغيرهم[٢].كما قرأ بعض أهم الكتاب الروسّيين والألمانيّين والفرنسيّن والإنجليزيين، من أمثال دوستويفسكي، وسليزنيوف، وتالستوي، ونيتشه (Nietzsche) وغيرهم وتأثر بهم وبكل ما يحملون من هموم اجتماعية. وذلكمن ناحية أدبية وفنية.

تقوم إبداعاته الروائية أساسا على عنصرين: فالأول هو قبيلة الطوارق التي ينتمي الكوني إليها، تسكن هذه القبيلة في شمال إفريقيا من ليبيا إلى موريتانيا كما تتواجد في الجزائر، والنيجير ومالي. قد رسمها الكوني كشعب أصيل كالأمم الأخرى مثل الروم، والفرس، والعرب. والطوارق هم السكان الأصليون لشمال إفريقيا، يمتد وجودهم من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، قسمها الاستعمار الفرنسي حسب مصالحهم في ستينات القرن العشرين إلى أربعة بلدان هي ليبيا، والجزائر، ومالي والنيجير. وهي المنطقة التي كان يطلق عليها الإغريق قديما اسم نوميديا. والثاني هو عالم الصحراء وبما فيه من ندرة، وامتداد، وقسوة وانفتاح على جوهر الكون والوجود.

١.الكوني، إبراهيم، عدوس السرى، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ص:٣٨٨

٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٦

كتب الكوني حتى اليوم أكثر من واحد و ثمانين كتاباً، وثلاثة أرباعها روايات تحتوي على الصحراء. يقول الكوني بأن لا أحد روى له غير الصحراء، وهي الجدة التي روت له، وهي التي دفنت في قلبه سرّها، بحيث أنه يعتبرها معلّمة وملهمة، فهي تعلّم الإنسان اللغة الخفية. يقول عنها "اللغة الخفية التي تعلّمها من الصحراء، الصحراء هي التي علمته أن يخافها، لأنها لا تنطق بصريح العبارة، لأنها تخفي المجهول، لأنها المجهول"[٣].

في بدايات السبعينيات كانت النظرية السائدة هي أن الرواية عمل مديني، وحسب النظرية لا يمكن أن تكون الرواية خارج المدينة، وقد تمكن إبراهيم الكوني من قلب هذه النظرية، وإنتاج روايات وملاحم صحراوية متعددة الأجزاء، ونجح كل النجاح في بناء عمله الروائي على عالم الصحراء وبما فيه من ندرة وقسوة وانفتاح على جوهر الكون. فنجد أنّ معظم رواياته تدور حول العلاقة الجوهرية التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر الذي لا يرد. كما نجد كتاباته تتمحور حول التآخي بين الإنسان وعناصر الكون بما فيها الحيوان والطبيعة التي يجمعها الإحساس الحميم بالوجود.

رواية "التبر":موضوعها ومحتواها:

هي من أحد أشهر روايات إبراهيم الكوني التي ترجمت لعديد من اللغات الأجنبية. صدرت طبعتها الثالثة عام 1992م عن دار التنوير للطباعة والنشر في بيروت، وهي من الحجم الصغير مقارنة مع بقية أعمال إبراهيم الكوني الروائية، أتت في 160 صفحة مقسّمة على 32 فصلا بدون عناوين. والتي تتحدث عن جانب من حياة قبائل الطوارق البربرية في صحراء ليبيا.

٤- الكوني، إبراهيم، التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ص١١٧

ولقد أتى عنوانها "التبر" عبارةً عن كلمة واحدة، وبالتالي هي مشحونة بطاقة ترميزية قوية، تجعل القارئ يوسع مجال تأويلاته، ويبحث عن الخبر: ما به التبر، على اعتبار أن العنوان هو المبتدأ والنص هو الخبر الذي يكشف لنا أسرار العنوان.

واسم الرواية "التبر" جاء حينما اضطرّ "أوخيّد" إلى أن يطلّق زوجته ويسلمها إياها وطفلها منه لابن عمها "دودو" الذي كان يعشقها منذ الصغر مقابل أن يعيد إليه "المهري الأبلق" الذي كان قد رهنه أوخيد عنده ليتمكّن من توفير لُقمة الكفاف لعائلته، لكنّ المهري لا يتحمّل فراق صاحبه بل يهرب منه مرّة تِلو الأخرى نحو صاحبه، فوافق على استرجاع المهري وتطليق زوجته، فيمنحه العاشق حَفنتين من التبر فيقبلها أوخيد. ومن هنا جاء **تسمية الرواية** "التبر". فما كان من دودو إلا أن "أخرج من صندوق الحديد جراباً جلدياً قديماً موسوماً بإشارات السحرة، غرف منه بفنجان الشاي مرتين، فتلألأ التبر وأعمى العيون، أشعة الغسق الصفراء انعكست على الحبيبات الصفراء فتلامع الذهب... قدّم له الصرة وقال: لا تعتبر هذا رشوة، إنه سيقيك الحاجة عن تمر المجاعة"[٤]. ثم استعاد "أوخيّد" المهري، وسار به إلى إحدى الواحات.

وأتت واجهتها بيضاء في أعلاها رسم الكاتب إبراهيم الكوني باللون البني المائل إلى السواد، ووظيفته هي تثبيت هوية صاحب الكتاب، وتحقيق بملكيته، وذلك قد يتجاوز لتصبح ومضة إشهارية، "وهذا لوجود صفحة العنوان التي تعدّ الواجهة الإشهارية للكتاب وصاحب الكتاب أيضاً، والذي يكون اسمه عاليا يخاطبنا بصريا لشرائه"[٥].

أما الغلاف فكانت الخلفية التي تحتلّ أكبر مساحة منه باللون الأبيض، هذا اللون الذي له عدّة دلالات فهو يرمز للصفاء والنقاوة، "ولعل معنى الصفاء

[٤] إبراهيم الكوني – رواية التبر، ص، ١٢٤

[٥] بلعابد، عبد الحق، عتبات، ص٦٥

والنقاوة هو المقصود من اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباسا أثناء الحج والعمرة"[٦]، فهو لباس العبادة وبداية أعظم العبادات. ونجد أن اللون الأبيض علامة من علامات النجاة والفوز، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على تفضيل الأبيض على الأسود، فالأبيض يرمز إلى السلام، هذا الأخير الذي ينشده إبراهيم الكوني في جُل أعماله الروائية.

واللون الثاني الذي يأتي بعد الأبيض هو اللون البني الطيني، والذي يرمز للأرض الصحراوية – الحمادة الحمراء – وأتى على شكل تضاريس جبلية صحراوية، عليها رسومات تاريخية لصيادين يطاردان حيواناً قد يبدو من شكله ودّانا ونجد هنا تقاطع بين ما ترمز إليه الرسومات في الواقع الروائي وهو مطاردة الصيادين لأوخيّد وجمله الأبلق عبر الجبال الصخرية وانتهت المطاردة بالموت التراجيدي لأوخيد.

وأسفل الرسومات أتى عنوان الرواية بلون بني ترابي، والذي يُؤوَل على أنه يساوي التبر بالتراب، حتى إن أهل الصحراء عموماً والطوارق خصوصاً لا يعطون قيمة للذهب ويرون أنه يجلب اللعنة والشؤم.

وفي أسفل الواجهة يوجد رمز لدار النشر ويتعمّد الناشر أن يضع الرمز محلّ اسم الدار لكي يضفي على الواجهة لغة الرمز التي تسيطر على الكتاب.

أشخاص الرواية:

تعد الشخصيةُ عنصرا مهمّاً من عناصر الخطاب السردي. وهي تشغل دورا رئيسيا في سرد القصة، ودونها يصعب العثور على أي عمل سردي، حتى وإن كانت درجة حضورها تختلف من عمل لآخر باختلاف مراحل الكتابة السردية، لكنها تظل حاضرة أبدا بصورة من الصور وبشكل من الأشكال. كما هي تقدم

[٦]. أحمد مختار عمر – اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط – ٢، ص- ١٦٤، ١٩٩٧م.

وتلعب بأدوار عاملية منفردة ومتعدّدة داخل خطاب سردي، ما يجعلها من "القوى الفاعلة" تعبيرا أعمّ من الشخصية، والقوى الفاعلة ليست مرتبطةً بالإنسان وحده، وإنما يمكن أن تكون إنسانا، أو حيوانا، أو مكانا، أو مفهوما مجردا. بيد أن حضور الحيوان وإسناد فعل السرد له حاضران في السرد العربي القديم، كما نجد في كتاب"كليلة ودمنة" لابن المقفع وغيره من كتب الروايات الأخرى. يحتلّ الحيوان مكانة كبيرة عند الكوني، وله دور رئيسي داخل هذه الرواية أيضا.

نذكر هنا الشخصية الرئيسة لرواية "التبر" بقدر من الاختصار وهي:

١. "المَهري": هو بطل الرواية، وله سمات لا يتصف غيره من الجمال بها، يصفه صاحبه بأنه "أبلق، رشيق، ممشوق القوام، نبيل، شجاع، وفيّ ...."[٧]، هو إبل أهداه شيخ آهجار إلى فتى اسمه أوخيد ابن شيخ امنغاستن في القرن التاسع عشر، والذي لعب دوراً رئيسياً في صد الغزوات الفرنسية التي كانت تستهدف التوغل في الصحراء الكبرى. وهو نادر الوجود حتى أن القبائل تحسد من يملك بعير من هذه السلالة، يقول أحدهم: " لا يحب أن يفلت المهري النادر من نوق القبيلة، أنا أرى أن تستأثر نوقنا به، نريد نسلا من السلالة المنقرضة.المهاري البلقاء في إبلنا عمل ستحسدنا عليه القبائل"[٨]. والمهري هو بطل الرواية الرئيس، فهو يسبق صاحبه في البطولة، بل إنه هو الذي كان يقوده الى تنمية الحدث، وهذا البعير ظهر في الرواية كالبشر الذي فيه من الحكمة والصبر والفلسفة وغيرها.

٢. "أوخيّد": هو فتىً بدوي صحراوي و ابن شيخ امنغاستن ، تلقّى من زعيم قبائل آهجّار جملاً هو "المهري الأبلق" والذي توطدت بينهما علاقة صداقة عميقة متواصلة. وكما يظهر من الرواية واضحا أن "أوخيّد" قد استمد بطولته عندما أقرن حياته بحياة "المهري الأبلق"، فهو جليسه ومستشاره ونبع حكمته.

٧ إبراهيم الكوني – التبر، ص، ٨..

٨. المصدر نفسه، ص:١٦

وعندما أصيب "المهري" بداء الجرب الذي كاد يهلك من شدته وذلك من نوق إحدى القبائل التي سطا عليها، فإن "أوخيّد" بذل الغالي والنفيس، وتحمل المشاق في سبيل الوصول إلى نبتة "الترفاس" شبه المنقرضة، والتي تنمو في الصحاري البعيدة وتشفي من الأمراض جميعها كما وصف له ذلك أحد الحكماء.

٣. "أيور" : هي الحسناء من قبيلة آير وحبيبة أوخيّد. تزوّجها رغم منع أبيه ' شيخ امنغاستن ' و لعنته وحرمانه من الميراث. وبعد بضعة أعوام، اظطرّ أوخيد إلى أن يطلّقها لرغبة ابن عمها فيها ولكي يتراجع صديقه الجمل.

٤. "دودو" : ابن عم "أيور" وعاشقها.

٥. "تانيت": الإلهة. إلهة الحب والخصب والتناسل عند قدماء الليبيين. وقد اعتنقها منهم البونيقيون فيما بعد. ويرمز لها بمثلث على شكل هرم[٩].

المكان:

مكان الرواية هو صحراء ليبيا التي تمتدّ في الشَّمال الأفريقي من ليبيا إلى موريتانيا، إنها صحراء إبراهيم الكوني.هي ' مملكة اللامكان ' بحسب عبارة بول باولز الكاتب الأميركي الذي لبّى نداء الصحراء في المغرب. إنها الصحراء التي لا ماضي لها لأنها هي الماضي ولا حاضر لها لأنها هي الزمن ثابتاً ومتحركاً. الصحراء الصوفية التي تلتمع بالسرابات والرؤى والحكم، تلك التي نصفها الآخر هو في داخل الإنسان.

الزمان: الإمبراطورية الاستعمارية الإيطالية بين 1936-1941

تلخيص الرواية وأسلوبها:

---

[٩] المصدر السابق- ص ٧٧

الرواية هي حكاية عشق خالص تشهد بها طبيعة الصحراء المفتوحة العامرة بالأسرار. وهي تصور لنا علاقة صداقة بين إنسان وحيوان (الجمل) علاقة عميقة متواصلة.

تبدأ أحداثها بإهداء شيخ آهجّار (إحدى القبائل العريقة التي استوطنت جنوب شرق الجزائر) مهرياً صغيراً " عندما تلقاه هدية من زعيم قبائل آهجّار"[١٠]، هو الأبلق لا يشبهه جمل آخر في جماله وقوامه وسرعته لفتىً بدوي صحراوي اسمه"أوخيّد" ابن شيخ امنغساتن في القرن التاسع عشر، والذي أدّى دورا رئيسياً في صد الغزوات الفرنسية التي كانت تستهدف إلى التوغل في الصحراء الكبرى، ونظراً للرابطة التي شجتها الأيام بين أوخيد والمهري الأبلق فاستحوذ ذلك الأبلق على قلب أوخيد وقد صارا لا يفترقان وتبدأ هذه العلاقة في التطور، فيصبح يتكلّم معه يسامره، يسافر معه، يبوح له بما يختلج في صدره. وفي يوم من الأيام جعل أوخيد إحدى الشاعرات تنظِم قصيدةً في مدح المهري الأبلق، وروّضَ المهر على الرقص في الأعراس.

وهنا أحب "المهري" ناقةَ إحدى القبائل الأخرى، وعندما يظهر هذاالأمر على اوخيّد, لم يقف في مكانه، بل كان يتسلّل في الليل نحو تلك القبيلة من أجل أن يجتمع المهري بناقته، حتّى إذا انكشف الأمرعلى زعيمُ تلك القبيلة، فأعطى هذاالحلّ بأن يرعى المهري مع جمال القبيلة كي تنعُم القبيلة بسلالة نبيلة مثل سلالة المهري.

وفي هذا الغضون يمرض المهري الأبلق ويُصاب بداء الجرب، فيأخذه أوخيد معه في رحلة طلب الشفاء، وهي كانت رحلة أسطورية، فيدور كل مكان في الصحراء كي يجد دواءً للأبلق الذي كاد يهلك من شدّة المرض، وذلك لأنه صديقه ومصدر ثقته. وأخيراً يعثُر أوخيّد على الحل عند نُصُب الإله "تانيت"، فينصحه الشيخ موسى بأن يطعمه من نبتة "آسيار" الخرافية، فيذهب ومهريه محاولاً

---

[١٠] الكوني، إبراهيم، التبر، ص ٧

شفاءه، إذ يتذوق وإياه طعم الموت في الصحراء الكبرى، فتوهب لهما الحياة من جديد حيث يشفي المهري شفاء عجيبا وهناك ينذر أوخيّد ذبح جمل سمين مُقابل شفاء الأبلق، فيشتري أوخيّد جملاً ويُطلقه في المرعى كي يُقدمه للإله 'تانيت' عندما يسمن، غير أنّ أوخيّد يذبح الجمل لعِرسه وينسى تماماً النذر." تذكّر أوخيد الكلمات التي نطقها في وعده عند ضريح وليّ الأولين: "يا وليّ الصحراء إله الأولين. أنذر لك جملا سمينا سليم الجسم والعقل..." والمهري لا هو بالسمين ولا العاقل ولا يملك الجسم السليم بعد. فقرر أن ينتظر حتى يكبر فيسمن ويعقل ويسلم جسمه. عندما حدثت الفضيحة في ساحة الرقص كان المهري البكر لا يزال يسمن ويرتع المراعي الجنوبية، فرأى أوخيد اليوم إشارة فيما حدث. الولي أعلن عن نفسه وحذّرَ. طلب التعجيل بقربانه"[١١].

وبعد شفاء صديقه الجمل، تدخل الأنثى مسرح الأحداث وتقلبه رأساً على عقب، فبدأ أوخّيد يفكر بالاقتران من امرأة غريبة كان يعشقها عن قبيلته فيطرده أبوه شيخ امنغساتن. وتلك المرأة هي الحسناء "أيور" القادمة من تمبكتو فيتزوجها دون موافقة والده، ولعنته وتهديده من الحرمان من ميراثه، وتنجب له ولداً." جاءت الحسناء من "آير" (يطلق آير أحيانا أخرى على تمبكتو أو أغاديس أو كانو) مع أقاربها هرباً من الجدب الذي حاق بتلك الصحراء في السنوات الخمس الأخيرة. وبرغم أن البلاء كان باديا على الحيوانات البائسة إلا أن الحسناء لم تنقصها النظارة ولم يفقدها طول الطريق البهاء. وإلى جانب جمالها تمتعت بروح مرح وجاذبية. هذه الجاذبية هي التي صرعت أوخيد في أول اللقاء"[١٢].

وفي غضون ذلك، مات والد أوخيّد، وتشتّتت قبيلته، واشتدّت حرب الطّلّيانِ مع رجال المُقاومة، فتحلّ المجاعة أهل الواحة ويهلك الناس من الجوع، أمّا أوخيّد فترك له أحدُعشّاق زوجته كيسا من التمر وكيساً من الشعير، ثم يضيع

[١١] الكوني، إبراهيم، التبر، ص ٦٥
[١٢] الكوني، إبراهيم، التبر، ص ٦٧

الكيسان وينقُش في مكان الضائع رمز المُثلث هو رمز الإلهة 'تانيت، فيتذكّر أوخيّد النذر، هو ذبح جمل سمين مُقابل شفاء الأبلق، لكنّه لا يفعل شيئاً لأنّه لا يملك مالاً، وهنا تطلب الآلهة تانيت المهري الأبلق ثمناً للنذر. فرفض أوخيّد ذلك. ويظطرّ أوخيد إلى رهن المهري الأبلق عند قريب زوجته دودو (ابن عمها) ليتمكّن من توفير لقمة الكفاف لعائلته، لكنّ المهري لا يتحمّل فراق صاحبه بل يهرب منه مرّة تِلو الأخرى نحو أوخيّد، حتّى يقرّر الأوخيد استرداد المهري مهما كلّف الثمن، فتقبّل دودو ذلك على شرط أن يطلق أوخيد زوجته ليتزوّجها هو، فيرفض، لكنّ دودو يصرّ على شرطه يضطرّ أوخيّد إلى تطليق زوجته، وكان أوخيد اتفق على ذلك لإنقاذ عائلته من المجاعة. ويمنحه العاشق حَفنتين من التبر فيقبلها أوخيد. ومن هنا جاء **تسمية الرواية** "التبر".

ينطلق أوخيّد مع مهريه لكي يمسح العار الذي لحق به، وسار به إلى إحدى الواحات حيث ينمو نبات "الترفاس" العجيب، وبقي هناك مدة في معتزله إلى أن جاءه أحد رعاة الإبل، وأخبره دون أن يعرفه قصة الرجل الذي باع زوجته بالذهب، كما أشاع العاشق في الناس أنه باعه بالتبر. " إنما يذهب ويقول للناس أنه اشتراها بماله. بحلاله. بالتبر. وهؤلاء هم الشهود. عبيده هم الشهود. سيشهدون. شهدو. ضمن أن الناس لن تتكلم. الناس ستباركه. جاء من آير لاسترداد قريبته. ابنة عمه. بماله. بذراعه. من يستطيع أن يعترض؟ بالعكس. هو شهم. هو بطل. دودو بطل"[١٣]. فطار عقل أوخيّد حينما علم أن الشائعة قد انتشرت أنه باع زوجته وولده مقابل التبر، فيعود أوخيّد لينتقم من دودو وذهب إلى مضارب قبيلته في قتله وينثر عليه التبر الذي اعطاه إياه، وكان عليه أن يفارق جمله لينجو من أتباع دودو الذين بدأوا بمطاردة أوخيّد كي يقتلوه، لا لأجل الأخذ بالثأر، وإنّما لأنّ العُرف يحتم قتل القاتل كي تستطيع القبيلة تقاسُم ميراث القتيل. فيهرع أوخيّد

[١٣]. الكوني.إبراهيم. التبر، ض ١٤٠-١٤١

إلى أماكن بعيدة، وينجح في البداية بالهرب، ثمّ يُقرر في النهاية اللجوء إلى كهوف الجبال، ولأجل ذلك يُطلق مهريه في الصحراء حامياً إياه من الأذى، غير أنّ المهري ما يلبث أن يعود إلى صاحبه فيكشف عن مخبأ أوخيّد للأعداء، وهكذا تمكن أبناء قبيلة دودو من إخراجه من الكهف فيقتلونه بربط جملين يسيران بطريقتين متعاكستين. وذلك بطريقة تانس حسب أسطورة "تانس وأطلانتس" حيث تقول الأسطورة: "قَيّدوا يديه ورجليه بالحبال. جاؤوا بجملين. شدّوا اليد اليمنى والرِّجل اليمنى إلى جمل، وشدوا اليد اليسرى والرجل اليسرى إلى الجمل الآخر .. أحرقوا أجسام الجمال بألسنة السياط.قفز أحدهم نحو اليمين، وقفز الآخر في الاتجاه المضادّ"[١٤]، ثم قطعوا رأسه وأخذوه للقبيلة حتى يَتَيَقّنوا من قتله.
هكذا تنتهي الرواية بشكل مأساوي، وكانت نهاية تراجيدية لأوخيد، فالتبر لَوثة الصحراء، يموت صاحبُه بسببه، ويموت أوخيِّد ومهريُّه أيضا بسببه. والعبارات التي جاءت على لسان أوخيِّد، ورغبته للانعتاق من الزوجة والأولاد، والتمسك بالبعير "المهري الأبلق، لها دلالتُها البعيدة؛ فكأنه أراد أن يؤكد على فكرة الأنثى المذنبة، الأنثى نفسها كانت سبباً في بلاء الأبلق. فالأنثى هي سبب جَرَب المهري، وهي سبب بُعده عن القبيلة وتشتتها وضياعها فيما بعد.
والشيء الذي سلب لبي في الرواية هو الأمر الذي يضمّ بين جوانحه نفسا حساسة وطافحة بقيم العزة، يتمثل ذلك في عدة مستويات في متن الرواية، فعندما آثر "أوخيد" اتباع مشاعره ضد ما كان يرغب فيه والده، وتزوج "أيور" وغادر القبيلة إلى الحدود السفلية المتاخمة لحدود "فزان". وهنا صادف أن حاصرهم القحط، فقتر عليهم في الرزق، أخبرته زوجته كحل أخير لتلافي الجوع، أن بندقيته لن تعدم ثلاث رصاصات ينهي بها حياتهم في الصحراء، لم يجب "أوخيد"، ولم يستنكر هذا الخيار، وبينه وبين نفسه وجده اقتراحا عمليا يجنبهم مغبة العار، هذا المشهد

---

[١٤]. المصدر نفسه- ص، ١٥٩

الروائي يفصح لنا بوضوح عن ذلك الاتفاق المسبق بين سكان الصحراء وبين الأزواج، فالموت بالرصاص أخف على أنفسهم من استجداء الناس، ومما يزيد من تصوير هذا الموقف أن اقتراح "أيور" جاء في سياق التأسي بعائلة مكونة من زوجين وثلاثة أطفال، ولولا أن جثتهم لحقها التفسخ والعفن لما انتبه إليهم أحد، قال إمام الجامع: "إنهم ماتوا مخنوقين، خنقهم الأب حتى يمنع صراخهم من الوصول إلى آذان الجيران"، تحت وطأة الجوع قضوا نحبهم في صمت، لم يشعر بهم أحد حتى جيرانهم.

والجمل (المهري الأبلق) الذي يقوده الى تنمية الحدث، ظهر في الرواية كالبشر، فيه من الحكمة والصبر والفلسفة.والكاتب أراد في روايته هذه أن يزود القارئ بشيء عن حياة قبيلة الطوارق وتاريخها وثقافتها في الصحراء، وعن قسوة العيش التي يعانيها مواطنوها، من خلال صولات وجولات "المهري الأبلق" وصاحبه "أوخيّد". وذلك يمكن بأن الكاتب قد عاش بين هذه القبائل وهو أحد أبنائها، كما أنه مطلع بشكل واسع على حياة هذه القبائل، وإلا ماستطاع أن يكتب مثل هذه الرواية في التفاصيل الدقيقة عن حياتهم، وعن جغرافية صحرائهم، وعن معتقداتهم وأساطيرهم، وجوانب من تراثهم القديم. وهذه ميزات ينفرد بها الكاتب.

الصراعات والثورات في الرواية:

في الرواية، نجد شخصية أوخيّد أنه يريد أن يتزوج بالحسناء 'أيور' التي تنتمي إلى قبيلة آير، لكن الأب لم يوافق، بل خالف وبعث له بالجواب الصاعق "<<لا بارك الله لك فيها>> بهذه الوصية بعث له أبوه مع الشيخ موسى، لم يتوقّع إجابة مثلها من أبيه، فطافت في عينيه سحابة غضب، فهدده موسى بسبابته: "تمهل. لا

كما يجيب الأب يجاب" فبلغ غضبته، ونهض كي يخفي قهره في الصحراء"[١٥].
هكذا يدخل أوخيّد في صراع مع نفسه من جهة، ومع الأب والعادات والتقاليد من جهة أخرى، لأن والده أراد أن يزوجه ابنة عمه.، فالخلاف معه بالزواج من فتاة من قبيلة مهاجرة غير معروفة لكن " الشيخ موسى هو الذي توسط بينه وبين الوالد في خلافهما الأول، إذ أراد أن يحصّن المشيخة في نسله ويحفظها من الأغراب فقرر أن يزوجه بنت عمته."[١٦]. لقد فهم أوخيّد الآن سبب منع الوالد لزواجه من حسناء آير، والسبب هو السلطة والزعامة.
لكن أوخيد لم يخطر بباله أنه يتزوج ابنة عمته لأنها فتاة بليدة لا جاذبية لديها و لا مواهب " فتاة بليدة، مطفأة العينين. لا شرر ولا شعر. لا جاذبية ولا مواهب، فتاة عادية ذات ملامح مرضية. ثم إنها لم تخطر له على بال في يوم من الأيام. لم ير فيها المرأة . لم ير فيها الأنوثة، فكيف يجرأ ويتزوجها؟"[١٧].
يعيش أوخيّد في صراع مع نفسه، صراع لا بدّ أن ينتهي باختيار أحد الأمرين، إما طاعة الوالدين، ويفوز برضاهم، لكنه يعيش حياة لم يخترها لنفسه، يعيش مع امرأة لا تربط بها أية صلة سوى رابطة الدم.، أو يختار طاعة سلطان القلب ويتزوج المرأة التي سحرته بجمالها وأسرته بغنائها. ففي آخر المطاف فضّل التمرد على الأب و على القبيلة وعاداتها.، هو تمرّد عن الصحراء وناموسها. لقد تزوج أيور فتاة أحلامه. وفي المقابل بدأت آثار غضب الصحراء والعادات والتقاليد من أول يوم من زواجه. "النتيجة تبرأ منه. قال للشيخ موسى: "أبلغ الأحمق أن أيموهاغ (الطوارق) على حق عندما سنّوا النسب إلى الأم، قل له أن يرافقها إلى بلاد السحرة(تمبكتو)" ثم حرمه الميراث فانفصل عن القبيلة"[١٨]، كانت هذه أولى آثار اختياره غضب الأب عليه وحرمانه من الميراث، لكن لم يزل عقاب خروجه عن

---

[١٥]. الكوني ، إبراهيم – رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط – ٣، ص٦٧، ١٩٩٢م.
[١٦]الكوني ، إبراهيم – رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط – ٣، ص٧١، ١٩٩٢م.
[١٧] نفس المصدر، ص٧١، ١٩٩٢م.
[١٨]المصدر السابق، ص٧٣.

تقاليد القبيلة والصحراء معاً، وبالفعل تتوالى المصائب على أوخيد من مصيبة إلى أخرى، حتى وقع ضحية الخديعة من ابن عم زوجته 'دودو' الذي قام بإقراضه المال في المجاعة حتى أصبح لا يستطيع السداد وبعدها بدأت رحلة الابتزاز، أول الأمر أخذ منه جمله المهري الأبلق، وبعد مدة لم يصبر على فراقه لكن دودو عرف كيف يضغط عليه بتعذيب الجمل، وإذا لم يتحمل أوخيد ذلك وأراد أن يسترده، ففي المقابل، طلب دودو منه أن يسلّمه زوجته 'أيور' التي ضحى من أجلها، واغضب الوالد والصحراء من أجلها. ثم العار الذي شاع في القبيلىة أنه باع زوجته وطفلته بالذهب، فقتَلَ أوخيدُ دودو وقُتل. فاجتمعت اللعنات عليه، لعنة الأب، ولعنة العرف، ولعنة القبيلة ولعنةالصحراء. هكذا ستبقى قصة أوخيّد بتمرد على أبيه وتزوجه فتاتة أحلامه أيور ثم فقدان زوجته لجمله، المهري الأبلق، ثم فقدان حياته في آخر الرحلة، رحلة التحول التي توقفت به في محطة الفناء.

"يصوغ نص التبر وجوده بالعلاقة التي نشأت بين أوخيد والجمل والتي كانت محور النص، ولقد استعان الكوني بالبيئة الصحراوية لتأثيث نصه، كما استعان بالتاريخ والأسطورة من أجل صقل النص وصياغته بحيث تخدم المظهر والمخبر"[١٩]. والكوني الذي يمتلك لغة أدبية جميلة قد خلط الواقع بالخيال الأسطوري في هذه الرواية، فقد عاد إلى الجذور البعيدة للطوارق، مروراً بالإسلام، وعرج قليلاً على الاحتلال الإيطالي لليبيا، لتدور أحداث روايته في تلك المرحلة.

الرموز والإشارات في الرواية:

ترتكز رواية التبر على الرمز الذي يُقدم رواية باطنية تختلف عن رواية الظاهر، والصراع الأساس هنا يتمثّل في صراع الحرية مُقابل العبودية، فالصحراء هنا ترمز إلى الحرية، والتبر والمهري الأبلق يرمزان إلى العبودية، ويندرج تحت هذين

[١٩] شريف، عكازي، الصحراء وطاقتها الترميزية في أعمال إبراهيم الكوني الروائية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، الجمهورية الجزائرية، ص ١٢٥.

الرمزين سلسلة من الرموز الأخرى، فكل ما في داخل الرواية رمز أو بالأحرى إشارة وفق قاموس إبراهيم الكوني اللغوي، فالحلم إشارة، والسر إشارة، ورسومات الكهف إشارة، وحيوانات الصحراء إشارة وغيرها.

أمّا المرأة فهي إحدى الإشارات التي عجز عن فهمها أوخيّد فأُصيب باللعنة، واللعنة في أقسى أشكالها منفى، والمنفى حرية، ففيه ينعتق المرء من أسر الملكية فيتحرر، غير أن أوخيّد ولأنّه عبد أعمى، أي أنّه عبد لا يُدرك أنّه عبد، لذا لم يستطع أن يتحرّر وهو حي، وربما تحرر حينما مات، أي حين تمكّن في لحظة موته من فهم معنى الإشارة.

الأسلوب:

أما بالنسبة إلى محتوى النص في الرواية، فلقد استعمل الكوني لغة راقية خلط فيها بين الشعرية والغموض، بين الوصف والمجاز. وكان في بعض الأحيان يمزج في مقطع واحد الوصف، والمجاز والشعرية، على سبيل المثال نأخذ مقطعا من الرواية يصف فيه جمل أوخيد المهري الأبلق، "**عاد** من إحدى الغزوات كئيبا. **انطفأ** بريق المرح في عينيه الكبيرتين **ودلى** شفته أكثر. وقف في العراء هادئاً، صامتاً، يشيّع الأفق المتراقص في ألسنة السراب السماوية، بنظرة حزينة"[٢٠].

ومن حيث اللغة، ففي المقطع السابق نلاحظ أن الكوني يختار الأفعال وزمنها بدقة بحيث تتلائم مع مقتضى الحال، فالكوني يصف لنا الحالة التي آل إليها مصير الجمل الأبلق، هذا الجمل الذي حاز جَمال الجِمال، فكان يضرب به المثل في الجمال،، وكان من فصيلة نادرة، فكأنه يتحسر على حاله ويحن إلى ماضيه الجميل، ويظهر ذلك من خلال استعمال الأفعال الماضية: فمن خلال الفعل <<عاد>> يبرر الكوني أن الذي أصاب الجمل ليس مرضاً ووراثياً، إنما سببه مخالطته بجمال النجوع المجاورة،، والفعل <<انطفأ>> يوحي بأن الحاضر

---

[٢٠]. الكوني، إبراهيم ، رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط – ٣، ص٦٧، ١٩٩٢م.

يختلف عن الماضي، ففي الماضي كانت عيناه منيرتان بالمرح. والفعل <<دلى>> علامة من علامات المرض. "يشيّع" هذا الفعل المضارع الوحيد، فدلالة فهو يعني الوداع إلى المثوي الأخير، فكأنه يودع حياة الجمال ويستقبل المستقبل بنظرة حزينة.

اختار المؤلف في سرد أحداث الرواية التشويق كخاصية أسلوبية تكون الجسر بين السارد والقارئ، ولأجل هذه الوظيفة، استخدم مُفردات من المُعجم اللغوي الصحراوي. واستخدم كلمات وجمل صغيرة، وركز على استخدام علامات الترقيم. كما جرى استخدام تقنية الوصف، والتكرار، والتقديم والتأخير، إلى جانب استخدام تقنيات سردية مُتعددة وأهمها الاستفهام، والنهي، وغيرها.

يستخدم الكوني أيضاً بعض التقنيات السردية من أجل صياغة نصه الروائي، فمثلاً يستخدم تقنية الاسترجاع، وهي العودة إلى الأحداث الماضية، وقد يكون هذا من أجل التوضيح أو للتذكير أو لإضاءة إحباط الحاضر. "تذكر كيف رعاه وربّاه عندما تلقا هدية من الزعيم المهيب وهو لا يزال مهران، كان يسرق الشعير من الخباء ويطرحه في راحتي يديه ويقدمه له"[٢١]. وكل ذلك قد تجلّى من خلال الآتي:

- تُسيطر ثُنائية البقاء والفناء على الفضاء الصحراوي.
- يرتكز النص على الميثولوجيا حيث قام الكوني بتوظيف الرموز، والإشارات، والأساطير.
- تظهر الأسطورة داخل النص حية مُتفاعلة ومُشكّلة مسار الأحداث ومُؤثرة على تطوّر الشخصيات.
- يحتلّ الحيوان مكانة كبيرة عند الكوني، وله دور رئيسي داخل الرواية.

[٢١] الكوني، إبراهيم ، رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط – ٣، ص٢٠، ١٩٩٢م.

- ارتكز الكوني على التناص في بداية بعض فصول الرواية لتقوم بدور تمهيدي إشاري يشير بشكل غير مُباشر بما سيقع من أحداث، كما ارتكز على الملمح الصوفي في سرد الرواية.

تتناثر الحِكَم بين دفتي الرواية:

من أهم الأمور التي تميّز الرواية وصاحبه كليهما هو أنه تتناثر كلمات الحكم والمعرفة في الرواية. وعندما يقرؤها أي قارئ، يجد هذه الكلمات الثمينة الغالية بين دفتي الرواية ويجد أنها تزيد من عقلها ومعرفتها أيضاً. أذكر هنا بعض كلمات الحكم المذكورة في الرواية:

- من فقد عقله، فقد نفسه.
- الحسد أقوى من السم.
- عين الحسود أفتك من السهم المسموم.
- الشجاع لا يهرب من نفسه.
- إذا وهبك الله الصبر في الصحراء، وهبك كل شيئ.
- في الشباب يتفتح الطيش.
- الله جميل يحب الجمال.
- الجمل لا ينسى الإساءة.
- أخوة الدم أقوى من أخوة النسب.
- الصبر هو التعويذة الوحيدة ضد البلاء.

الخاتمة: وفي النهاية نقول: إن رواية "التبر" راواية رائعة ذات أهمية أدبية قصوى. يمكن للقارئ أن يجد فيها جميع ما ينبغي أن يكون هناك في أي عمل أدبي. فيها المأساة والصراعات، والثورات واللعنات. هي مملوءة بالرموز والإشارات كما هي تحمل المعلومات الشاملة الهامّة عن الصحراء الأفريقية الليبية وموجوداتها

وسكّانها. أسلوبها شيق وجذّاب. مقولتها الأساسية هي أنّ الصحراء هي الطهر والقداسة، والتبر والأنثى هما ما يدنس الصحراء. والرسالة المهة التي يريد الكوني أن يبلّغ سكان الصحراء أصالة والقارئ عموما هي لا يكون الإنسان حراً إلا إذا ابتعد عن المال والأنثى.

المراجع والمصادر:

١. [1]الكوني، إبراهيم. رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط – ٣، ١٩٩٢م.
٢. باختن، ميخائيل. الخطاب الروائي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م.
٣. البحراوي، محمد سيد. بواكير الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ٢٠٠٧م.
٤. ضيف، شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط١، دار المعارف القاهرة، ٢٠٠١م.
٥. العسيلي، ثريا. دراسة في أدب عبد الرحمن الشرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
٦. العمامي، محمد عقيلة. قراءة في الرواية الليبية... من كتاب أكسفورد "تقاليد الرواية العربية"، بوابة الوسط – ٢٠١٨م.
٧. عمر ، أحمد مختار. اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط – ٢، ١٩٩٧م.
٨. الفيصل، سمر روحي. دراسات في الرواية الليبية، المنشأة العامة للتوزيع والنشر ، ١٩٨٣م.
٩. الفيصل، سمر روحي. نهوض الرواية العربية الليبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٠م.
١٠. قاسم، سيزا. بناء الرواية ، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١١. القضاة، محمد أحمد. التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ٢٠٠٠م.
١٢. محفوظ، نجيب. أتحدث إليكم، نجيب محفوظ، ط ٢، دار العورة، بيروت، ٢٠١٤م.

١٣. وادي، طه. دراسات في نقد الرواية ، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٢م.

١٤. وادي، طه. مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، ط ٢، دار النشر للجامعات.

١٥. وادي، طه. هيكل رائد الرواية، السيرة والتراث، ط ٢، دار النشر للجامعات، ١٩٩٩م.

.... ❖❖❖❖❖ ....

الطبائع الفنية في روايات لينا هويان الحسن

د. محمد شميم النظامي [*]

ملخص البحث:

حازت الرواية العربية الحديثة مكانا ساميا في الأدب العربي المعاصر ولمست التحولات الداخلية للحياة العربية في بساطة صورها وعقدة تجلياتها، فتركزت بذلك على أحاسيس المواطن العربي ومشاعره وانفعالاته بقضاياه السياسية والاجتماعية. وقد سجلت الروايات العربية في طيات القرطاس جماليا لمسيرة الإنسان والمجتمع في القرن العشرين مما جعلها تتمتع بميزة ديوان العرب. كما شهدت مصر الدور الريادي الذي لعبته في تجربة فن الرواية العربية الحديثة، كذلك لا ينسى الدور المهم الذي تبناه أدباء بلاد الشام والمهجر الأمريكي في بلورة النهضة العربية الحديثة، وذلك بعد اتصال الأدباء بالغرب قبل غزو نابليون لمصر وسوريا.

خلال فترة زمنية قصيرة استطاع هذا الفن الأدبي الحديث أن يوسع دائرة مخاطبيه، إلى حد أصبح ينافس فن الشعر الذي كان طوال تاريخ الأدب العربي هرما عاليا، لم يصل أي نوع أدبي إلى هذا المستوى.

قد أنجبت بلاد الشام أساطين الرواية الفنية وتلألأت أسماؤهم على مسارح الأدب العالمي، ومارسوا الصياغة الإبداعية الروائية التي تبلورت في العصر الراهن من خلال تناولها للقضايا المستجدة التي تدور حول العالم، ومن الشخصيات التي تبنت هذه القضايا وخرجت من عتبة المشهد الإقليمي إلى الفضاء الأوسع شخصية الروائية السورية لينا هويان الحسن وهي من الروائيات والكاتبات اللواتي تواصلت ولا تزال مسيرتهن في معالجة قضايا المرأة السورية الصحراوية بصفة خاصة والمرأة العربية بعامة من خلال الروايات التي أنجزتها على التوالي.

---

[*] أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية ، جامعة بردوان، بنغال الغربية– الهند .

روايات لينا هويان الحسن تتمثل في أدب رفيع وجميل ذو قيمة فنية رائعة ورسالة عالمية إنسانية مصبوغ بصبغة النزعة التقدمية والإبداعية والمادة العلمية والثقافية، ويشهد بذلك المئات من الصفحات التي كتبتها الروائية والتي تتفجر معانيها السامية وكلماتها تنبع من قلبها وهي نماذج رائعة فريدة في الأدب العربي المعاصر.

هده الدراسة تحاول من خلالها تسليط الضوء على الطبائع الفنية للروائية عند الكاتبة، وتتطرق إلى تلك القضايا والمشاكل التي كانت تعاني منها المرأة السورية التي أثارتها الكاتبة موضوعيا وفنيا بالإضافة الى البحث عن الجوانب النفسية والسياسية التي ساهمت في تكوين العمل الروائي بشكل يثير للدهشة ويدعو للاستغراب.

سطور عن الكاتبة لينا هويان الحسن:

ولدت الكاتبة في غرب سوريا في منطقة الحمراء ببادية حماة في ٧ يناير عام ١٩٧٧، في القيسية التغلبية، ونشأت وترعرعت هناك، فدرست المرحلة الابتدائية في البادية السورية، وكان لوالدها دور بارز في حياتها، فتأثرت كثيراً بشخصيته وثقافته اللتين كان لهما أبرز الأثر في تكوين شخصيتها وثقافتها.

تخرجت في كلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة دمشق، ونالت شهادة دبلوم الدراسات العليا الفلسفية، وأحبت الرسم كهواية، وأقامت الأديبة معرضين فنيين في الجامعة خلال فترة دراستها، وكذلك عملت في الصحافة السورية بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠١٣ في صحيفة " الثورة " الرسمية حيث أشرفت على ملحق الكتب بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠١٣، وعملت بالصحافة الثقافية النقدية بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٦

حيث كتبت مقالات متنوعة: مثل "سينما، ونقد، وتشكيل، ومسرح، ومحاورات ولقاءات لمفكرين وأدباء وفانيين".[1]

أعمال لينا هويان الحسن الأدبية:

الكاتبة لم يتجاوز عمرها خمسين سنة حتى إنها جاءت بجلائل الأعمال وضخامتها التي تثير الدهشة وتدعو للاستغراب، وحفلت هذه الفترة القصيرة من حياتها بإبداعات فنية قلت مثيلاتها وندر من يدانيها ومن أهم أعمالها الأدبية في فن الرواية هي "معشوقة الشمس" التي صدرت عام ١٩٩٨م، و"التروس القرمزية" التي صدرت عام٢٠٠١م، و"التفاحة السوداء" التي صدرت سنة ٢٠٠٣م، و"بنات نعش" التي صدرت عام ٢٠٠٥م، و"سلطانات الرمل" التي خرجت إلى الظهور عام ٢٠٠٩م، و"نازك خانم" التي ظهرت في عام ٢٠١٤م، و" ألماس ونساء" التي صدرت في عام ٢٠١٤م، و"البحث عن الصقر غنام" التي صدرت عام ٢٠١٥م، و" الذئاب لا تنسى" التي صدرت عام ٢٠١٥م، و"أنطاكية وملوك الخفاء" التي صدرت سنة ٢٠٢١، والرواية الأخيرة هي "حاكمة القلعتين (عن جنيّات وساحرات الشام وعرافاتها)" التي صدرت عام ٢٠٢٢م. وفي موضوع الدراسات التاريخية والسيكولوجية صدرت لها "مرآة الصحراء" (كتاب توثيقي عن البدو) ٢٠٠٠م، وكتاب "آنا كارنينا تفاحة الحلم" (دراسة سيكولوجية) ظهر في عام ٢٠٠٤م، وأخيرا "رجال وقبائل" (كتاب توثيقي عن أعلام البادية السورية) ٢٠١٣م، وصدر لها ديوان شعري يحمل عنوان "نمور صريحة" في عام٢٠١١م.

صياغة الإبداع الأدبي والوثائق التاريخية

تقول الكاتبة لينا هويان الحسن: إن "المراجع حول العشائر في بادية الشام كتبها مستشرقون".[2]

---

[1] - العلامة في رواية "سلطانات الرمل" للينا هويان الحسن" وفق منظور أمبيرتو إيكول عبد اللطيف نصيرة وقبشي الياقوت، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، السنة ٢٠١٩–٢٠٢٠، ص ٤.

تدور أحداث رواية "التروس القرمزية" في سورية الآرامية من منظور تاريخي في حوالي ٢٥٠٠ق. م. تتناول العلاقة بين كل من مملكتي ماري وإيبلا حين انتصرت مملكة إيبلا على مملكة ماري، تتمركز حول بطل الرواية هو الأمير آغدن بن جمر، ابن ملك ماري. حكم عليه أن يكون أسيراً ورهينة في بلاط ملك إيبلا شمس بن عدري إثر معاهدة بين المملكتين، نصت على أن يعيش ولي عهد ماري في بلاط الملك المنتصر، ملك إيبلا لحين موت الملك جمر. عندها فقط يستطيع الأمير الأسير أن يعود إلى مملكته ويتسلم عرشه، فيواجه الأمير الأسير في مملكة إيبلا أشياء كثيرة وأحداث متنوعة: حب، كره، غدر، مفاجآت. وهي كلها أحداث متخيلة مستلهمة من صفحات التاريخ العتيق.

تحولت بداية الكاتبة التاريخية إلى تصوير الذات البدوية والصحراوية إلى أن ولجت البادية السورية من أوسع أبوابها في أعمالها الإبداعية المتوالية، وكرست لها عدة تأليفات مثل "معشوقة الشمس"، و"بنات نعش"، و"سلطانات الرمل"، و"مرآة الصحراء"، وكتابا وثائقيا عن شخصيات فذة من البادية السورية بعنوان "رجال وقبائل"، ومن خلال أعمالها هاته تعتبر الشخصية الأولى والوحيدة التي كتبت عن الفضاء البدوي السوري وسلطت الضوء على عموم صحاري الشرق الأوسط، حيث امتدت الرقعة الجغرافية التي تناولتها أعمالها إلى بوادي وصحاري الأردن والعراق ونجد.[٣] وفي المرحلة الثانية من حياة الكاتبة قد تبنت أن تختار الحياة المدنية وتعاطي النمط الآخر من الأسلوب السردي دون أن تبتعد عن التاريخ والوثائق كأسلوب أسطوري، فروايتها "نازك خانم" و"ألماس ونساء" تعكسان عن تجربتها الروائية وموقفها من الأحداث التي كانت تتجدد في سوريا وظروف الكتابة خارج حدود البلاد، وتصور حياة أفراد الطبقة البرجوازية

---

[٢] -سلطانات الرمل "رواية تكشف عن عالم البدو"المغبون أدبيا ومعرفيا، الغد، ٢٠١١-٠٧-٢٥، الموقع-سلطانات-الرمل-رواية-تكشف-عن-عالم-البدو/https://alghad.com/.

[٣] الروائية السورية لينا هويان الحسن في حديث لـ "اشرعة، ١٠ يناير,٢٠١٦، الوط.

السورية في المنفى، مع تفاصيل السلوكيات والعادات التي حملوها معهم من وطنهم، مع الاهتمام بجانب إسهامات النساء الدمشقيات، وفي رواية "نازك خانم" و "ألماس ونساء" قدّمت نماذج ذات القيمة الأدبية والاجتماعية للنساء من حيث أن المجتمع يسارع إلى إدانتها، لكنّ الأدب يُعيد إلى المرأة دورها القيادي ومكانتها المميزة، وهو يبقى السلاح الحقيقي والمضاد لكل أشكال السلطات، وهذه الروائية تتبع خطوات نساء مختلفات، هاجرن من دمشق وعبرن المحيط الأطلسي إلى صوب المهجر السوري في بوينس آيرس وساو باولو، ليصنعن شخصياتهن بحرية أكبر.[٤] ورواياتها "ألماس ونساء" من أحسن ست روايات تم ترشيحها لجائزة "بوكر" العربية في عام ٢٠١٥.

كما صدرت لها رواية "حاكمة القلعتين (عن جنيّات وساحرات الشام وعرّافاتها)" تتمحور حول بطلة الرواية العرافة الساحرة؛ حيث تبنت نجلتها اليافعة موقفاً مغايرا لمهنة أمها وتفارقها إلى دمشق لدراسة الفلسفة في بعاد سطوة أمها وصيتها. تختفي خاتون قبيل اقتحام فصائل داعش لشمال شرق الفرات وتحديداً تلك المنطقة التي تتوسط قلعتين تاريخيتين بنتهما الملكة زنوبيا، هما (حلبية وزلبية) على ضفاف الفرات. تحاول الابنة العثور على أمها، وعندما تيأس من العثور عليها تقرر كتابة قصة أمها وغيرها من نساء عرافات وسحرة. والرواية تضفي على طقوس تُمارس لاستحضار الأطياف ومحادثتها وتأخذ في رحلة معرفية عن عالم مجهول.

وفي هذا الإبداع الفريد يلاحظ أغرب النساء وأكثرهن جاذبيّة وندرة الذي يستلهم من معارف الحكمة القديمة المغيبة، ويقتاد إرث "زمن السّحَرَة"، ويفتح

---

[٤] - لينا هويان الحسن، لستُ ابنة الحظ ... والأدب شغوف بالأسرار النسائية، ١٤ أبريل ٢٠١٥، الحياة، الرابط / /http://www.alhayat.com/article/652555

سجلات الماضي السحيق وفق رؤية حداثية متنوِرة. ورشحت الرواية للجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام ٢٠٢٣م.[٥]

وكذلك صدرت لها رواية "أنطاكية وملوك الخفاء" تتجسد على خلفية مرحلة ما قبل ضم أنطاكية إلى تركيا، في تلك المنطقة التي شكّل عصيان نهر العاصي أساطيرها وحكاياتها، تحكي هذه الرواية سيرة مجموعة من النساء عشن في مرحلة تحولات كبرى جرى فيها الانتقال من الإقطاعية إلى بدايات الدولة الحديثة، وما تركه ذلك من تأثير على أفكارهن وحيواتهن. على وقع حكايات "الهدهدية"، الحكّاءة، الداية، حافظة الأسرار، عن تمردّات "فهرية"، ابنة العائلة الإقطاعية المحافظة، وعن الاختراق الذي مثلته دادا في حياة تلك العائلة، وتأثيرها على فجر. تأثير عاصف منحها رؤية جديدة لحياتها ساعدتها على الخروج من ماضيها كـ ابنة الأبلهين وجعلها تتصالح مع ذلك الماضي. "ستبقى تلك الليلة راسخة في ذاكرة فجر، فهي توقعت كل شيء من تلك المرأة التي يمكنها أن تنتهك أي قانون، وأن تخالف أي قناعة، وأن تراوغ كل ما يمكن أن يعتقده المرء بشأنها". "جاء زمن غدت فيه فجر كما حلمت ذات يوم وهي تقرأ الكتب في عتمة الكنيسة.. سمعت كثيرًا في نوادي حلب عن تحرر المرأة، وعن المساواة بالرجل. تتبعت صفحات مجلات آل وفوغ وجاردان دامور.. في السينما، شاهدت السيقان الخرافية لبريجيت باردو وصوفيا لورين ومارلين مونرو، سيقات دكت القلاع الذكورية. رغم ذلك ظلت فجر تعتقد بأنها قابلت امرأة أهم من كل أولئك النساء.. إنها تلك المرأة الصيادة العابثة والحرة.. امرأة واحدة تعلو عندها على كل نجمات السينما. امرأة امتلكت حرية مرعبة، شغوفة، متقدة.. حرية تمليها عليها أهواؤها".[٦]

[٥] – https://arabicfiction.org/ar/node/2104

[٦] – لينا هويان تروي حكاية أنطاكية التي سلختها تركيا عن سوريا (تداخل الأسطوري والواقعي ينعكس على الشخوص والأحداث ويشمل المكان) للأستاذ سلمان زين الدين، نشر المقال السبت ١٤ أغسطس ٢٠٢١ في صفحة اندبندنت عربية:



رواية "الذئاب لا تنسى" تتحدث عن شقيقها ياسر الذي قتل في المأساة المستمرة السورية منذ سنوات طويلة، والتي أدّت إلى مقتل آلاف شخص، وتستلهم الكاتبة من مقتل ياسر بداية للسرد عن تقاليد وعادات متناقضة مع أبسط حقوق الإنسان تجاه النساء، حيث تسلط الكاتبة الضوء على عادة قتل الإناث باسم الشرف لمجرد أن الفتاة فكرت في اختيار شريكها، ورغم الوجع الشامل تلج الكاتبة إلى دروب سحرية، حيث فضاءات الصقور، تلك الذئبة التي أرّقت بعوائها ليل البادية، حيث قصص تشاركتها مع شقيقها الراحل عن "ونسة" الازيدية الجميلة، عن "خاتون عمشة" التي أُلقي بجثتها في الآبار الرومانية القديمة. وهذه الآبار التي حفرت في عهد الرومان وقد تحولت في عصر السلطة الذكورية البدوية إلى مدافن لفتيات يُقتلن باسم الشرف وصارت جثثهن في آبار حملت أسماء القتيلات.

من خلال الحكاية القصصية، تسعى الكاتبة التوجه إلى تحديد المسؤولية لجميع الأطراف المتقاتلة في سورية، فهي تلامس نقد 'الثورات' ولا تتوانى عن مهاجمة من أسمتهم 'سارقي الثورات' وتعرج على الطريقة المستفزة التي تعامل بها الضباط المنشقون مع الضباط القدامى في سورية، ما أدى إلى اشتباك سياسي وأمني.

وتقول الكاتبة في روايتها إنها تكتب 'من بين أسنان الماضي لتستدعي حكايات كثيرة. إنها وحوش التذكر دفعتني لأقتلها على أرض الكلمات وملأت كل هذا الورق لعله يشفي قليلا من الحزن.[٧]

---

https://www.independentarabia.com/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9

[٧] - لينا هويان الحسن، الذئاب لا تنسى، دار الآداب، بيروت، ص:١

تخييل الزمان والمكان في روايات لينا هويان:

المكان والزمان يشكلان من المكونات الأساسية في بناء الرواية. فهما يدخلان في علاقات متعدّدة مع العناصر الأخرى للسرد، ويوصف المكان في الأعمال السردية بأنه مكان محدد لمسرح الأحداث، أو المتسع الذي تتحرّك فيه الشخصيات، أو تقيم فيه، فتنشأ بذلك علاقة متبادلة، بين الشخصية والمكان، والمكان هو يمنح العمل الروائي خصوصيته، وطابعه، ومن ثمّ ليكتسب المكان صفاته ومعناه ودلالته.

أمّا الزمان في السرد، فهو يتجلى في عناصر الرواية كافّة، وتظهر آثاره واضحة، على ملامح الشخصيات وطبائعها وسلوكها، فالأحداث التي يسردها الكاتب، والشخصيات الروائية التي يجسدها، كلُّها تتحرّك في زمن محدّد يظهر في الساعات والأيام. وهذا يعني أنّه زمن تصاعدي. إذ يفترض أنْ يجري عرض الأحداث وفق تسلسلها الزمني المنطقي الطبيعي.

نجد الزمان والمكان في روايات الأديبة لينا يتسقان مع أحداث الرواية ويستلهمان من وثائق وكتب تاريخية، ويوحيان بوصف دقيق للأسواق والبيوت والحدائق والملابس والحلي، والأكلات، والعادات الاجتماعية، وغيرها. وهذا ثغر لا تسده الوثائق والكتب التاريخية، إنما هي الرواية وحدها يستطيع ذلك، لأن الرواية كانت فرصة للتجوال من الشام الذي كان هانئاً مثل جدول صافٍ تزوره الفراشات إلى سوريا مطلع القرن العشرين والثورات العالمية التي حصلت آنذاك، ثورة البلاشفة وثورة أتاتورك، اللتان ألقتا بظلالهما عليها إبان الانتداب الفرنسي، وقد خرجت تواً من سلطة العثمانيين وتنجح الكاتبة في اختيار زمان ومكان لروايتها، وسوريا اليوم هي ذات التقاطعات عالمياً بين أمريكا وروسيا،

وإقليميا بين إيران وتركيا، وتشرذم العرب بين كل أولئك، وترتجف القلوب بذكر حلب الشهباء وصور خرابها المفجع إبان الحرب الأهلية. ".[٨]

بذلت الكاتبة من مجهودات مضنية في تتبع تفاصيل الصحراء والبداوة وجمعها من أمهات الكتب القديمة والحديثة ولم تقتصر على تاريخية للصحراء المحصورة في منطقة سوريا، بل تعدتها للحديث عنها في إطارها الجغرافي العراقي والأردني والحجازي بشكل عام، بل تجاوزت الحدود الجغرافية من بلاد هلال الخصيف إلى نجاحها في تتبع تنقلات البدوي العربيّ وهجراته إلى مناطق مختلفة من أوروبا وإن بشكل موجز في بعض من رواياتها الأخرى.[٩]

تجسد المشهد السوري في روايات لينا:

الكاتبة لينا استمرت في المهنة الصحفية طوال سنوات منذ فجر انخراطها في السلك الإعلامي في عام ٢٠٠٣ حتى اليوم، في هذه الفترة الممتدة على عشرين سنة قد اكتسبت خبرة ومرانة في وصف الأماكن والنوع البشري وسلوكياتهم وعاداتهم ومن داخل المجتمع إلى فضاء العالم المفترض فهي تصفحت قضايا البلاد المستجدة وبالأخص قضايا المرأة السورية عن كثب فما زالت ولا تزال تحاول إثارة قضاياهن وقضايا المرأة العربية من خلال رواياتها التي صدرت بين حين وآخر، وإن الكاتبة بذلت كل جهودها في تصوير المرأة السورية ومكانتها في المجتمع وقضايا المرأة الأخرى من حقوق وحرية وغيرها، وأنها قد أحسنت في إبراز الجوانب المختلفة لحياة المرأة، ولا تتوانى عن إيلاء قضية المرأة العربية، بل اهتمت في رواياتها بعوالم البادية السورية، وحاولت أن تخرج المرأة البدوية من الصورة السائدة والمغلوطة عنها وتعيد حريتها وحقوقها، وتستعيد التاريخ

---

[٨] – نعيم آل مسافر، تاريخ المرأة (البرلنت/ البيلا) عند الروائية السورية لينا هويان الحسن، ٠٣/٠٨/٢٠١٩، الرابط/ www.alnaked-aliraqi.net/article/66272.php

[٩] أسماء غريب – حديثُ الهَداهِدِ في مَحاريبِ لينا هويان الحسن وبُيوتِها المُقَبَّبَة، الحوار المتمدن-العدد: ٥٩٣١ - ٢٠١٨ / ٧ / ١٢ / www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=605102

المجهول للعرب البادية بالجرأة والشجاعة، وكسرت كلّ القوالب المألوفة في الكتابة.

وتفسر كل هذا أثناء محاورتها مع جريدة ميدل إيست أونلاين: "ما كتبته لم يكن رؤية، إنما شهادة شخصية تتخللها الكثير من الذكريات عن البادية الشامية التي عرفتها خلال طفولتي، ليس هنالك أكثر بؤسا من تدوين الأحزان الشخصية المتمثلة بمصرع أحد أفراد العائلة. كتبتها لأشفى قليلا من حزني، لم أُحَمّلها رؤية سياسية محددة لكيلا أغامر بتصنيف نصي أو قلمي لأحد الأطراف المتصارعة في سوريا لكي أتجنب سمة: "مع، أو، ضد" أردت المحافظة على استقلال قلمي قدر الإمكان".

إن الكاتبة تعتمد في بناء روايتها علي المراجع والوثائق التاريخية وتستعين بذاكرتها البدوية والحضرية حول عادات البداوة في القرن العشرين بأسلوب فريد يغاير النصوص الأخرى، من خلال طرح المشهد الروائي للعشائر البدوية، بشكل شفهي، معتمدة بذلك على التدوين التاريخي والوثائقي، فكان لرواياتها لون خاص ونكهة شرقية فريدة، كما عرفتها من خلال "ألماس ونساء" وهذه الرواية تعد أول نص أدبي سوري يُكتب عن المهجر السوري.

وتضيف قائلة: "لطالما قدّم الأدب العربي نساءً هشّات يتوقفن عند جرح الحب الأول، يغدون محطمات مع أوّل قصة حبّ، وغالبا ما ارتكبت هذه الحماقة بأقلام نسائية، على مدى نصف قرن من الإبداع " النسوي" العربي، غالبا ما قُدّمت كشخصية متفانية، منهكة، تحمل شعارات كثيرة لحياتها، أهمها " الرجل الظالم الغاشم الذي لا يعرف الحب بقدر ما يعرف الخيانة ".[١٠]

تميزت الكاتبة بالكتابة عن العالم البدوي السوري بفضل نشأتها في تلك البيئة التي انخرطت تماماً في تفاصيلها، وظهر ذلك جليا في روايتها " سلطانات الرمل "

[١٠] - لينا هويان الحسن تنحت أسلوبها الخاص، الخميس ٢٧/٠٦/٢٠١٩، meo, الرابط / /middle-east-online.com/

وكذلك " بنات نعش "، فضلا عن كتاب " مرآة الصحراء "، وهو كتاب توثيقي عن البدو، أما روايتها " ألماس ونساء " فقد خاضت الكاتبة في غمار تاريخ سوريا الحديث وقدمت صورة أخرى ووصلت بفضلها للقائمة القصيرة للبوكر العربية ٢٠١٥.

وفي حوارها مع " العين الإخبارية " تقول الأديبة لينا هويان الحسن عن الشعر والرواية والروابط بينهما والحسن والجذابة:

"الحسن أن الشعر والرواية عاشقان أبديان، ومتناغمان، ومتفاهمان مشيرة إلى أن النص الروائي الذي يحتوي بين جنباته لغة شعرية ثرية وموظفة على نحو نثري سيكون نصا غنيا وجذابا.. وإليكم نص الحوار".[١١]

أخذت لينا المكان الجغرافي لمنطقة "الحمراء" من ريف "حماة" وهي مسقط رأسها، فكانت الحمراء المكان والأنثى، وهي لا تقبل لأنثى أن تكون فقط أنثي، وهي تقول الزمان لن يخفق في تذكرها حين يهطل التاريخ لأنه يسمع الآن ما رآه يوما ولا يمكن اختلاسها من خزائن الأمس ولا للمدمن أن يبعث بسرابها الضخم، "فالسراب" السيد ذو الشوارب في الصحراء يلحس قشدة الأرض ويحولها إلى أكاذيب رائعة الغواية.

كما تقول لينا هويان في مطلع روايتها " سلطانات الرمل ":

"ما زال قصر بن وردان[١٢] يقرأُ كلمات السّراب حوله ويتحدّاني، كيف أجعل البادية التي هي أخت الصحراء مقروءة مطبوعة في سطور منتظمة وأوراق ناعمة، أجولُ مثل بدويّ يلوب في فراغ الكثبان يؤنسه حفيف ذاكرة ووقع حوافر المغيرات بفضل الغوايات تركض الخيول هناك، وتكون المغيرات صبحا وظهرا وعصرا، مغيرات في كلّ وقت، عبر طيات الزمن على سرير الصحراء المبسوط

---

[١١]- المصدر السابق-

[١٢]- يقع قصر ابن وردان إلى الشرق من مدينة حماة السورية على بعد مسافة ستين كيلومتراً ناحية الحمراء شرقاً بمسافة عشرين كيلومتراً، وهو أقدم أنموذج لهذا الطراز في العمارة.

على ناصية تاريخ عتيق ترسم حدوده آفاق تصقل عريها المستقيم، الصافي المستفيض، ودائما لها معنى الصمت.

النساء هو عنصر رئيسي في كتابة لينا، كما أنها تحث عادة قضية المرأة وأحوالها المغلوطة ومشاكلها الاجتماعية المختلفة وتبرز محاسنها وأخلاقها الحسنة والجوانب التي ترفع منزلة المرأة ضد التقاليد الاجتماعية والسياسية.

وهي تقول:

" المرأة دائماً تعيش أزمتها، أزمات النساء لا تنتهي، هذا في تكوينها وربما من أسرارها الجميلة أنها كذلك... والتاريخ صنع منها كائنا مأزوماً على مر الزمان، والمجتمع العربي التقليدي زاد في الطين بلة، حالياً لا أرى ما يبشر بحلول حقيقية لمشاكل المرأة فليس الأمر مرتبط بأوضاع سياسية وحسب، إنما هنالك الموروث الاجتماعي التقليدي المتمسك بالصورة النمطية للمرأة... الطريق طويل... والمتاح هو تمردات شخصية هنا وهناك "[١٣].

تحمل الكاتبة بين أجنحتها تجربة فسيحة عن عوالم البادية وفضائها وسردها، كأن لغتها منبعثة من أهلة روح الطَّبيعة في ليلة قمراء، ومتعانقة مع نسيم صباحي وهو يناغي حبق السوسن وآفاق الصحاري في أوج الانبهار. سرد معبق بشهقاتِ الحنين، كأنه يلامس كهوف الجان والمَرَدَة ومتاهات السَّراب. تتدفق لغتها من أعماقِ غربةِ الرُوح.[١٤]

تمثلات العجائبي في رواياتها

تقول الكاتبة في حوار مع ميدل إيست أونلاين "عمدت اختيار "أنثى الضفة الأخرى" المرأة المستبدّة على نحو خفي، تفعل كلّ ما تريده عبر الحيلة، ربما

---

[١٣] – لينا هويان الحسن سيدة الصحراء السورية، شادي نصير، عالم نوح، دمشق، الرابط- لينا هويان الحسن سيدة الصحراء السورية /www.nouhworld.com/article

[١٤] الرِّوائيّة السُوريّة لينا هويان الحسن سنبلة بدويّة شامخة على جبينِ الزّمن، صبري يوسف، al-ghorba29.blogspot.com/2015/05/blog-post_25.html

يسوء نساء هذا الزمن الاعتراف أن جداتنا كن أذكى منهن، كانت المرأة تنجب قبيلة من الأولاد تربيهم دون أن تزور عيادة الطبيب النفسي مثلا. نساء هذا الزمن معطوبات، انظر مواقع التواصل الاجتماعي وانظر حجم الغباء والحمق في تسوّل الحب والاهتمام، على طريقة المراهقات.

لهذا اخترت نسائي "المحتالات، الشريرات، اللعوبات". أردت تسريب بعض العدوى للقارئات. وللأسف تتعرض رواياتي لحرب دائمة من قبل الناقدات والكاتبات والصحفيات لأن بطلاتي، سيّدات قويّات يصعب تقليدهن. وهذا سبّب لي عداوات كثيرة ومعظم الآراء النقدية الشرسة التي تعرضت لها هي بأقلام نسوية أقلام تكرّس المرأة المراهقة".

وفي ضوء هذا الحوار المنظر لرؤيتها حول تحديد الشخصيات لروايات يكمن القول بأنها تمكنت من بناء وصياغة أسلوب مميز خاص بها، فأعمالها الروائية معقبة بنفس أُنثوي إذ أن المرأة ليست مجردَ عنصر مكمل في عالم الآخر، بل هي من تؤثث فضاءها، وترتادُ دروبا مُلغمة بتابوهات، لذلك فمن يقرأُ أعمال مؤلفة "بنات نعش" يدركُ بأن المبدأُ المحرك وراءها هو " أن السرد الذي لا يُؤنثُ لا يُعولُ عليه " كما أن ميثولوجيا الصحراءِ تُطعمُ بنية رواياتها بفنتازيا شفيفة.

فهي تختار ما بين الشخصيات لرواياتها على فكرة النضح على طريقة "برلنت في الماس ونساء" أو فكرة التمسك الأنانية على طريقة "نازك خانم" أو القدرة على تغيير الحياة رغم أنف الكل مثل الشخصيات في "سلطانات الرمل".

الشخصيات العجائبية في رواياتها

في روايات لينا هويان الحسن يكثر رجال البرية والكاتبة تتحدث عن تفاصيل حياتهم الدقيقة في الصحراء والطول والعرض في الغزوات ورحلات الصيد وما إليها مثل ضاري بن ظاهر وشيخ عشيرة زوبع مدوت هريس وقاتل الكولونيل البريطاني لجمن. وكذلك الصياد الأبهر سعد الذي قضى حياته طريدا بسبب جريمة قتل لم يرتكبها، كما تذكر لينا في روايتها بنات نعش.

والكاتبة لا تترك شيئاً في روايتها للصدفة ولم تحكِ سردياتها معتمدة على المهارات الأسلوبية والحيل الأدبية، والرّمزيات والسيميائية فقط.

و في بعض الأحيانِ تكتفي بذكر عنوان مصدرها دون التصريح بسنة إصداره، ورقم صفحاته أو الدار الناشرة له، خاصة في الإدراجات التي ما تفتتح بها فصول نصوصها عادة، وتترك للباحث أو القارئ مهمّة التقصي عن بقية التفاصيل كنوع من التحفيز البيداغوجي منها ودفعِه دفعاً إلى اكتشاف تاريخه، أو إعادة قراءة ماضيه الإنسانيّ بعين أكثر جدّة ويقظة ومعاصرة، جاعلةً من نصوصها ذاك النوع الذي أباحهُ المؤرخ الفرنسي جاك بلوخ وأعطاهُ كلّ الصلاحيات التي تؤهله لأن يكونَ هو نفسه مصدرا مُهِمّاً لكلّ المعلومات التي تتعلّق بالفكر والنشاط الإنساني الضاربِ في العراقة والأصالة مما جعلَ النصوصَ، كلّ النّصوص وليس الوثائق الأرشيفية الرسمية تصبحُ أكثرَ قدرةً على تأسيس ما هو تاريخي.[١٥]

تتكلم لينا هويان الحسن عن كل شيء بجرأة وتكشف من الأسرار والغموض الذي اكتنفت حضارة بلاد الرافدين من كنوز من المعلومات القيمة وأزاحت الستار عن المخبوء والمخفي وضرورة التدوين في نفس الوقت لمجمع يزول ويتلاشى أمام طور عالمي جديد يفرض قيما جديدة وأنماط عيش مختلفة، وتسعى إلى مناهضة العنف والتطرف الديني والدكتاتورية السياسية من خلال سرد قصصي يتجه إلى تحديد المسؤولية، وكما تكتب عن الاستبداد السياسي والاجتماعي وعن تقاليد وعادات متناقضة مع أبسط حقوق الإنسان تجاه النساء وتستحضر السياسة بقوة في ثنايا الرواية ذلك الغمار الذي حرم على المرأة خوضه لمدة طويلة والذي اشتغلت عنه فيما بعد بقضية المساواة، كما أن الرواية لم تكتف بعالم البداوة إنما انزاحت أيضا الى المدينة في أجيال لم تترك الصحراء نهائيا، بل إنما المدينة شكلت وجهة أخرى.

---

[١٥]- حديثُ الهَداهِدِ في مَحاريبِ لينا هويان الحسن وبُيوتِها المُقبَّبَة، أسماء غريب، الحوار المتمدن-العدد: ٥٩٣١ – ٢٠١٨ / ٧ / ١٢، الرابط: www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=605102

وأيضا من جمال أسلوب لينا هويان الحسن وهي تراكم تجربتها وترسم ملامح هوية بطريقة إبداعية خاصة، كما أن لينا هي ابنة البادية السورية فلمكان عندها مساحة متحركة ومفتوحة تلائم شخصيتها المغامرة والمتمردة وليس إطارا ضيقا ومقفلا.

وحين تكتب عن الصحراء أو المدينة يبقي المكان في رايتها دافعا لخروج الذات من الدار الداخلي إلى مدارها الكوني، وهي تذكر في رواياتها المهمشين والفقراء والأثرياء معا والتفاوت بينهم، وتحاول لمساعدتهم ومعاندتهم والحرية بينهم، على الرغم من الحرب والشتات وفوضى الانتقاءات، ترسم لكاتبة شخصيتها بلا ضعف أو وهن.

وفي هذا الصدد تنقل مايا الحاج قول لينا هويان الحسن، وهي تقول:

"نعم اخترت المهمشين والفقراء والأثرياء، لكن أنحت لهم أنماطا مختلفة ومتفاوتة من القوة لمساعدتي في القبض على المتواري والممتنع، والمستعصي في متن "الماضي" وفي فراغاته، ومنافيه، وفجواته، لأجل فهم الحاضر، على نحو يخلو من العدوانية "[16]

تمرد الأنثى ضد السلطة الذكورية:

إن الأنثى تستخلص لنفسها أكبر مساحة ممكنة في السرد لإثبات كيانها، لتعكس علاقتها به من خلال ثلاث مجالات "الإنتاج، والموضوع، والتلقي" مترابطة بحسب ما يقتضيه المنطق.

فيلاحظ في رواياتها نمطا موازيا للمنتجة المتمردة، التي يتخلل تمردها إلى خطوط سردها، إذ يتضح أن حضور الأنثى كان رئيسا في النص ومفتاحا لوجودها، لأن المنتج امرأة، والموضوع أنثوي في جملته ابتداء بعتبته الأولى، "العنوان

---

[16] - لينا هويان الحسن تدون ذاكرة الجماعات المعذبة في التاريخ السوري، مايا الحاج الاثنين ٩ ديسمبر ٢٠١٩، اندبندنت عربية. الرابط- ثقافة/لينا-هويان-الحسن-تدون-ذاكرة-الجماعات-المعذبة-في-التاريخ-السوري.

الخارجي"، مما يشير إلى أننا سندخل نصًا يذوب فيه فن الرواية مع فن السيرة الذاتية لإناث تمّ نقلهن من هامش طال زمن المكوث فيه إلى متن حرم عليهن ولوجه منذ زمن، لتمنحهن الكاتبة صفة لا طالما بقيت حكراً على الرجل العربي لزمن طويل، وهي السلطنة في معظم نصوصها السردية

هذا ما لا يلاحظ جليا في روايتها " سلطانات الرمل" من خلال العنوان الخارجي في النص الداخلي يرى أن السلطانات هن عشر نساء، فمعظم فصول القصة مكتوبة بأسمائهن، وأما عناوين الفصول الأخرى، فإذا ورد فيها ذكر رجل فهو يتعلق بذكرهن ومرتبطا بذكرهن، مثل "سكرى" و"طراد" أو "نسل السلطانات" باستثناء شخصيّة "جرجس"، الشخصية الذكورية الوحيدة التي رفعها السرد عنوانا داخليا إلى جانب السلطانات، فقد وجدته المنتجة مثالا "للذكر الصالح" الذي كان عونا للأنثى في نيل حريتها، عندما احتضن "عنقا" ضحية القهر المجتمعي.

وما بعد العنوان، وقبل دخول عوالم السرد وفضاءاته، يطالعنا إهداء المؤلفة الموجه إلى شم الأنوف.. من الدرجة الأولى، ليرسم الإهداء لنا مع العنوان، هي صورة نساء تتميز بالفخر والشرف، مرسومة بالكبرياء والعز، إذ يتردد الإهداء لاحقا في النص الداخلي، من خلال تكرار مفردة "أنف" واحد وعشرين مرة، لتنفلت كلمة "أنف" من مدلولها البيولوجي، وتتوسع دلالتها لتعبر عن عظمة وجاه ونفوذ جماعات سكنت باديتنا، وتفردت بثقافة أعلت من شأن نسائها – بالنسبة إلى ذلك العصر، فهم قوم "مصنوعون من الأنوف . . ."، شعروا بالضيم حينما قالت لهم المدنية:

سيميائية العنوان في رواياتها

عناوين روايات الكاتبة تدلنا على مسارح الأحداث للإطار الروائي، وفي مستهل الرواية يتبادر ذهن المتلقي إلى جملة السرد والحكاية فالكاتبة حاولت أن توظف

براعة الاستهلال في رواياتها. فيلاحظ في رواية "نازك خانم" أن عنوان الرواية مركب من اسمين عالميين مشرقين "نازك" اسم علم عربي مشرقي، و"خانم" اسم علم كذلك مشرقي ذو طابع تركي يمثل العنوان اسم امرأة أو سرد أحداث شخصية أو مثال للجمال وأسلوب شخص حساس، نازك وخانم تجلت فردية الاسم ولقبه كأنه اسم حقيقي تاريخي يدل دلالة واقعية أو تاريخية أو هو إسقاط رومنسي على السيرة الذاتية، له إشارات دلالية ورمزية على المشرق العربي.

بينما الواجهة للرواية تظهر في لون أسود من كلا الجانبين، وقد صورت في وسط غلاف الرواية صورة فوتوغرافية لسيدة حسناء بلباسها الأحمر الغامق، متكأة على حديدها في شارع من شوارع مدينة أو قرية، متكأة على يدها اليمنى مبرزة حليها مشيرة إلى شكل قلب على خدها ومحتضنة بيدها اليسرى كلبها الجميل الذي ترتاح له العين لرؤيته هذا الرمز السيدة وكلبها دالة على وفائها وفاء الكلب عكس السيدة التي يتبعها كلبها، أبرزت الصورة الفوتوغرافية وجهه امرأة شرقية متحضرة مثقفة بقص شعرها ولباسها الأنيق بتنورتها المخملية وقميصها الأحمر الجذاب الساحر بقفلها الذهبي حول رقبتها، وتصور اللوحة خلفية ما وراء المرأة المشرقية وكلبها جدار كلاسيكي مبني بالحجارة العتيقة في النمط الكلاسيكي المتدفق إلى العصور القديمة أو أصالة السور، مما يوحي بأنه جدار بيت عتيق أو جدار قلعة قديمة.

الأيقونات في رواياتها

العلامة الأيقونة لا تمتلك خصائص الشيء الذي تشير إليه، وإلا كان هناك تداخل بين الأيقونة وموضوعها والغريب أن التعريف الأكثر قبولا للأيقونة هو التعريف الذي ينفي عنها صفة العلامة، فالأيقونة عند موريس هي:

"تامة عندما تتطابق العلامة مع موضوعها، "أنا أملك كل خصائصي، أكثر ما تتوفر عليه صورتي". إن الحجة ليست مفارقة كما يبدو في الظاهر، ذلك أنه

علينا أن نقبل، ويمكن أن نفعل ذلك، أن كل الموضوعات التي نحيل عليها من خلال الدلالة تتحول إلى علامات. وبهذا نصل إلى سميأة للمرجع"[١٧].

وأما الأيقونة في رواية "نازك خانم" للروائية السورية لينا هويان الحسن في الأصل أيقونة واحدة، والروائية أرادت التعدد والتنوع في الأيقونات واختلافها من حيث موضوعاتها بعد "سلطانات" الرمل الأنوثة المستنفرة في "نازك خانم" بين الوردة والمسدس وغيرها من النصوص الأدبية والسردية التي حملت معها أصوات البادية والصحراء وورود أفعالها وترجيعاتها التي أصغت إليها الكاتبة، ونقلت إيقاعاتها ومناخاتها المكانية والسكانية، كان من المتوقع أن تواصل الكاتبة هذا الخط الروائي المتميز والمختلف عما هو معهود في الكتابة الروائية العربية، حيث استحضرت مدارات الحياة الصحراوية والخروج من فضاء البوادي إلى عالم المدن في روايتها هذه "نازك خانم" ولكن من دون أن تتخلى عن قضية المرأة حيثما كانت، كم أن المرأة تشغل حيزا واسعا وتحتل مكانة كبيرة في روايتها السابقة، وتعاود حضورها هنا بكل ما تمتلك من إحساس التمرد على مكانتها الدولية، والقدرة على التحدي والغواية والجسارة على إثبات الذات والمرأة التي تمثلها نازك خانم في الرواية التي تحمل اسمها، وتشبه الأوائل الصحراوية، على الرغم من أنها تعيش في عامل الأضواء والشهرة، في قلب باريس ومثلت "نازك" الأنوثة المستنفرة للمنازلة والمناورة والمخاتلة وكرست نفسها وحياتها للإغواء والفتنة والحب، وحاولت أن تفك الأغلال والأقفال عن أنوثتها، وإنما حاولت الخروج عن هذه الأحوال والوصول إلى صورتها الرئيسية والمتحجرة التي صاغها عقل الذكور، والعمل على استثمار نموذج نسائي سوري عاش في باريس بهدف تغيير الفكرة السائدة عن نساء دمشق.

---

[١٧] - أميرتو ايكو: العلامة، ترجمة: سعيد بنكراد، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠، ص ٩٥-٩٦.

خلاصة البحث:

عبقرية لينا في خلق الشخصيات تكمن في فعلها التقني المتميز عندما اقتبست أبطالها من نصوص المستشرقين وأخذ قلمها يخط على الرمل خطا لا يمكن أن يدفنه ولا يثيره رياح ولا ماء ولا حتى يد تمسح الرمل أو تحاول محو ما كتب عليه، ومن الواضح أن الكاتبة كانت تنقب عن بطلاتها في سطور ما كتبه المستشرقون أمثال أوبنهايم وفيتسشاين وولفرد تسيغر وغيرهم فسبرت غمار تلك النصوص لتعطي تلك النساء خلوداً تاريخيًّا في "سلطانات الرمل" ولذلك تجد كل شخصيات هذه الرواية لها جذور واقعية منصرمة.

الروائية جريئة وفيها قوة دافعة إلى طرح الكثير من الحقائق والمعتقدات التي يؤمن بها أهل البادية ونظرة الكاتبة للمجتمع البدوي تكشف لنا أنها واحدة منه، بل يشعر باعتزازها بهذه الهوية فلا يعرف هذه الخبايا والتفاصيل الواردة في هذا العمل إلا من هو جزء من المجتمع البدوي.

اعتنت الرواية بتفاصيل حياة البدو من جمال نسائهم وطرق العناية الشخصية التي تجعل منها المرأة البدوية سرا تمتاز به عن الأخريات، حتى شمل ذلك العناية بالحيوانات البرية ذات العلاقة بحياة البدو الرحل كالصقور -مثلا- بل أعطتنا معلومات قيمة عنها وعما يصيبها وما ينفعها وعن الخيل ومكانتها عند البدو وكيف يختار ويحرص البدوي على ألا "يشبت فرسه ألا حصانا أصيلا " كما حصل مع الفرس رفعة والحصان الرثوعي، بل إنها تطرقت كذلك إلى الكلب أو السلوقي وأهميته كرفيق للبدوي، يستخدمه في الحراسة أو الصيد، وإلى الأدوية والنباتات والأعشاب وأنواعها وفوائدها.

طريقة السرد الزاخر بالمعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والسياسية كان شائقا وممتعا جدا بحيث يجعلك لا تنفك حتى تنهي القراءة وعندما تنتهي تشعر حقا بأن الكاتبة ما زال لديها الكثير لتحكيه فالرواية مليئة بالقصص

والأحداث التي تنبئنا عن أن هناك مخزونا ثقافيا هائلا لدى كاتبتها، لا تتسع له الصفحات.

وقد نسجت لنا لينا هويان الحسن حكايات تؤرخ لقحة ذهبية من تاريخ سلطانات البدو من تغيير وملوك الصحراء متتبعة بعد حقبة كل التفاصيل التي تروي ما طرأ على بنيتهم الأنثرولوجية.

وقد اعتمدت الروائية كتابة روايتها على المراجع والوثائق التاريخية واستعانت بذاكرتها البدوية والحضرية لتقتنص التراث الصحراوي الشفهي والسردي، وتوظفه في شقها الحضري وفق منطق التوثيق والتأريخ.

تشير الكاتبة إلى ندرة "الدراسات العربية المعاصرة ككتاب "عشائر الشام" لأحمد وصفي زكريا و"البدو والبادية" لجبرائيل جبور الذي وثق للبدو بالصور والكلمات في الخمسينيات".

كما استطاعت الروائية والكاتبة لينا الحسن أن تملأ النص السردي بالأنثروبولوجيا والتاريخ والسياسة والثقافة، ورسمت خرائط حقائقه وأحداثه على طرف الصحراء. إلاّ أن الخيال السردي قد نجح في خطفها صوب فضاءات متغيرة "كبيروت، ودمشق" لنشهد صراعا خفيفا ودقيقا بين البادية والمدينة من جانب، وبين الثقافة الفحولية والنسق الأنثوي المهمش من جانب آخر، بحيث أدى الصراع الأخير إلى تقسيم الواقع إلى "متن وهامش"، حيث تولى الرجل النص، ودفع بالأنثى إلى هامش لا تطيق المكوث فيه، مما جعلها تقرر إلغاءه مع الثنائية التي ينتمي إليها، وذلك من خلال الإجراءات المتعددة التي لجأ إليها السرد لتعديل هذه الثنائية، ونقل المرأة من الهامش إلى المتن، وذلك كتعبير عن رغبة السرد في الخلاص من سلطة الذكر والاستحواذ على هذه السلطة والاستيلاء عليها.

المصادر والمراجع:

١. أسماء غريب – حديثُ الهَداهِدِ في مَحاريبِ لينا هويان الحسن وبُيوتِها المُقَبّبَة، الحوار المتمدن-العدد: ٥٩٣١ – ٢٠١٨ / ٧ / ١٢/ www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=605102

٢. أميرتو ايكو: العلامة، ترجمة: سعيد بنكراد، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠، ص ٩٥-٩٦.

٣. حديثُ الهَداهِدِ في مَحاريبِ لينا هويان الحسن وبُيوتِها المُقَبّبَة، أسماء غريب، الحوار المتمدن-العدد: ٥٩٣١ – ٢٠١٨ / ٧ / ١٢، الرابط: www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=605102

٤. الرِّوائيِّة السُوريّة لينا هويان الحسن سنبلة بدويّة شامخة على جبينِ الزّمن، صبري يوسف،

٥. الروائية السورية لينا هويان الحسن في حديث لـ "اشرعة، ١٠ يناير،٢٠١٦، الوطن.

٦. سلطانات الرمل "رواية تكشف عن عالم البدو"المغبون أدبيا ومعرفيا، الغد، ٢٠١١-٠٧-٢٥، الموقع-سلطانات-الرمل-رواية-تكشف-عن-عالم-البدو/https://alghad.com/.

٧. العلامة في رواية "سلطانات الرمل" للينا هويان الحسن " وفق منظور أمبيرتو إيكول عبد اللطيف نصيرة وقبشي الياقوت، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، السنة ٢٠١٩-٢٠٢٠، ص ٤.

٨. لينا هويان الحسن تدون ذاكرة الجماعات المعذبة في التاريخ السوري، مايا الحاج الاثنين ٩ ديسمبر ٢٠١٩، اندبندنت عربية. الرابط- ثقافة/لينا-هويان-الحسن-تدون-ذاكرة-الجماعات-المعذبة-في-التاريخ-السوري.

٩. لينا هويان الحسن تنحت أسلوبها الخاص، الخميس ٢٠١٩/٠٦/٢٧، meo, الرابط / //middle-east-online.com

١٠. لينا هويان الحسن سيدة الصحراء السورية، شادي نصير، عالم نوح، دمشق، الرابط- لينا هويان الحسن سيدة الصحراء السورية /www.nouhworld.com/article

١١. لينا هويان الحسن، الذئاب لا تنسى، دار الآداب، بيروت، ص: ١

١٢. لينا هويان الحسن، لستُ ابنة الحظ ... والأدب شغوف بالأسرار النسائية، ١٤ أبريل ٢٠١٥، الحياة، الرابط / http://www.alhayat.com/article/652555/

١٣. لينا هويان تروي حكاية أنطاكية التي سلختها تركيا عن سوريا (تداخل الأسطوري والواقعي ينعكس على الشخوص والأحداث ويشمل المكان) للأستاذ سلمان زين الدين، نشر المقال السبت ١٤ أغسطس ٢٠٢١ في صفحة اندبندنت عربية:

١٤. نعيم آل مسافر، تاريخ المرأة (البرلنت/ البيلا) عند الروائية السورية لينا هويان الحسن، ٠٣/٠٨/٢٠١٩، الرابط/ www.alnaked-aliraqi.net/article/66272.php

١٥. al-ghorba29.blogspot.com/2015/05/blog-post_25.html

١٦. https://arabicfiction.org/ar/node/2104

.... ❖❖❖❖❖ ....

العين في اللغة والشعر العربي

أ.د. سيد جهانغير*

المقدمة: العين حرف في المعاجم اللغوية، كما أن العين لكتاب في اللغة أيضاً، والعين في الإنسان والحيوان والحشرات؛ هي العين الباصرة، نرى فيها الأشياء المختلفة، ويميزها العقل، ويتعرف على معانيها المختلفة، تستخدم واقعياً، أو مجازا، فما هذه العين؟ وما استعمالات هذه العين في مجازات اللغة؟ وكيف استخدمها الإنسان ليطلقها على شبيهات العين، حتى أصبحت العين اسما معروفاً لبعض الموجودات في الكون: مثل عين الماء، وعين الجمل: من المكسرات، وعين السحاب، أورد علماء اللغة العربية جميع الأسماء والمعاني للعين، سواء أكانت في القرآن الكريم، أم غيرها.

العين في القرآن الكريم:

وردت كلمة "عين" في القرآن الكريم في سبع عشرة آية، بمعانٍ مختلفة، كما ورد جمع العين: أعيان وأعين، وعيون، ووردت منسوبة إلى المتكلم أو المخاطب، أو الغائب، ونورد هنا بعض استعمالات " العين" في القرآن الكريم كقوله سبحانه وتعالى: " يرونهم مثليهم رأي العين"، سورة آل عمران الآية ١٣. والمعنى هنا: يرونهم ضعف عددهم بالمشاهدة، وقال تعالى: " فكلي واشربي وقري عينا"، سورة مريم الآية ٢٦. وهنا بمعنى الراحة والاطمئنان، والسرور.

وقال تعالى: " عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا"، سورة الإنسان، الآية ٦، والمعنى هنا عين الماء، أو ينبوع الماء الذي يستقي منه الناس الماء العذب.

---

* أستاذ اللغة العربية وآدابها، عميد كلية الدراسات العربية والاسيوية (س)ورئيس قسم الدراسات العربية (س) جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية الحكومية الوطنية حيدرآباد ، الهند، ومؤسس وخادم جامعة الحرمين الشريفين العربية الإنجليزية الإسلامية النموذجية، ورئيس تحرير صحيفة حراء العربية و الأردية

وقال تعالى: " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا" سورة هود الآية ٣٧، بمعنى تحت عنايتنا ورعايتنا، وطبقاً لوحينا. وقال تعالى: "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"، سورة السجدة الآية ١٧، قرة العين: بمعنى الفرح والسرور. وقال تعالى: " وابيضت عيناه من الحزن" سورة يوسف الآية ٨٤، بمعنى العمى، وعدم الإبصار. وهناك آيات أخرى تتحدث عن العين، ومعانيها المختلفة.

العين في معاجم اللغة:

أورد أصحاب المعاجم كثيراً من معاني كلمة عين، ففي القرآن الكريم سبعة عشر معنى، كما ذكرت، وفي كتاب البصائر : عدت لكلمة العين خمسة وثلاثون معنى، وزاد بعضهم إلى أكثر من خمسين معنى، لتلك الكلمة التي بلغت من الشهرة ما أوصل معانيها بعض العلماء إلى المائة.

أورد صاحب كتاب: العين" عدة معاني ، من بينها: العين الباصرة، أو الناظرة، وهي معروفة، ثم عين الماء، وعين الركبة؛ ففي كل ركبة عينان، أما عين السحاب؛ فهو الذي يأتي من جهة القبلة، ويقال: ظهرت سحابة من قبل العين. وعين الشمس: التي تجعل العالم يرى الأشياء بعد الظلام، ويقال كذلك للدينار، قال الشاعر أبو المقدام:[1]

حبشيٌّ له ثمانون عيناً   بين عينيه قد يسوق إفالا

والعين: الجاسوس، كذلك العين: الميل في الميزان، والعين – بكسر العين: البقر الوحشي. وهؤلاء أعيان البلد: أي أشرافهم وكبار القوم.

وقد أورد صاحب كتاب تاج العروس معاني كثيرة، أكثر من كتاب العين" فقال: " أوصل معانيها الشيخ بهاء الدين السُّبكي في قصيدة له يمدح أخاه إلى خمسة وثلاثين معنى. أما مصنف تاج العروس، فقد أوصلها إلى سبعة

[1]- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (قم إيران: دار الهجرة ١٤٠٥هـ) ج٢: ٢٥٤.
٢- تاج العروس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ٢٠٠١م) ج٣٥: ٤٤٠.

وأربعين معنى، وفي كتاب البصائر ما ينيف على خمسين معنى." [٢] وتستعار العين لمعاني مأخوذة من العين الباصرة، على سبيل المجاز، وجمع العين: [٣] أعيان، وأعين، وعيون، قال يزيد بن عبد المدان:

ولكنني أغدو على مفاضةٍ دلاص كأعيان الجراد المنظم

وهناك جمع الجمع: أعينات، كما قال ابن بري: (بأعيناتٍ لم يخالطها القذى)، ومن الجمع أيضا ما قال تعالى: " فإنَّك بأعيننا" سورة الطور، الآية ٤٨. وتطلق العين كذلك على أهل البلد، أو البارزين منهم، يقال: بلدٌ قليل العين. ومن معانيها أيضاً: الإصابة بالعين: أي تأثير الحسد في الآخرين، فيقال: أصابت فلانا عين، أي تأثر جسمه بالعين، فمرض، أو حصل له مكروه في المال، أو النفس.

استخدمت عين لذلك الشخص الذي يعيش بين الأعداء وينقل أخبارهم لأصحابه، أي الجاسوس، الذي يلعب دوراً كبيراً في معرفة أسرار الأعداء، ومدى استعدادهم للحرب، فيعرف عدتهم، وأسلحتهم وغير ذلك، دون أن يتنبه له أحد، وهنا يذكر ويؤنث، لا فرق. وفي الحديث: "كان الله قد قطع عيناً من المشركين": أي كفى الله منهم من كان يرصدنا، ويتجسس علينا من المشركين بعد معركة بدر.

إذا قيل: لقيته أول عين؛ أي أول شيء. والمطر الذي لا يقلع فهو عين، أما العين بمعنى العيب فهو الميل في الميزان فيسمى عيناً: قيل: اعدل عين الميزان، أي فيه اعوجاج. والعين كذلك: الدينار، الذي هو من ذهب، لأن العملة المستخدمة في ذلك الزمان كانت من الذهب والفضة. وتطلق كلمة عين على الرجل، والجمع أعيان، إذا كانوا من أب وأم. وينبوع الماء فهو عين، والجمع عيون، وهناك في بلاد العرب كثير من الواحات تتوسطها العيون.

---

[٣] – جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، (بيروت: دار صادر ١٩٦٥م) ص٤٤٣

والعين: أهل البلد، أو أخيارهم أعيان، وأشرافهم كذلك. والعين: الإصابة بالعين، يقال: أصابت فلانا عين، أي من عدو أو حاسد. والعين؛ الحاضرة من كل شيء، وعيَّنها تعييناً، أي كتبها حاضراً، فيقال: عيَّنها تعييناً حسناً. والعين: خيار الأشياء، كالمال، يقال: هو عين المال والمتاع. والعين: الديدبان: وهو الرقيب، قال أبو ذؤيب:[٤]

ولو أنَّني استَودَعتُه الشمسَ لارتقَت   إليه المَنايا عينَها ورسولها

أي لو صيرته في الشمس لجاءت إليه منيته بعينها.

والعين: السيِّد، يقال: هو عين القوم، أي سيدهم. ويقال عن السحاب المقبل من ناحية القبلة: عين، أو مطر العين، وكذلك تستخدم كلمة عين في أشياء أخرى ، منها الأماكن. ومن المجاز القول: أنت على عيني: أي في الإكرام والحفظ جميعاً. وأيضاً: هو صديق عين، وعبد عين: للرجل يظهر لك من نفسه ما لا يفي به إذا غاب. قال الشاعر:[٥]

ومن هو عبد العين أما لقاؤه   فحلو وأما غيبه فظنون

اسم "عين" في الأماكن والبلدان:

تعارف الناس على تسمية بعض القرى والبلدان باسم عين، إما لوجود عين ماء، أو لشيء آخر يشبه العين، وما إلى ذلك. ويوجد خمسة عشر موضعا باسم عين، وقد أورد صاحب كتاب: معجم البلدان عدة أماكن تسمى عين. منها:[٦]

---

[٤] – شرح أشعار الهدليين، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: عبد الستار فراج، ومحمود شاكر (القاهرة: مكتبة دار العروبة د.ت.) ج١: ١٧٤.

[٥] – تاج العروس ج٣٥: ٤٥٠.

٦ – معجم البلدان، ياقوت الحموي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي١٩٧٩م) ج٤: ١٧٤.

١- عين أباغ: وهي منازل إياد بن نزار، والعين هنا ليست عبين ماء ، وإنما هو واد وراء الأنبار على طريق الشام. وقال الشاعر أبو نواس:

فما نَجدت بالماءِ حتى رأيتُها مع الشَّمس وفي عينَي أباغ تَغورُ

٢- عين أبي نَيزَر: أبو نيزر مولى سيدنا الإمام علي بن أبي طالب □، وأبو نيزر بن النجاشي، ملك الحبشة، أسلم وكان سيدنا الإمام □ قد وجده عند أحد التجار فاشتراه منه وأعتقه، وأوقف الإمام علي عين أبي نيزر للمسلمين يشربون منها، وقد حفرها سيدنا الإمام علي □ بعد أن كان ماؤها قليلاً، فحفرها سيدنا الإمام علي □ بيده الشريفة ، فتدفق الماء، وجعلها للمساكين وأبناء السبيل، ونسبت العين إلى أبي نيزر لرعايته لها.

٣- عين أُثَّا: هي واد به قرية على ساحل البحر، بين الصَّلا ومدين، يمر بها الحجاج المصريون، وقد تسمى عينونة.

٤- عين البقر: تقع قرب عكا في فلسطين، يزورها المسلمون واليهود والنصارى لاعتقاد أن البقر الذي ظهر لآدم فحرث عليه.

٥- عين تاب: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكيا، وكانت تعرف بدنوك، وهي تابعة لحلب.

٦- عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، يجلب منها القنب والتمر، افتتحها سيدنا خالد بن الوليد □ عنوة، في زمن خلافة سيدنا أبي بكر □ سنة ١٢ الهجرية، يقول فيها الشاعر عبيد الله بن الحر الجعفي في وقعة بينه وبين أصحاب مصعب بن الزبير:

ألا هل أتى الفتيان بالمصر أنني أَسَــــرتُ بعين التمــر أروعَ ماجدا

وفرقتُ بين الخيل لمّا تواقفت   بطعنِ امرئ قد قام من كان قاعدا

وينسب إلى هذه العين الشاعر أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد، ١٣٠-٢١١هـ، شاعر مكثر، سريع البديهة، له ديوان مطبوع جمعه أحد الآباء اليسوعيين، باسم: الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية.[٧]

٧- عين ثرماء: قرية في غوطة دمشق، منها داود بن محمد الحجوري، وهو محدث، له أساتذة، وله تلاميذ أيضاً أخذوا الحديث الشريف عنه.

٨- عين جارة: مفرد الجيران، وهي من أعمال حلب، وكانت ضيعة لسيف الدولة الحمداني، فأقطعها أبا علي أحمد بن نصر البازيار، وهي بلدة مشهورة عند أهل حلب.

٩- عين الجالوت: هي بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، كان الروم قد استولوا عليها مدة، واستردها صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب الأيوبي سنة ٥٧٩هـ، بعد معركة ضارية مع الروم الصليبيين.

١٠- عين الجر: بلدة بالبقاع بين بعلبك ودمشق، في لبنان، يقال: بأن نبي الله سيدنا نوح ☐ ركب السفينة منها، وركبت الحيوانات والطيور منها.

١١- عين جمل: بنواحي الكوفة، في العراق، قيل: إن جملا مات عندها فسميت العين باسم: عين الجمل، وقيل: الذي استخرجها اسمه جمل، فسميت باسمه، وهي مع عدة عيون يقال لها: العيون.

١٢- عين زَربَى: يجوز أن تكون من زرب الغنم وهي مأواها، بلدة من الثغور، قرب طرسوس، كان تجديد عمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم حوالي ١٩٠هـ،

---

[٧] – أنظر، الأعلام للزركلي ج١: ٣٢١.

ثم استولى عليها الروم وخربوها، فأنفق سيف الدولة بن حمدان ثلاثة آلاف ألف درهم (ثلاثة ملايين) لعمارتها، وينسب لها بعض الشعراء والمحدثين.

١٣- عين سُلوان: محلة في حدود بيت المقدس، فيها عين تسقي مزارع، وقفها عثمان بن عفان ☐ لفقراء البلد، وليس فيها مساكن.

١٤- عين السَّلُّور: كانت عين سلور وبحيرتها لمسلمة بن عبد الملك بن مروان، وسميت العين بهذا الاسم لكثرة هذا النوع من السمك بها، وهي قرب أنطاكيا، بتركيا حالياً.

١٥- عين سَلَيْم: بينها وبين حلب ثلاثة أميال، كانت بها وقعة بين عطية بن صالح، ومحمود بن صالح، ابني مرداس سنة ٤٥٥هـ.

١٦- عين شمس: مدينة بمصر، من ضواحي القاهرة، وينسب لها الآن جامعة عين شمس، وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الشاعر يرثي عبد العزيز بن مروان:

أتاني، ودوني بطن غول ودونه عِمادُ الشِّبا من عين شمس فعابدٍ

وفي عين شمس عمودان، من آثار الفراعنة، أو بقايا من هيكل الشمس.

١٧- عين صيد: سميت بذلك لكثرة ما يصاد بها من سمك، وهي بين واسط وخفّان، قريب من الكوفة بالعراق، قال المتلمس:

ولا تحسبني خاذلاً متخلفاً ولا عين صيد من هواي ولعلعُ

١٨- عين محلِّم: نسبت إلى محلم بن عبد الله، زوج هجر بنت المكفف، وهو من الجرامقة، والعين يجري منها نهر في الأحساء، البحرين، (شرق الجزيرة العربية) وقال أبو منصور: عين محلم فوارة، وماؤها حاراً، وهي تسقي مناطق زراعة النخيل.

١٩- عين الوردة: والوردة لون من ألوان الدواب، يضرب إلى الصفرة، وهي في منطقة الجزيرة الفراتية، شمال العراق، حالياً، وقعت فيها وقعة التوابين

بزعامة سيدنا سليمان بن صرد الخزاعي □، وهو صحابي، ثم القائد الآخر رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس، وكانوا يطلبون الثأر من قتلة سيدنا الحسين بن علي □ وانهزموا، سنة ٦٥ه.[٨]

٢٠- عين يُحنَّس: كانت لسيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب □ استنبطها له غلام يسمى يُحنَّس، وباعها سيدنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بسبعين ألف دينار، أنفقها على دين أبيه.

وهناك أماكن لجمع العين، أي العيون والأعين.

٢١- عينين: التي ينسب إليها الشاعر خليد عينين. ويوم عينين بالبحرين فكانت بنو منقر بن عبيد الله بن الحارث، والحارث هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد، وقد خرجوا يمتارون فعرضت لهم عبد القيس ، فاستعانوا ببني مجاشع فحموهم، وأنشد الشاعر:

يتبعن عوداً قالياً لعينين راجٍ وقد ملَّ ثـــواءَ البحـــرين
ينسل منهنَّ، إذا تدانين مثل انسلال الدمع من جفن العين

٢٢- العيون: وهي من مناطق البحرين (القديمة)، وينسب إليها الشاعر علي بن المقرب بن منصور بن المقرب العيوني، (٥٧٢-٦٢٩ ه/ ١١٧٦-١٢٣٢م)[٩] ومن شعره في بدر الدين صاحب الموصل:

حطّوا الرحالَ فقد أودت بها الرحلُ ما كُلّفت سيرها خيل ولا إبلُ
بلغتم الغاية القصوى فحبكم هذا الذي بعلاء يضرب المثلُ

---

[٨] انظر كتاب: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، حول موقعة عين الوردة (بيروت: دار صادر ١٩٦٥م) ج٤: ١٧٥.

[٩] – انظر الأعلام للزركلي، ج٥: ٢٤.

والعين وجمعها لها أماكن أخرى، ولكنها قليلة وصغيرة الشأن، لذا أثبت ما هو مشهور ومعروف عند أهل تلك البلاد، أو حدث بتلك المواضع من الأحداث التاريخية ما أدى إلى شهرتها.

العين في الشعر العربي

وذكر اللغويون عدة أسماء وألفاظ تدل على العين مثل: نظر، وأبصر، وأشحذ، وحمج، وحدج، وتخازر، ولاوص، وتخاوص، وشفن، وسنف، وأشفَّ، وآنس، ورمق، وحدَّق، ولمح، ولحظ، وتأمَّل، هذه الألفاظ جميعها تعني النظر، مع اختلاف التعريف بها.[١٠] بعد معرفة معاني العين المختلفة، يقال: ألقى إليه نظرة، ومدَّ نحوه بصره، وأراد لمحاً باصراً، ونظر إليه شزراً، وأثأر له بصره، وحدده، وحدَّق به نحوه، ومازال ينفذ إليه عوذاً، ونفذ بعينه، وأشفَّ إلى ما قرب وتأنس ما بعده، وأبصره وبصر به، وتبصره، ورمقه ورامقه، ولاحظه، وهكذا وأماكن تسمت بها، التقط الشعراء العين لتوظيفها في أشعارهم، بل كانت العين مصدراً أساسياً للغزل والحب، وكذلك استخدمت العين لمعظم المعاني التي تطرق لها اللغويون.

أولاً: العين في الحسد:

قد تصيب عين الحاسدِ المحسودَ، فيقال: أصابته عين، أو أصابت فلانا عين، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: " ومن شر حاسد إذا حسد" سورة الفلق الآية ٥، وفي الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ: " العين حق، وإذا استُغسِلتُم فاغسلوا". فإذا قيل: أصابت فلانا عين: يعني عين حاسد أصابته وأثرت فيه فمرض، أو أصابه مكروه، لذا قال رسول الله ﷺ "العين حق". لذا أخذ المسلمون يرددون سورة

---

[١٠] – جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الكتب العلمية١٩٨٥م) ص: ٤٣٨.

الفلق، لحماية الإنسان من شر الحاسد، فليس كل الناس سواسية في النظرة للآخرين.

ثانيا: العين في التجسس:

العين هو الجاسوس، وسمي بذلك لأنه ينظر بعينيه، وفي حديث الحديبية: " كان الله قد قطع عيناً من المشركين"، أي كفى الله منهم من كان يرصدنا ويتجسس علينا أخبارنا، لهذا اعتمدت الدول على جهاز مخابرات لحماية الوضع الداخلي، وجمعت معلومات عن الأعداء حتى لا يباغتهم بهجوم مفاجئ. وكذلك الديدبان: أي الرقيب الذي يراقب الناس، فقد أنشد الأزهري لأبي ذؤيب الهذلي: [١١]

ولو أنَّني استودَعتُه لارتَقَت إليهِ المَنايا عَينها ورسولها

ثالثاً: العين هي الدينار والذهب:

كان العرب يستخدمون الدينار: وهو مصنوع من الذهب، والدرهم: وهو مصنوع من الفضة. قال أبو المقدام:

حبشيٌّ له ثمانون عيناً بين عينيه قد يسوق إفالا

أراد ثمانون ديناراً، وقال الأزهري: العين: الدنانير، والعين كذلك هو الذهب بشكل عام، ولذا كانت العين ذاتها، ويذكر ذات الشيء، أي نفسه وشخصه، والجمع: أعيان، وقيل: هذه أعيان دراهمك، أو هذه دراهمك بأعيانها، والمال بشكل عام عين، وكل مال عين.

وكما ذكرنا سابقاً فإن كلمة عين تطلق على: عين الشمس، أو شعاعها. وكذلك عين الماء، أو ينبوع الماء، ولكن تذكر العين في مجال الغزل والجمال، وهذا بحر عميق يطرقه الشعراء كثيراً.

رابعاً: العين في فعل العمد:

[١١] – انظر: شرح أشعار الهذليين، ج١: ١٧٤

فعل العمد يكون فيه تحدٍّ، فقد فعل فلان ذلك الشيء عمداً على عين، يقول الشاعر خفاف بن ندبة السُّلمي:

فإن تكُ خيلي قد أصيبت صميمها   فعمداً على عينٍ تيمَّمتُ مالكا

خامساً: العين في الغزل:

افتتن الشعراء الغزليون بالعين، ونظموا قصائدهم في الغزل بالعين، فكانت العين أول أعضاء الغول، وهناك أبيات غزلية مشهورة، منها:

قول جرير، الشاعر المشهور الذي يقول:[١٢]

إن العيون التي في طرفها حور   قتلننا ولم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهنَّ أضعف خلق الله أركانا

وقول الشاعر العباسي علي بن الجهم عن العيون:[١٣]

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدنَ لي الشوقَ القديم ولم أكن   سلوتُ ولكن زدتُ جمراً على جمرِ

كقول الشاعر أبو بكر الشبلي:[١٤]

وعينان قال الله كونا فكانتا   فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

ذكرنا سابقاً أن للعين عدة أسماء، وكلها تشير إلى العين الغزلة، فالشاعر يستخدم كلمة العين، أو ما يشير إليها من كلمات ذكرناها سابقا، وهنا نذكر الشاعر بشار بن برد العقيلي[١٥] حيث يقول:[١٦]

---

[١٢] – جرير بن عطية بن الخطفى، شاعر مبرز ٣٣هـج-١١٥هـج، أنظر: ديوانه، بتحقيق: نعمان محمد أمين (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٩م) ج١ : ١٦٣. ودراسة أخرى لحياته وشعره بعنوان: جرير، حياته وشعره للمحقق نعمان أمين أيضا.

[١٣] – علي بن الجهم، شاعر عباسي، عاش في بغداد، واختص بالمتوكل العباسي، وتوفي سنة ٢٤٩هـج/ ٨٦٣م. انظر: الأعلام للزركلي، ج٤: ٢٦٩. انظر: علي بن الجهم: حياته وشعره (القاهرة: دار المعارف د.ت.) ص ٢٢٧.

[١٤] ١٠– أبو بكر الشبلي، دلف بن جحدر الشبلي ٢٤٧-٣٣٤هـج/ ٨٦١-٩٤٦م، شاعر ناسك، انظر الزركلي في الأعلام ج٢: ٣٤١.

ويزهِّدني في حُبِّ عبدةَ مَعشرٌ قلـــوبُهم فيها مُخـــالفةٌ قلبي

فقلتُ: دعوا قلبي وما اختار وارتضى فالقلبُ لا بالعين يبصرُ ذو اللبِّ

وما تبصرُ العينانِ في موضع الهوى ولا تسمعُ الأذنان إلّا من القلبِ

هكذا تستخدم العين للغزل، لتخرج ما في القلب من حب للطرف الآخر.

في مجلس أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري، فقيه العراق في زمنه، فجاءه رجل ودفع له ورقة، فأخذ ينظر فيها، ثم قلبها وكتب على ظهرها شيئاً، وردها على صاحبها، وكان ذلك الرجل ابن الرومي الشاعر المشهور وكان بها أبيات شعر له، واستعمل الشاعر ابن الرومي كلمة: أحداق، جمع حدق في بيتين من الشعر فيها فقال: [١٧]

يا ابن داود يا فقيه العراق أفتنا في قواتل الأحداق

هل عليهنَّ في الجروح قصاص أم مباحٌ لها دمُ العشاقِ

وكان رد ابن داود الذي كتبه على ظهر الورقة شعراً:

كيف يفتيكم قتيلٌ صريعٌ بسِهامِ الفراقِ والاشتياقِ

وقتيلُ التلاقِ أحسنُ حالاً عند داود من قتيل الفراقِ

هكذا حال السائل المحب، ورد الفقيه المحب.

أما إذا كانت العين يسمى لواحظ، فمنها قول عبد الله، المشهور بفخري زادة، [١٨] يقول:

لواحظ بيض، وسود عيونها عوامل تلك البيض، والحسن رائقُ

فلله أيَّام قضيتُ بوصلها وألحاظها باللطف، نحوي روامقُ

---

[١٥] أنظر: الأعلام للزركلي، جزء ٢: ٥٢.

[١٦] – انظر: ديوان بشار بن برد، جمع وشرح: لمحمد الطاهر بن عاشور، (تونس: المكتبة التونسية ١٩٧٨م) ج٤: ١٧.

[١٧] – لغة العيون في الشعر العربي، عبد الأمير مهدي الطائي (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩١م) ص ٥٩.

[١٨] – انظر: تاريخ الأدب العربي في العراق ج ٢: ٣٨.

وكلمة غض الطرف، بمعنى العين، تستعمل في انخفاض العين حياءا واستصغارا، يقول الشاعر شهاب الدين الحويزي: [١٩]

ويا وميض بروق المزن إن سفرت عن الثنايا فغض الطرف واستترِ
ويا وجيز عبـــارات البيـــان لقد أطنبتَ في وصف ذاك الخصر فاختصرِ

ويستعمل اللفظ في التخثير كقول جرير الشاعر للراعي النميري:

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كانت العين مصدراً لكثير من الموضوعات الشعرية، لأن العين الباصرة هي التي تنقل إلى العقل مشاعر ما هو مكنون في القلب، فيعبر الشاعر عمَّا يجيش في خاطره من لواعج المحبة، أو الاحترام، أو الإعجاب بفعل ما.

عندما يشعر الإنسان بلواعج المحبة والعشق يظهر ذلك على عينيه، سواء بالفراق، أو المقابلة والاتصال، فتذرف العينان الدموع، فتخرج الدموع ما يبطنه القلب، وما يشعر به المرء المحب. يقول الشاعر العباس بن الأحنف: [٢٠]

يا غريب الدار عن وطنه مُفرداً يبكي على شجنه
كلَّما جدَّ البكاءُ به دبَّت الأسقام في بدنه

وفي هذين البيتين حكاية، يقول: إن جماعة من أهل البصرة قالوا: خرجنا نريد الحج، فلما كنا ببعض الطريق إذا غلام ينادي: هل فيكم أحد من أهل البصرة؟ قال: إنَّ مولاي لما به يريد أن يوصيكم، فملنا معه؛ فإذا شخص ملقى على بعد من الطريق تحت شجرة، لا يحير جواباً، فجلسنا حوله، فرفع طرفه وأنشأ يقول: (البيتان).

---

[١٩] – لغة العيون في الشعر العربي، عبد الأمير الطائي، ص ٧٧.

[٢٠] – أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة، ولد ونشأ في بغداد، وشعره رقيق ولطيف، توفي في بغداد سنة ١٩٢هـ / ٨٠٨م انظر: الأعلام، للزركلي، ج٣: ٢٥٩.

ثم أغمي عليه، فأقبل طائر وجعل يغرد، ففتح عينيه وقال:

لقد زاد الفؤاد شجي طائرٌ يبكي على فننه
شفَّه ما شفَّني فبكى كلُّنا يبكي على سكنه

ثم فاضت روحه، فغسلناه ودفناه، وقبل أن نرحل سألنا الغلام من هذا الرجل، قال: هو العباس بن الأحنف الشاعر.

يقول أبو فراس الحمداني في قصيدة له:[٢١]

كلما أبلت الدِّيارَ الليالي عاد ذاك البلى عليَّ البلاءَ
إن تكن زادت الديارُ عفاءً فلقد زادت الخدودُ عفاءَ
وإذا فاضت المدامعُ كانت من رسيس الهوى ذواءَ شفاءَ
أيها العاذلات في الحبِّ مهلاً أنا أنتُنَّ إن ملكتُ البكاء

وهكذا يبرز الشاعر لوعته ووجده في دمعات يسيل على خديه كعبرة عما يجيش في صدره من آهات الحب، وزفرات المحبة. وهناك عديد من قصائد الشعراء العرب التي تتحدث عن نزول الدموع لفراق الأحبة، أو لمقدمهم، ولكن المقام هنا لا يحتمل المزيد من تلك النماذج الشعرية التي نظمها الشعراء في هذا المجال.

الخاتمة

هكذا رأينا أن العين استخدمها العرب في نواحي كثيرة، وقد أوردنا بعضها، ولكن يصعب علينا أن نورد كل معانيها، الحقيقية أو المجازية، فهي عين، كلمة واحدة مركبة من ثلاثة حروف، ولكن لمعانيها أكثر من خمسين معنى،

---

[٢١] – الحارث بن سعيد بن حمدان، أبو فراس، ولد سنة ٣٢٠هـ وتوفي سنة ٣٥٧هـ/ ٩٣٢-٩٦٨م، شاعر فارس مقاتل، وأشهر قصائده الروميات، التي نظمها أثناء أسره لدى الروم في إحدى غزواته، ولكن ابن أخته سعد الدولة تآمر عليه وقتله.

وقد أوردها اللغويون والشعراء في منظوماتهم، واستعملها بعض من الناس لأغراض أخرى، تشبيهاً بالعين الباصرة.

أطلق العرب اسم عين، كما رأينا، على كل شكل يشبه العين؛ من الجبال، أو الأراضي، والصخور، لذا احتلت العين مكاناً واسعاً في أدبيات اللغة العربية، فأوردها اللغويون في معاجمهم، والشعراء في قصائدهم، فهذه هي العين.

ربما كان الاستعمال المجازي للعين أكثر من الاستعمال الواقعي، حيث إن الصور البلاغية الفنية المعبرة عن الواقع أكثر وأجمل في التعبير عما يشعر به الإنسان، لذا كانت العين المصدر الأساسي في التعبير عن الواقع، أو عن الخيال.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم، بحسب ورود الآيات في مكانها.

٢. جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، (بيروت: دار صادر ١٩٦٥م)

٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (قم، إيران: دار الهجرة ١٤٠٥ه)

٤. خير الدين الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين١٩٨٤م)

٥. عباس الغروي، تاريخ الأدب العربي في العراق، (بغداد: ١٩٦٠م)

٦. عبد الأمير مهدي الطائي، لغة العيون في الشعر العربي (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩١م)

٧. عبد الرحمن باشا، علي بن الجهم: حياته وشعره (القاهرة: دار المعارف د.ت.)

٨. عبد الستار فراج، ومحمود شاكر، شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد السكري، (القاهرة: مكتبة دار العروبة د.ت.)

٩. عز الدين بن الأثير الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر ١٩٦٥م)

١٠. قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الكتب العلمية١٩٨٥م)

١١. محمد الطاهر بن عاشور، ديوان بشار بن برد، جمع وشرح (تونس: المكتبة التونسية، ١٩٧٨م)

١٢. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ٢٠٠١م).

١٣. نعمان محمد أمين، ديوان جرير بن عطية، (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٩م)

١٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار إحياء التراث العربي١٩٧٩م).

.... ❖❖❖❖❖ ....

قراءة نقدية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

أ. د. مجيب الرحمن [*]

ملخص البحث:

تُعَدُّ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي السوداني الطيب صالح واحدة من أبرز الأعمال الأدبية في الأدب العربي المعاصر. صدرت الرواية لأول مرة في عام ١٩٦٦، وسرعان ما أثرت في المشهد الأدبي العربي والعالمي بفضل تناولها العميق للقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية. تدور أحداث الرواية حول بطلها مصطفى سعيد، الذي يعود إلى قريته في السودان بعد فترة من الدراسة والحياة في أوروبا. عبر رحلة مصطفى، يستعرض صالح صراع الهوية والتأثيرات المتبادلة بين الشرق والغرب، مقدماً تأملات حول الاستعمار، والغرب، والانتماء. تعكس الرواية التعقيدات النفسية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات في مواجهة التغيرات الثقافية والاقتصادية. من خلال لغة سردية غنية ورموز متعددة، يُقدّم الطيب صالح نصاً أدبياً يفتح أبواباً واسعة لفهم التوترات الكامنة بين الحضارات، فضلاً عن إلقاء الضوء على تجارب الإنسان في عالم متغير. هذه الدراسة النقدية ستسعى إلى تحليل الأبعاد المختلفة للرواية، متناولاً كيف يجسد الطيب صالح التفاعلات الثقافية والصراعات الذاتية بأسلوب يجمع بين الواقعية والرمزية.

الكلمات / المصطلحات المفتاحية: رواية ما بعد الاستعمار، القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية، الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، صراع الهوية، الأصالة، العلاقة بالآخر، المعاصرة، الاستعمار ، القامع والمقموع، الشمال والجنوب، الانتماء، الاغتراب، التوازن بين العقل والقلب، أزمة الهجرة، صراع التقليد مع الحداثة، الاستشرق.

[*] أستاذ ورئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

إن الرواية المتميزة للروائي السوداني الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" التي نُشرت للمرة الأولى في عام ١٩٦٦، قد نالت منذ صدورها اهتماماً عالمياً واسعاً وأثارت استجابات نقدية متعددة لا حصر لها. فقد نالت الرواية اهتماماً كبيراً من خلال الأبحاث والكتب والمقالات التي تناولتها باللغات العربية والأوروبية، وأحرزت شهرة كبيرة جعلت من كاتبها يُعتَبر "عبقري الرواية العربية". كما اختيرت كأفضل رواية عربية من قبل الأكاديمية الأدبية بدمشق، واحتلت مكاناً بين أفضل مائة رواية في العالم. وقد نال الكاتب جائزة ملتقى القاهرة للإبداع الروائي في عام ٢٠٠٢، وأصبحت الرواية جزءاً من المقررات الدراسية في العديد من الجامعات حول العالم، وعدت الرواية من الروايات البارزة في فئة أدب ما بعد الكولونيالية.

فما الذي يجعل هذه الرواية الصغيرة الحجم، التي لا تتجاوز مائتي صفحة، تجذب اهتمام القراء والنقاد إلى هذا الحد؟ ولماذا تستمر الرواية في إثارة الدراسات والأبحاث حول أبعادها القومية والفكرية والدلالية حتى بعد مرور اكثر من خمسين عاماً على صدورها؟

الإجابة على هذا السؤال تكمن في قراءة الرواية نفسها، حيث يكتشف القارئ الثراء الاستثنائي والفريد الذي تتميز به، ويلاحظ أنها لم تفقد جدتها وحيويتها وعمق تأثيرها رغم مرور خمسة عقود.

ملاحظاتي حول الرواية قد لا تضيف جديداً إلى الأبحاث الحالية، لكنها تعكس انطباعاتي الشخصية وتفاعلي مع العمل. قرأت الرواية أكثر من عشر مرات منذ أن أهداها لي صديق أثناء دراستي للماجستير في جامعة جواهر لال نهرو. انتهيت من قراءتها لأول مرة في ليلتين، ولم أستطع وصف مشاعر الإعجاب العميقة التي شعرت بها حينذاك. كل مرة أقرأ فيها الرواية أجد لذة

جديدة وأعتقد أنني حفظت عباراتها عن ظهر قلب. ما يميز هذه الرواية، في رأيي، هو الحيوية السردية التي تنبض بعفوية وتلقائية، بالإضافة إلى اللغة الشاعرية المقتدرة وعنصر التشويق الذي يجذب القارئ للغوص في أعماقها.

في الرواية، يسعى الراوي إلى الكشف عن اللغز الذي يكتنف شخصية مصطفى سعيد، البطل الذي يظهر في قرية نائمة على ضفاف النيل في شمال السودان تُدعى ود حامد. بعد غياب دام سبع سنوات قضاها في إنجلترا للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي، يعود مصطفى سعيد إلى قريته ليجدها كما هي، باستثناء رجل يبدو غريبًا عن أهلها. مصطفى، الذي يصفه الراوي كرجل في الخمسين من عمره، ذو شعر أبيض كثيف، وبدون لحية، وشاربه أصغر من شوارب رجال القرية، يتسم بالوسامة والغموض.

سؤال الراوي حول مصطفى سعيد يثير فضول القارئ للبحث عن ماضيه الغامض. ذات مرة، خلال حالة من السكر، يتلو مصطفى سعيد شعرًا إنجليزيًا بصوت واضح ونطق سليم، مما يجبره على الكشف عن تفاصيل ماضيه الغابر خوفًا من أن يكشف سره.

مصطفى سعيد وُلد في الخرطوم في ١٦ أغسطس ١٨٩٨، وقد نشأ تحت رعاية أم صارمة خالية من أي حنان أمومي. على الرغم من صغر سنه، كان يتمتع بذكاء خارق مكّنه من تخطي مراحل دراسية بسرعة فائقة. تلقى التعليم في القاهرة ثم انتقل إلى لندن للدراسات العليا، حيث أظهر تفوقًا أكاديميًا وأصبح أستاذًا للاقتصاد في جامعة لندن. خلال فترة وجوده في لندن، جذب مصطفى الأنظار بلونه وحكاياته المزيفة، ونجح في الإيقاع بأربع نساء في شراكه، انتحرت ثلاث منهن بينما تزوج من الرابعة بعد مطاردة طويلة. ولكن، بعد

شهرين من الزواج، قتلها بأسلوب ميلودرامي، حيث غرز خنجراً بين نهديها وهي عارية في فراشها.

كان مصطفى سعيد يدفعه الانتقام من الحضارة التي دمرت أفريقيا بالاستعمار إلى ارتكاب أفعاله. النسوة اللاتي كانت علاقته بهن قد توطدت، لم يكنّ يكنّ له الاحترام الذي يكنّه الرجل من جنسهن، بل كان لديهن احتقار عميق نحوه، مما زاد من حقده ورغبته في الانتقام من هذه الحضارة وأهلها. في محاكمته في الأولدبيلي، كان يشعر بنوع من التفوق تجاه المحلفين: "أشعر تجاههم بنوع من التفوق، الاحتفال كان بسببي، أنا الدخيل الذي يجب أن يُبت في أمره" (الرواية، ص٩٧).

في الأولدبيلي، كان المحلفون يتعاملون معه كجثة باردة، وكأنه فقد الرغبة في الحياة، لكن المحلفين وأساتذته الإنجليز قاموا بالدفاع عنه، فحكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة قتل زوجته جين مورس. بعد ذلك، بدأ يتنقل من باريس إلى كوبنهاجن ثم إلى دلهي وبانكوك، حتى استقر في قرية ود حامد في شمال السودان. هناك تزوج من السيدة حسنة بنت محمود، وأنجب منها ولدين، وبدأ يعيش كالفلاح البسيط. رغم ذلك، ظل غريباً ولم يستطع التكيف مع حياته الجديدة أو الحضارة المحيطة به.

بعد أن روى مصطفى سعيد قصته للراوي، عاد الراوي إلى الخرطوم ليواصل عمله كمعلم في المدرسة. بعد عامين، علم أن مصطفى مات غرقاً في النيل دون أن يُعثر على جثته. ترك مصطفى للراوي مظروفاً مختوماً جعله وصياً على ولديه وزوجته وتركته، كما ترك له مفتاح غرفته السرية التي لم يدخلها أحد سواه. اعتنى الراوي بالولدَين عناية حسنة، لكن بعد فترة، تواصل معه الشيخ العجوز المزواج ود الريس، وعبر عن رغبته في الزواج من حسنة. حسنة

هي الأخرى هددت بقتل نفسها إذا أُجبرت على الزواج، ومع ذلك تم الزواج بينها وبين ود الريس في غياب الراوي، ورغم مقاومتها الطويلة، فقتلت حسنة ود الريس أثناء الجماع وقتلت نفسها بطريقة بشعة، مما أثار دهشة سكان القرية.

عندما عاد الراوي إلى قريته بعد سماع خبر وفاة حسنة، لم يخبره أحد بتفاصيل الحادثة العنيفة أو أسبابها، باستثناء بنت مجذوب، التي حملت صفات ذكورية؛ دخنت السيجار وشربت الخمر، وتحدثت بصوت مبحوح نتيجة التدخين، وحلفت بالطلاق كما يفعل الرجال. أخبرته بنت مجذوب عن الحادثة واعتبرته مسؤولاً عنها، حيث كانت حسنة ترغب في الزواج منه، وكان رفضه هو أحد أسباب المأساة. عندها، شعر الراوي بقلق عميق وحب غير متوقع نحو حسنة.

عندما فتح الراوي الغرفة السرية في بيت مصطفى سعيد، أصيب بالدهشة مما رآه: كانت الغرفة تشبه مكتب أستاذ إنجليزي تماماً، مملوءة بالكتب الكلاسيكية في مختلف الموضوعات، وجميع الكتب باللغة الإنجليزية، دون وجود أي كتاب بالعربية. عثر الراوي على قصاصات ورق وشذرات ومذكرات وأشياء أخرى، مما أتاح له الاطلاع على أسرار حياة مصطفى سعيد. بعد ذلك، انتابه شعور غامر بالجنون، فهرب إلى النيل عارياً كما ولدته أمه، معتقداً أنه قد يقدم على الانتحار مثل مصطفى سعيد. ولكنه عدل عن هذه الفكرة، وقرر أن يختار الحياة. فقد شعر بوجود أشخاص عدة يجب أن يبقى معهم أطول فترة ممكنة، ولديه واجبات ينبغي عليه أداؤها. لم يعد يعنيه إن كانت الحياة ذات معنى أم لا، فصرخ بكل ما تبقى له من طاقة: "النجدة، النجدة!" وبهذا تنتهي الرواية.

هذا ملخص للقصة، التي تتسم بالتشويق وتماسك الحبكة وتعقيد البناء الروائي. تم سرد القصة بأسلوب متميز يجمع بين الزمن والاسترجاع وتيار

الشعور، مما يضفي عليها معانٍ كثيفة ومدلولات عميقة. ولا يزال النقاد والباحثون يستكشفون دلالاتها الثرية. سأشير بإيجاز إلى بعض القضايا البارزة التي تعزز من قيمة الرواية وتساهم في تميزها وإبداعها.

كما يقول الطيب صالح في حوار مع الصحفية سوسن الديك، نشر في مجلة "العربي" عدد ٥٦٣ عام ٢٠٠٥: "أهم شيء صنعته في الرواية العربية أنك أضأت مناطق مظلمة في الوعي العربي". وقد نجح الطيب صالح في تسليط الضوء على الريف السوداني ووضعه على خارطة الوعي العربي والعالمي، مما ألهم كتاباً آخرين مثل البشير خير من تونس، وغلاب من المغرب، وطاهر وطار من الجزائر، وإبراهيم الكوني من ليبيا، وغيرهم.

الرواية تحمل طابعاً عالمياً في عمقها وأهميتها، لكنها في ذات الوقت تجسد المحلية السودانية بتفاصيلها الغنية: الطبيعة والحيوانات والنماذج البشرية المتنوعة والعادات. تجعلنا الرواية نعيش تجربة حية، حيث نستشعر روائح الفول واللوبيا والنخيل والذرة والحلبة والبخور والطلح والقمح والبصل والشطة، ونرى الفلاحين وهم يعملون في الأرض. تُصور لنا الأرض الشمالية بكل تفاصيلها وعطائها، وكأنها لوحة لا تكتمل إلا بريشة فنان.

الرواية تضيء على مناطق مظلمة في الوعي العربي، وتكشف عن المسكوت عنه في الثقافة العربية. تطرح قضايا هامة مثل الهوية والأصالة والعلاقة بالآخر والمعاصرة والاستعمار والصراع الحضاري بين الشرق والغرب، أو الشمال والجنوب، والاغتراب، والتوازن بين العقل والقلب، وحق تقرير المصير للأفراد والثقافات، وأزمة الهجرة، وصراع التقليد مع الحداثة، وغيرها من المواضيع التي تثير التفكير وتحتوي على عمق يحير القارئ.

المواجهة بين الحضارتين الشرقية والغربية والاستعمار:

يُعبر عنوان الرواية عن التوازي بين الحضارتين، حيث يمثل البطل مصطفى سعيد القادم من الجنوب المتخلف، والذي يسافر إلى الشمال المتقدم. تزداد حدة المواجهة عندما يلتقي مصطفى بأحدهم ويصفه قائلاً: "أنت يشع، لم أر في حياتي وجهاً بشعاً كوجهك، وفتحت فمي لا تكلم، لكنها ذهبت" (الرواية، ص ٣٤). هذا ما قالته إحدى الفتيات اللواتي تعلقن به.

الصراع بين الشمال والجنوب يهيمن على الرواية بطولها، ويتجلى في سياقات عديدة وأحياناً بعبارات صريحة. بعد عودته إلى قريته، يقول الراوي: "عندما جئت إليهم، كانت لحظة عجيبة أن وجدتني بين أهلي، ففرحوا بي واحتشدوا حولي. ولم يمض وقت طويل حتى شعرت كأن ثلجاً يذوب في داخلي، فكأنني دفئت بشمس الحياة في العشيرة، فقدت هذا الدفء زماناً في بلاد تجمد حيتانها من البرد" (الرواية، ص ٥).

يقول الطيب صالح: "رواية موسم الهجرة إلى الشمال كانت تحدياً صارخاً للنظرة الاستشراقية" (مجلة العربي، العدد ... تحت عنوان "وجهاً لوجه" في حوار مع الصحفية سوسن الديك). تعتبر الرواية من أقوى الحجج الفنية ضد الاستعمار. وقد اعترف الأستاذ إدوارد سعيد، المرحوم، بأن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" كانت من المؤثرات القوية التي اعتمد عليها في كتابه "الاستشراق"، الذي تحدى به هذه النظرة الاستشراقية.

يتجلى هذا التحدي بوضوح في الرواية. يقول الراوي عن الحكم الإنجليزي في أفريقيا: "كان مفتش الري الإنجليزي إلهاً يتصرف في رقعة أكبر من الجزر البريطانية كلها، يسكن في قصر طويل عريض مملوء بالخدم ومحاط بالجند. كانوا يتصرفون كالآلهة، ويسخرون منا نحن الموظفين

الصغار من أبناء البلاد لجلب العوائد. كان الناس يتذمرون ويشكون إلى المفتش الإنجليزي، الذي كان هو من يغفر ويرحم. هكذا غرسوا في قلوب الناس بغضنا، نحن أبناء البلد، وحبهم هم المستعمرون الدخلاء" (الرواية، ص ٥٧). ويضيف: "الرجل الأبيض، لمجرد أنه حكمنا في حقبة من تاريخنا، سيظل طويلاً يشعر بالاحتقار نحونا، كالقوي تجاه الضعيف" (الرواية، ص ٦٣). ويقول مصطفى: "إنني أسمع في هذه المحكمة صليل سيوف الرومان في قرطاج، ووقعقعة سنابك خيل اللنبي وهي تطأ أرض القدس. البواخر مرت عبر النيل لأول مرة حاملة المدافع لا الخبز، وسكك الحديد أنشئت أصلاً لنقل الجنود. أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول 'نعم' بلغتهم. لقد جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثله من قبل في السوم وفردان، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام. نعم، يا سادتي، إنني جئتكم غازياً في عقر داركم، قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ. أنا لست عطيلاً. عطيل كان أكذوبة" (الرواية، ص ٩٨). ويضيف الراوي: "نحن بمقاييس العالم الصناعي الأوروبي فلاحون فقراء، ولكن عندما أعانق جدي، أشعر بالغنى، كأنني نغمة من دقات قلب الكون نفسه" (الرواية، ص ٧٧).

على هذه الشاكلة ينصب النقد اللاذع - في الرواية-على الاستعمار الغربي البريطاني بالتحديد، وتحتد المواجهة بين الشمال والجنوب، حيث يتم إجراء مقارنة بينهما على مستويات متعددة. يمثل الشمال التقدم العلمي والفكري الهائل، ويعتبر مركز جذب الأنظار، ولكنه في ذات الوقت يظل أفقر مقارنة بالجنوب "المتخلف"، الذي يجسد الطمأنينة والهدوء والاستقرار. من جهة أخرى، تعاني ديناميكيات علاقة الشرق بالغرب من توتر عاطفي، حيث تتجلى علاقة التابع بالمتبوع، المستعمر بالمستعمر والعكس.

يمثل الشمال تجسيداً أكبر للاستغلال والقمع، بينما يكون الجنوب هو المستغل والمقموع. هذا الإحساس بالقمع والاستغلال يزرع القمع داخل المقموع، مما يجعله يعيد إنتاجه على نفسه ومن حوله. فيتحول المقموع إلى قامع، وينصب قمعه على من أساء إليه، حتى وإن كان ذلك غير موجه لأشخاص معينين. في حالة مصطفى سعيد، فإن هذا القمع لا يعرف معنى الحب أو الامتنان، بل يترجم إلى كراهية وحياد ورغبة لا تنتهي في الانتقام. لهذا السبب، لم تترك أمومة السيدة روبنسون أثراً في نفس مصطفى سعيد كما لم تتركه مع أساتذته الإنجليز الذين ساعدوه في السودان، فتقبل مساعداتهم بدون شكر، وكأنها واجب يفرضونه عليه (د. جابر عصفور، مجلة العربي، عدد ٥٦٣، عام ٢٠٠٥م).

ترجع جذور هذا الشعور بالغربة إلى العلاقة الغريبة بالأمم الغربية، وهو ما جعل مصطفى سعيد يشعر بالانفصال والتشتت، فلم يكن له انتماء سوى شهوة جسده ورغبته اللاشعورية في إيقاع القمع على النساء اللواتي دخلن إلى دائرته. استمر على هذا الحال حتى جاءت جين مورس، التي تبادلته القمع بالقمع، مما أدى إلى حدوث ثورة عنف مدمرة (د. جابر عصفور، مجلة العربي، عدد ٥٦٣، عام ٢٠٠٥م).

تُعد المعارك الجنسية لمصطفى سعيد شكلاً من أشكال الثأر ضد المستعمر والقامع. ورغم استيعابه لحضارة الغرب، إلا أن هذه الحضارة حطمت قلبه لأنها دمرت قلب أهله وأصابته بمرض عضال منذ زمن بعيد. وقد اتخذ الجنس وسيلة لمعارضة الاستعمار، وادعى لأصدقائه الأفارقة أنه سيحرر إفريقيا بوساطة هذه الوسيلة.

تخصص مصطفى سعيد في اقتصاد الاستعمار، وكشف عن عدم إنسانيته وعدوانه، مستنداً إلى مدرسة الفابيانين التي سعت لتحقيق العدالة

والمساواة والاشتراكية في الاقتصاد، وهي المبادئ التي قادت إلى مقاومة اقتصاد الرأسمالية الاستعمارية التي اقترنت بنهب ثروات الشعوب المستعمرة. ومن ثم، كانت كتب مصطفى سعيد تحمل عناوين مثل: "الصليب والبارود"، "اغتصاب إفريقيا"، والعنوان الأخير يعكس آلية رد الفعل التي تنقل القمع من المقموع إلى القامع (د. جابر عصفور، مجلة العربي، عدد ٥٦٣، عام ٢٠٠٥م – نقلاً عن موقع المجلة الإلكتروني).

علاوة على ذلك، تثير الرواية قضية الصراع النفسي الذي يعانيه الفرد عند تواجده على مفترق الطرق بين الحضارتين. يعيش البطل مصطفى سعيد هذا التمزق والتوتر، حيث يشعر بالاغتراب في كل من الغرب ووطنه، مما يجعله غير قادر على التكيف مع أي من الحضارتين. ومن الطبيعي أن تنتهي حياته التعيسة والمحيطة والعنيفة بنهاية مأساوية بالانتحار. في إطار أوسع، حاول الكاتب من خلال الرواية إبراز التوتر الذي تعاني منه المجتمعات النامية أثناء تحولها من الاستعمار إلى الحرية والاستقلال. كما وتتبلور في الرواية قضايا الهوية والأصالة والاغتراب كقضايا مهمة.

ازدادت خطورة قضية الهجرة في الآونة الأخيرة، حيث شغلت حيزاً ملحوظاً من الاهتمام العالمي. يصف الراوي عودته إلى قريته كأنها عودة إلى الرحم، إلى جذوره. يقول: "نظرت خلال النافذة إلى النخلة القائمة في فناء دارنا، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير. أنظر إلى جذعها القوي المعتدل، وإلى عروقها المتشبثة بالأرض، وإلى الجريد الأخضر المنسدل فوق قامتها، فأحس بالطمأنينة. أشعر أنني لست ريشة في مهب الريح، بل مخلوق له أصل وجذور وهدف" (الرواية، ص ٦). ويكرر الراوي ذات الشعور في موضع آخر: "الوجوه هناك، كنت أتخيلها قمحية أو سوداء، فتبدو وجوهاً لأناس أعرفهم. هناك مثل هنا، ليسوا أفضل ولا أسوأ، لكنني من هنا، كما أن النخلة القائمة في فناء دارنا نبتت في فناء

دارنا ولم تنبت في دار غيرها" (الرواية، ص ٥٣). تؤكد الرواية وتبرز أهمية الجذور والأصول في حياة الإنسان، فهما تحضر الإنسان أو يتنقل، يظل يحن دائمًا إلى جذوره. كما قال الشاعر العباسي العظيم أبو تمام:

نَقِّل فُؤَادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهَوى
ما الحُبُّ إِلّا لِلحَبيبِ الأَوَّلِ
كَم مَنزِلٍ في الأَرضِ يَأَلَفُهُ الفَتى
وَحَنينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنزِلِ

رغم معارضته الشديدة للاستعمار، يتخذ الكاتب أحيانًا موقفًا متصالحًا ومتسامحًا، فيقول: "وكونهم جاءوا إلى ديارنا، لا ندري لماذا. هل يعني ذلك أننا نسمم حاضرنا ومستقبلنا؟ إنهم سيخرجون من بلادنا عاجلاً أو آجلاً، كما خرج كثيرون عبر التاريخ من بلاد كثيرة. سكك الحديد، البواخر، المستشفيات، المصانع والمدارس ستكون لنا، وسنتحدث لغتهم دون إحساس بالذنب أو الامتنان. سنكون كما نحن، قوم عاديون. وإذا كنا أكاذيب، فنحن أكاذيب من صنع أنفسنا" (الرواية، ص ٥٣).

ويبرز الوجه الآخر من الأوروبيين في مواقف عديدة، حيث يُوصف بعضهم بالعادلين والمحسنين للإنسانية، خاصة أثناء المحاكمة، إذ كان هناك أوروبيون يدافعون عن مصطفى سعيد، وكان من بينهم والد بنت انتحرت بسبب مصطفى سعيد.

وهذا غيض من فيض، إذ لا يمكن لعاجز مثلي أن يحيط بكافة جوانب الرواية الدلالية المتسعة والمليئة بالكثافة الهائلة في هذه العجالة. تُعتبر الرواية غارقة في الرمزية، مما يجعل تفسيرها متنوعًا حسب وجهات النظر. أما أسلوب بيانها، فهو سحري وجذاب، ينساب كأطياف الشعر في لغة سهلة ورقيقة، مما

يجعل الرواية وكأنها قطعة شعرية متكاملة. لا عجب في ذلك، فالروائي الطيب صالح هو شاعر بقالب روائي.

مآخذ على الرواية:

تناول العديد من النقاد هذه الرواية، وتفاوتت آراؤهم بين الإشادة والانتقاد. من أبرز المآخذ التي وُجهت للرواية هي الإيحاءات الجنسية الصريحة والتصوير المفصل للجنس، مما حمل الرواية ألفاظًا قد تُخدش الحياء وتثير الشهوات. كذلك، هناك مواقف في الرواية يصعب على القارئ قبولها، مثل العلاقة الجافة بين مصطفى سعيد وأمه، حيث جاء في لحظات الوداع بينهما: "لا دموع، ولا قبل، ولا ضوضاء، مخلوقان سارا شطرا من الطريق معًا، ثم سلك كل منهما سبيله" (الرواية، ص ٢٧).

في هذا الصدد، يقول نزار محمد عثمان: "هكذا في منتهى البساطة، خلافًا لما يُعرف عن السودانيين، لا سيما أهل الريف" (نزار محمد عثمان، من مقال "موسم الهجرة إلى الشمال"، شبكة المشكاة الإسلامية، ١٢/٢/٢٠٠٤، الإنترنت). ويضيف: "نقطة أخرى جديرة بالاهتمام هي الروح المأساوية التي تهيمن على الرواية. فإذا كنا نبرر انتحار آن همند وإيزابيلا سيمور وشيلا غرينوود باعتباره أمرًا شائعًا في أوروبا، فما الذي يمكن أن يبرر انتحار مصطفى سعيد، وانتحار راوي القصة، ثم قتل مصطفى لجين مورس وقتل حسنة لود الريس وانتحارها بعد ذلك؟ لا شك أن هذا التوتر المأساوي لا يمثل البيئة السودانية، بل هو انعكاس لقراءات الطيب صالح في الأدب الإنجليزي المليء بالمأساة" (المصدر السابق).

ويتابع قائلًا: "نقطة أخرى تتعلق بالإباحية المطلقة التي تظهر في سلوك بنت مجذوب، وشربها للخمر، وتدخينها للسجائر، وكذلك إباحية ود الريس وجَدّ الراوي الذي يضحك ويتحدث بحديث ماجن ويشارك فيه، فهل تعكس هذه

السلوكيات أخلاق الريف الشمالي؟ الإجابة هي لا، وألف لا. فهي إن وُجدت، فتكون في حالات شاذة لأشخاص معدودين، ولكن بهذه النسبة وبهذه الطريقة، حيث لا يشغل أهل القرية سوى الجنس، فهذا غير معقول" (المصدر السابق).

ولذلك، مُنعت الرواية في السودان لعدة سنوات، وأُجريت محاكمة أدبية لكاتبها في الخرطوم عام ١٩٨٧، نظَّمها اتحاد الكتاب، حيث اتُّهم بأنه اقتحم المناطق المحظورة وأدخل الجنس إلى القرية. وكان رد الكاتب أنه كان ينقل واقعًا.

في مقاله الذي نُشر في مجلة "حرف ديجيتال" الإلكترونية بتاريخ ٢٤ فبراير ٢٠٢٤ تحت عنوان "بيضة الديك.. الطيب صالح.. كيف تصبح 'عبقريًا' برواية واحدة متوسطة"، يقدم عبد الوهاب داوود مجموعة من المآخذ على رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي السوداني الطيب صالح، مركّزًا على النقاط التالية:

العبقرية المزعومة:

ينتقد داوود الوصف المبالغ فيه للطبيب صالح كـ"عبقري الرواية العربية"، معتبراً أن هذا اللقب لا يتناسب مع جودة رواياته، خصوصاً "موسم الهجرة إلى الشمال"، التي يرى أنها رواية متوسطة الجودة.

تمجيد الاستعمار:

يشير داوود إلى أن الرواية تمجد الاستعمار بطريقة غير مباشرة من خلال شخصية مصطفى سعيد، الذي يستخدم النساء البريطانيات لتحقيق نوع من الانتقام والغرور الشخصي. ويعتبر داوود أن هذا يقدم صورة مضللة عن



طبيعة الاستعمار، مستشهداً برأي الروائي عبد الرحمن منيف الذي وصف الرواية أيضاً بأنها تمجد الاستعمار.

الفحولة الجنسية:

يرى داوود أن التركيز الكبير على الفحولة الجنسية لمصطفى سعيد يسيء إلى الصراع الثقافي والسياسي في الرواية، ويحولها إلى مجرد قصة تُعنى بإشباع الغرور الذكوري.

الجودة الأدبية:

ينتقد داوود بناء الرواية ولغتها، مشيراً إلى وجود ركاكة في الصياغة وعدم انسيابية في الجمل، مما يجعل النص صعب الفهم.

الأصل اللغوي للرواية:

يشكك داوود في أن الرواية كُتبت أصلاً باللغة الإنجليزية ثم تُرجمت إلى العربية، مستنداً إلى تركيب الجمل الذي يبدو أقرب للغة الإنجليزية منه للعربية، مما يؤثر على طبيعة النص وجماليته.

أثر النقاد والمبالغات النقدية:

يشير داوود إلى أن النقاد في الستينات، مثل رجاء النقاش، بالغوا في تقييمهم للطبيب صالح وروايته، مما ساهم في تضخيم مكانته الأدبية دون مبرر حقيقي.

السياق الثقافي والسياسي:

يرى داوود أن التقييمات المبالغ فيها لأعمال الطيب صالح تعود جزئيًا إلى الرغبة في تقديم منجزات ثقافية تعزز صورة المجتمعات العربية في فترة ما بعد الاستعمار.

باختصار، يقدم عبد الوهاب داوود نقدًا شاملًا لرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" من زوايا متعددة، معتبراً أن الرواية نالت تقديراً يفوق قيمتها الأدبية الفعلية.

ومهما كانت المآخذ على الرواية، مبررة أو غير مبررة، من المهم ملاحظة الروائي العربي السوداني الطيب صالح قد استطاع أن يفرض نفسه على اهتمام المثقفين في الشرق والغرب برواياته، ولا سيما بروايته "موسم الهجرة إلى الشمال". ويرجع جزء من شهرة الرواية إلى زمن صدورها في سبتمبر ١٩٦٦، حيث كانت الأوضاع العربية في حالة بلبلة، ووجد الكثيرون في الرواية انعكاسًا لما يشعرون به (مجلة العربي، "وجهًا لوجه"، العدد ٥٦٠، ٢٠٠٥، مأخوذ من الإنترنت).

وفي الختام، أود أن أستشهد بكلمات صبحي غندور: "هو نموذج يجمع في شخصيته بين الوطنية السودانية والعروبة الثقافية، وبين الإسلام الحضاري وعالمية الإسلام الحر. إنه المثقف العربي الذي لم تحجب عنه هموم السودان والأمة العربية. لم ينخدع بتقدم الشمال الأدبي، بل رأى في الغرب ساحة لإبداع الفكر العربي المستنير. إنه الطيب صالح، الذي يجمع في شخصيته وكتابته بين الكلمة الطيبة والعمل الصالح" (صبحي غندور، مجلة الحوار (HTTP://WWW.ALHEWAR.ORG .

AL - TAYEB SALEH OCTOBER 1995 HTM)

مراجع المقال:

١. الدكتور حمدي السكوت، الرواية العربية بيلوغرافيا ومدخل نقدي (١٨٦٥-١٩٩٥) ، المجلد الأول مقدمات ومدخل نقدي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، القاهرة ٢٠٠٠م.
٢. الطيب صالح: "رواية موسم الهجرة إلى الشمال " ، الطبعة الرابعة عشرة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.
٣. محمد شاهين: الطيب صالح: حوارات في الفكر والثقافة والإبداع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سنة النشر ٢٠٢٣.
٤. محمد مصطفى بدوي: تاريخ موجز للأدب العربي الحديث (باللغة الإنجليزية) مطبعة كلاريندون، اكسفورد، ١٩٩٣م.
٥. مجلة العربي أعداد ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٤ لعام ٢٠٠٥م.
٦. بعض المواقع الانترنيتية.
- https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/8866
- https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/8650
- https://www.haarf.org/191

.... ❖❖❖❖❖ ....

دور اللغة العربية في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية

صابر علي شيخ [*]

توطئة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد! فإن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمدية ومعجزاته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم هو أول أصل من أصول وحدة الأمة في دينها وهويتها ولسانِها، وقد وصفه الله تعالى بالمبين، حيث قال: (وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (سورة النحل: ١٠٣)، وإن خدمة هذا الكتاب الذي نزل باللسان العربيِّ المبين من أول الأهداف التي يتطلع إليها مَنْ استنارَ قلبُه بنور الإيمان.

تعتبر الهوية الإسلامية بجوانبها الدينية واللغوية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية، من أهم عوامل جمع كلمة المسلمين، وتوحيد رأيتهم، فمنذ فجر الإسلام لم يعرف المسلمون عاملا مشتركا أعظم من الهوية الإسلامية، فقد كانوا أصحاب حضارة واحدة رغم اختلاف أحوالهم عروبة وعجمة، وعلما وجهلا، وغنى وفقرا.

أما دور اللغة العربية في تحقيق الصفة الإسلامية فهي أن اللغة ليست مجرد أصوات وألفاظ، ولكن اللغة لسان ثقافة وسياج هوية. فنشر اللغة سيتبعه بالضرورة نشرُ الثقافة الإسلامية التي ستضيئ الطريق أمام الشعوب الإسلامية الباحثة عن هويتها الآن بشكل واضح ظاهر، خصوصا بعد تيارات الهويات البديلة التي فرضت عليها القومية والأممية والاشتراكية وغيرها.

[*] الباحث في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة العالية، كولكاتا، الهند

أما وحدة هذه الأمة فقد تحققت في القديم من وحدة الدين ووحدة اللسان ومن ثم وحدة الثقافة والفكر ووحدة التصور والشعور والوجدان.

نحاول في هذا المقال تسليط الضوء على إبراز عالمية اللغة العربية ودورها المحوري في الحفاظ على الهوية الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية، والتحديات التي تواجهها اللغة العربية وسبل معالجتها.

أولا: طبيعة اللغة ووظيفتها الاجتماعية.

تنبّه ابن جني رحمه الله إلى طبيعة اللغة، ووضع لها حدا، حيث قال في باب القول على اللغة وما هي: "أما حدها فإنها أصوات يعبر كل قوم عن أغراضها.[١]

وقد علق الدكتور محمود فهمي حجازي[٢]. على هذا التعريف بقوله: "هذا تعريف دقيق، يذكر كثير من الجوانب المميزة للغة أكد ابن جني أولا، الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر. وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم.[٣] وقد ذهب الباحثون المحدثون إلى تعريفات مختلفة للغة العربية كلها تؤكد الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية لها، وتنوع البيئة اللغوية من مجتمع إنساني لآخر، ومن هؤلاء اللغويين:

١- فردينان دي سوسير [٤] Ferdinand De Saussureعرف اللغة أنها نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار [٥]، أي أن لها مسارا محددا من الرموز المكتوبة والإشارات التي تقابل الأصوات المنطوقة.

---

[١] ابن جني: الخصائص (٣٣/١).

[٢] أستاذ علم اللغة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٩٩م.

[٣] محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، الجزء الأول (ص: ٩)

٤ هو عالم لغوي سويسري شهير ويعرف بأنه الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات فيما عده كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث وتوفي سنة ١٩١٣م.

-2جورج ليونارد تراجر[٦] George Leonard Trager عرف اللغة بأنها نظام من الرموز الاجتماعية المنطوقة المتعارف عليها، وهي رموز صوتية، يتفاعل بواسطتها أفراد مجتمع ما في ضوء الأشكال الثقافية الكلية عندهم.[٧]

فالتفاعل(INTARACTION) هنا هو الهدف، والتفاعل كما نعلم درجة أعلى من الاتصال، لأنه لا يحقق المشاركة بمجموعة من الحواس، كالرؤية والسمع، فإذا كان الاتصال مجرد نقل فكرة من طرف إلى آخر، فإن التفاعل يعني المشاركة الوجدانية، وهي تمثل درجة أكبر من الاتصال ويتعدى حدوده لذلك نستطيع أن نقول بأنّ اللغة حديثا هي نظام متكامل مكوّن من مجموعة عناصر، هي المكوّنات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والرمزية المعبّرة عن فكر الإنسان، وحالته النفسية والوجدانية، وهي مكتسبة نامية متطورة بتطور الإنسان. ولذلك يرى البعض أن اللغة تشبه الكائن الحي، فهي تتنفس وتنمو وتكبر وتترعرع وتشبّ وتشيخ، وقد تموت إذا لم تتوفر لها عوامل الديمومة والبقاء والاستمرارية، وكل ذلك مرهون بتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، فعند ما يتطور المجتمع فكريا وحضاريا وانتاجيا، تتطور اللغة والعكس، ولذلك نجد أن اللغة في البيئة البدوية من حيث استخدام الأساليب تختلف عنها في المدينة الحضارية.

إن اللغة العربية هي من أقدم اللغات وأغناها على الإطلاق، لأن أول الناس آدم عليه السلام على القول الراجح تكلم بالعربية، وذلك استنباطا من نصوص القرآن عند المفسرين والأحاديث التي جاءت عن خلق أبينا آدم عليه السلام. فقد

---

٥ فردينان دي سوسير: علم اللغة العام (ص: ٣٤)

٦جورج ليونارد تراجر George Leonard Trager كان عالما لغويا أمريكيا، و كان رئيسا للجمعية اللغوية الأمريكية، توفي عام ١٩٩٢م.

٧ الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: http://www.academia.edu

علم الله تعالى آدم الأسماء كلها حيث قال الله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا).[٨]

ثم جاء في الحديث أنه لما نفخ الله تعالى الروح في جسد آدم عطس آدم ثم قال الحمد لله. ثم علمه الله تعالى كيف يلقي السلام على الملائكة فحياهم بقوله السلام عليكم .[٩]

فهذان اللفظان "الحمد لله" و"السلام عليكم" عربيان أصيلان، ما يدل على عربية لسان أبينا الأول.

قال ابن حزم: ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها أولا، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالا، وأشدها اختصارا، وأكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل ما في العالم من جوهر أو عرض.[١٠]

ثانيا: عالمية اللغة العربية:

وكانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج كمالها في التعبير البليغ السامي عن جميع مقوّمات الحياة، وتربعت على ذروة المجد في الفصاحة والبلاغة والنتاج الأدبي شعرا ونثرا، وظهرت روائع انتاجها في الأشعار والأمثال والقصص والحكم والخطب، وبهذا التوصيف أستطيع أن أقول بأنها شاعت العربية على أنها لغة قومية، فوحّدت كيان العرب في شبه الجزيرة العربية، وميزتهم عن غيرهم من الشعوب والقبائل ومع نزول القرآن بهذه اللغة، ارتفع شأنها، وأصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين كافّة.

وإن للغة العربية فضلا كبيرا على نشر حضارة الفكر العربي الإسلامي، وتقدم العلوم والفنون المتنوعة والآداب المختلفة، ولأجل القرآن الخالد ظهرت

---

٨ سورة البقرة، الآية: ٣١.

٩ أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، والبزار (٨٤٧٨)، بسند صحيح.

١٠ ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، المجلد الأول (ص: ٣٥٤).

علوم القرآن كلها، كما ظهرت علوم اللغة والنحو والصرف، والبلاغة التي كانت أساسا لتفسير نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ليسهل فهمها وتبين مقاصدها، ومن أجله أيضا ظهرت علوم منهجية، مثل علوم التاريخ والأخبار والأسانيد وغيرها، كما تقدمت تطبيقا لتعاليم القرآن والحديث علوم كثيرة، مثل الرحلات والجغرافيا والسير، واستحدثت علوم الطب والكيمياء والاجتماع وعلوم أخرى تابعة لدراسة القرآن والحديث، مثل التجويد والتلاوة والدراية والرواية إلى جانب علوم عديدة إسلامية.[١١] وبهذا التوصيف انتقلت اللغة العربية من القومية القُطرية إلى الكونية العالمية، ولنا أن نتأمل في هذه الآيات القرآنية (وَمَا أرْسَلْنَاك إلّا رَحمَةً لِّلعالمِيْنَ).[١٢] وقوله تعالى: (وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيْرًا وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُوْنَ) .[١٣]

وقوله سبحانه تعالى: (وَأرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُوْلًا) .[١٤]

ولأسرار وحكم بالغة يعلمها خالق البشر، حيث اختار الله سبحانه وتعالى هذه اللغة وعاء لكتابه الخالد، كما أشار إليه قوله (وإنَّهُ لَتَنزِيلُ ربِّ الْعَالَمِينَ❖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأمِينُ❖ علَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَربِيٍ مُبِينٍ).[١٥]

كل هذه الآيات تشير إلى عالمية اللغة العربية, بعد أن كانت توصف بأنها لغة قومية، وذلك بفضل انتشار الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ودخول الناس في دين الله أفواجا، الأمر الذي يحتم عليهم تعلم اللغة العربية، حتى يستطيعوا فهم دينهم الإسلامي الجديد وتعاليمه السمحة البيضاء،

١١ حسين سليمان قورة: دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية (ص:٢١ – ٣٩)
١٢ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
١٣ سورة سباء، الآية: ٢٨.
١٤ سورة النساء، الآية: ٧٩.
١٥ سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

ونستنبط عالمية اللغة العربية من خلال ربط دلالة الآيات بعضها ببعض، فكل نبي أو رسول جاء بلسان قومه، وهو مخصوص في زمان ومكان محددين، إلا رسول الله محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول العالمين، الذي جاء بلسان العالمين، فكان رحمة للعالمين، وأرسل للناس كافة، فالزمان والمكان مفتوح لا نهاية له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن اللغة العربية تتجاوز الحدود والسدود والقيود، والأجناس والأعراق والألوان، للزومها أصلا لأداء المناسك الدينية، كالصلاة التي لا تصح إلا بتلاوة القرآن، وتلاوة القرآن لا تصح إلا باللغة العربية ويتضح من هذا مدى حيوية اللغة العربية، معظم طاقتها، ولما تمتاز به من قوة بيانها، وأصالة ألفاظها وأصواتها، وموسيقى كلماتها، ووفرة مفرداتها، وجمّة معانيها.

تقول عائشة بنت الشاطئ: "ليست اللغة العربية كمجرد مادة يتعلمها التلميذ، ويؤدي الامتحان فيها بمستوى أو بآخر ولكنها مجلى أصالته ولسان قوميّته الذي يصله بتاريخ أمته وتراث آبائه وأجداده، ويتجاوب به فكريا مع أبناء وطنه..."[١٦]..

ولما كانت العلوم الإسلامية كلها تقوم على المبادئ القرآنية والسُنّة النبوية فلا بدّ أن نغترفها من مناهلها الفيّاضة الأصلية، من النصوص القرآنية والسنة النبوية، فلا يتحقّق هذا الهدف المنشود إلاّ عن طريق اللغة العربية التي هي وعاؤهما الأصلي، وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن وجدنا أن اللغة العربية هي مركز الانطلاق إلى رياض القرآن، إذ جاء فيه (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

---

١٦ عائشة بنت الشاطئ: لغتنا والحياة، ط. الثانية، عام ١٩٩١م، دار المعارف، القاهرة (ص١٩٢)

تَعْقِلُوْنَ).[١٧] وأيضا (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ).[١٨] و قال أيضا (أفَلَا يَتَدَبَّرُوْنَ الْقُرْآنَ أمْ على قُلُوْبٍ أَقْفَالُهَا).[١٩]

لا يخفى على ذي لبّ ما للغة العربية من أهمية عظمى، في كونها لغة كتاب الله العزيز والسنة النبوية المطهرة، وكونها جزءا من ديننا الحنيف، بل لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأ القرآن إلا بالعربية، وقراءة القرآن عبادة وركن من أركان الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام.

وإن خدمة كتاب الله العزيز والحديث النبوي الشريف الّذَين نزلا باللسان العربي المبين، من أول الأهداف التي يتطلع إليها من استنار قلبه بنور الإيمان. ولهذا عني كثير من العلماء في مختلف العصور بتناول أسلوبه بالدراسات اللغوية بكل مستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية، والأسلوبية والكتابية. فتنورت دراساتهم بأنوار الكتاب والسنة، وتعطرت بنفحات شذا أسرارهما، إذ هما في مضمار الفصاحة والبلاغة يعتلي الذروة، ويتربع على القمة. وهما المرجع الصادق الذي يرجع إليه العلماء لمعرفة الصواب والخطأ في قواعدهم، وقضاياهم التي تحدد مصير وحدة الأمة الإسلامية.

إن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمدية ومعجزاته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ، وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي، بل إن اعجاز القرآن منوط باللغة العربية، وإن اللغة العربية بطاقتها و غزارتها وثراء تراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم والترابط بين الشعوب المسلمة في كل زمان ومكان، وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية

---

١٧ سورة يوسف، الآية: ٢.

١٨ سورة فصلت، الآية: ٣.

١٩ سورة محمد، الآية: ٢٤.

والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها، وإن الوحدة الفكرية بين المسلمين كافة، تؤدي دورا مهما في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة التي يمر بها العلم العربي والإسلامي من تمزق وتشتت، وتنافر وتناحر، والاقتتال بين الطوائف والأحزاب والجماعات للشعب الواحد، هذا الدور الريادي الذي يعيد الأمة جمعاء إلى جادة الصواب، من خلال تمسكها بلغتها الرصينة وقواعدها الأصيلة التي أخذت عن العرب الأقحاح أرباب اللغة الذين نقلوا لنا اللغة عن طريق الكثرة الكاثرة من كلام العرب قديما وحديثا.

إن دراسة القرآن والحديث تحتاج إلى اللغة العربية لما فيها من معاني سامية، ومفاهيم أصلية. وإذا حاولنا أن نقدم معاني القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية مترجمة إلى اللغات الأجنبية، فسوف تعوزها روح الأصلية، وتسلبها قيمتها التعبيرية والوجدانية، بل وستفقد النصوص المنوط بها إعجاز القرآن وروعتها، وكذلك غزارة المعاني التي تمتاز بها اللغة العربية. ولذلك صدق من قال: " إذا كان التدريس في قارة الهند باللغة العربية، نشأ فيها المفسرون والمحدثون، وإذا صار التدريس باللغة المحلية نشأ فيها المؤولون ومنكرو الحديث".

ثالثا: التحديات التي تواجهها اللغة العربية:

لا شك أن اللغة العربية قد تعرضت إلى هجمة شرسة عبر العصور ومر الدهور من أعداء العرب والمسلمين، فقد حاول الاستعمار تحطيم اللغة العربية والقضاء عليها بشتى الوسائل والطرق لأنها هي الوسيلة التي تحل لواء الإسلام فكان يريد هدم الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية، كما تعرضت اللغة العربية إلى كرة خطيرة أخرى من المستغربين من أبناء جلدتها في أوائل القرن العشرين، فقد دعوا إلى استخدام اللهجة العامية بدلا من الفصحى، كما دعوا أيضا إلى استبدال الحروف الهجائية العربية بالحروف اللاتينية، ولم يقفوا عند هذا الحد بل دعوا إلى استخدام اللغات الحية بالمدارس والمعاهد كالإنجليزية والفرنسية بدلا من العربية، وكانت دعاوي المستغربين من أبنائها أن اللغة

العربية لا تستطيع استيعاب العلوم المتنوعة والفنون المتفرقة والمصطلحات العلمية الحديثة.

وفي أواخر التسعينيات من القرن العشرين ومع ظهور ما يسمى بعصر العولمة (Globalization) بدأت تظهر تحديات جديدة للغة العربية لكنها لا تقل خطرا عن التحديات السابقة بل ربما تفوق عليها.

فإن التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية كبيرة شديدة، حيث ترتكز على استهداف الأمة الإسلامية في لسانها ولغتها وهويتها وتراثها الفكري، من خلال الغزو الفكري والثقافي الذي أصبح معلنا لا يخفى على ذي بصيرة، وهو واضح أمام كل من كان له قلب سليم أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد تعرضت كثير من لغات العالم خاصة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية للغزو والاجتياح والانزياح أمام قوة اللغات الأوروبية بفعل التمدد الاستعماري التوسعي، ممثلة باللغة الإنجليزية والفرنسية على وجه الخصوص، وأمام هذا الاجتياح تهاوت لغات كثيرة، بل اندثرت وتلاشت وماتت. وقد قدرتها منظمة اليونسكو بأكثر من ثلاث مائة لغة. كما ضعفت لغات أخرى ومنها اللغة العربية التي زحف بعض أبنائها لكتابة الحروف اللاتينية على واجهة بعض المحلات التجارية، وكتابة أسماء المدن بالحروف اللاتينية في العالم العربي، بل ولجأ بعض الناس من أبناء عروبتنا إلى استخدام الحروف اللاتينية ونطقها باللغة العربية في المحادثات والمنشورات والتعليقات عبر وسائل التواصل الاجتماعي المعاصرة وتطبيقاتها المختلفة، مما يشكل ظاهرة مريبة لا تليق بأمة تحرص على لغتها أن تكون نقية خالصة مستقلة بذاتها وهويتها، وبالرغم من هذا الانزلاق والانحراف إلا أن اللغة العربية حافظت على نفسها من الضياع أو التلاشي والذوبان أمام الغزو الفكري والثقافي. كما استطاعت اللغة العربية أن تواكب كل جديد، فانفتحت على ثقافات العالم المختلفة والعلوم والفنون المتنوعة.

وبذلك فهي تمتلك مقومات الصحة والقوة والقابلية للتطور، لاستيعاب المعارف والعلوم والفنون كافة، لذلك وجدنا كثيرا من العلماء غير العرب كالفرس والترك والروم الذين استخدموا اللغة العربية في العلوم كافة كالطب والرياضيات والفلكيات. ولم يقتصر الأمر على علوم الدين واللغة. لأن مفهوم العربية وثقافتها تجاوزت الجنس العربي إلى ثقافة الوحدة الإسلامية، وهي الدائرة الأوسع في تجمعها وعددها، ومن هؤلاء العلماء سيبويه والجرجاني والزمخشري والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن خلدون وابن رشد والسيوطي والجاحظ وغيرهم.[٢٠]

ما أحسن ما أنشد شاعر النيل وشاعر المجتمع حافظ إبراهيم بك:

رَمَوني بِعُقمٍ في الشَبابِ وَلَيتَني ... عَقِمتُ فَلَم أَجزَع لِقَولِ عُداتي

وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِد لِعَرائِسي ... رِجالاً وَأَكفاءً وَأَدتُ بَناتي

وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظاً وَغايَةً ... وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ

فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ ... وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ

أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ ... فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني ... وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أَساتي

فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني ... أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحينَ وَفاتي

أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِزّاً وَمَنعَةً ... وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ

أَتَوا أَهلَهُم بِالمُعجِزاتِ تَفَنُّناً ... فَيا لَيتَكُم تَأتونَ بِالكَلِماتِ.

فلا جرم أن كتاب الله العزيز والحديث الشريف كانت لهما آثار سامية على اللغة العربية وعلومها، لولا القرآن الكريم والحديث الشريف لضاعت العربية الفصحى.[٢١] بل لم يمر على العربية حدث أعظم من الإسلام ونزول

---

٢٠ القول للدكتور نايف خرم، الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية.

٢١ الدكتور عبد العال مكرم: القرآن وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، بحيث جعل هذا الحدثُ اللغةَ العربية لغةً مرغوباً فيها، لا لِنفوذها السياسي، ولا لِسَبْقها الحضاري، وإنما لمكانتها الدينية، إذ تسامى أهل البلاد المفتوحة إلى تعلم العربية والعناية بها من أجل تحقيق العبادة، ومن أجل تلاوة القرآن، ومن أجل فهم النصوص الشرعية، فكان جزاء ذلك نشوء علوم اللغة العربية من نحو وصرف ولغة ومعجم وأدب وبلاغة، كل ذلك وجد ليقوم عليه دروس اللغة العربية قويّة، وصار هذا الأمر في حسّ المسلم عقيدةً وواجبا شرعيا.[٢٢] كما كانت للحديث النبوي الشريف آثار رائعة في الدراسات اللغوية والأدبية.[٢٣] وكان لشريعة الإسلام الغراء دور كبير في انتشار اللسان العربي. ومع ذلك فإن فهم الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة بات يتوقف على مدى الإحاطة باللغة العربية وعلومها، من المبادئ الأولية التي يتلقنها متعلمو اللغة العربية عامة والنحو خاصة في دروس الأجرومية الأولى أن ثمرته هي صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي، وفهم القرآن الكريم والحديث النبوي فهما صحيحا، اللذين هما أصل الشريعة الإسلامية، وعليها مدارها.[٢٤] وهو السر في استكشاف الأحكام والحِكم، وارتشافهما من نبعَيهما الصافيَين، إذ لا ينضبان، وذلك سار في تعاريج علوم الشريعة أو معظمهما.

يقول الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر: "إذا كانت اللغة هي خزانة الفكر الإنساني، فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني، وعن النفوس الإنسانية ما يعجز عنه سائر اللغات، لأنها صفيت منذ

---

٢٢ حسن تمام: مقالات في اللغة والتربية (١/١٢-١٣).

٢٣ الدكتور محمد ضاري حمادي: الحديث وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الطبعة الأولى،١٩٨٢م، منشورات اللجنة العربية، بغداد، العراق (ص:١٨٧)

٢٤ محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، الطبعة الرابعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر عام ٢٠٠٨م، (ص: ٢٤٣)

الجاهلية الأولى، المغرقة في القدم من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية، ومن العلل الغالبة.

حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله بن إبراهيم خليل الرحمن أخذها، وزادها نصاعة وبراعة وكرما، وأسلمها إلى أبنائه من العرب، وهو على الحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم، فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة مصفاة مبرأة، حتى أظل زمان نبي لا ينطق عن الهوى، فأنزل الله بها كتابه بلسان عربي مبين، بلا رمز مبني على الخرافات والأوهام، ولا ادعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا.[٢٥]

ولقد تحدى هذا الكتاب المبين قوما ملكوا ناصية الفصاحة، وفنون الكلام، أن يأتوا بسورة من مثله فأبوا، وبهرتهم آياته الساحرة من حيث البيان حتى قال الوليد بن المغيرة أحد رؤساء مكة المكرمة حين وقته لما سمع بعض آيات الكتاب العزيز، يصف فيه القرآن الكريم وبلاغته، وهي كناية عن عذوبة ألفاظ القرآن الكريم وجزالتها وحلاوتها وقوة تركيبه وسمو معانيه، وأخذه بمجامع القلوب وعلوه على كل كلام.

جاء ذلك في كتب السيرة والسنة، فمن ذلك ما رواه الحاكم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا! قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله، ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن

---

٢٥ أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط. الثالثة، ٢٠٠٥م، مصر (ص: ٤٣٦)

أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: (إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) يأثره عن غيره، فنزلت الآية: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا...) (سورة المدثر:١١).[٢٦] كيف لا؟ وهو أحق بها وأهلها، والحق ما شهد به الأعداء! إنه كان بإزاء حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضا طريا. وغيره من الكلام. ولو بلغ في الجودة والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد، ويعادى إذا أعيد. لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد.[٢٧] بل قال الإمام الزهري: "إعادة الحديث أشد من الصخر".[٢٨]

وقال سهل بن عبد الله: " لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أن ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة".[٢٩] قال بعض العلماء: "ما جهل الناس، ولا اختلفوا، إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس...... ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا

---

٢٦ مستدرك الحاكم: وقال سنده على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي، السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٦١).

٢٧ السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/٢٤٤)

٢٨ الجاحظ: البيان والتبيين (١/١٠٤)، ابن قتيبة الدينوري: عيون لأخبار (١/١٧٩)

٢٩ الواحدي: البسيط في التفسير (١/٢٣٦-٢٣٧)

على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال، لا على مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح".[٣٠]

الجهل بأساليب اللغة العربية نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها، وكان ذلك سببا في إحداث ما لا يعرفه الأولون.[٣١] وقال حبر الأمة الإمام الحسن البصري التابعي: عندما سئل عن سبب الضلال: "إنما أهلكتهم العجمة".[٣٢]

رابعا: العناية باللغة ضرورة للحفاظ على هوية الأمة ووحدتها.

الحفاظ على الهوية بكل ما تشتمل عليه من دين ولغة وتاريخ وثقافة وعادات وتقاليد يعني الحفاظ على الذات من الذوبان في التيارات الوافدة علينا، والعولمة قد تجر إلى ذوبان الخصوصية والانتقال من الخاص إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي، ومن المحدود إلى الشامل ومن غير المتعين إلى المتعين. وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الهوية اتجاها متقاطبا كليا مع مفهوم الشمولية والعمومية.

فالهوية انتقال من العام إلى الخاص ومن الشامل إلى المحدود ومن غير المتعين إلى المتعين. فمفهوم الهوية يبحث عن التمايز والتباين والمجسد والمشخص والمتفرد والمعين، أما العولمة فهي بحث لا ينقطع عن العام والشامل والمجرد والمتجانس واللا محدود.[٣٣]

---

٣٠ السيوطي: صون المنطق والكلام (ص: ١٥)، ونسبت إلى الإمام الشافعي، والصواب أنها ليست له. انظر: سير أعلام النبلاء (٧٤/١٠)

٣١ الشاطبي: الاعتصام (٢/٢٩٣-٣٠٢).

٣٢ الشاطبي: الاعتصام (٢/٨٠٥).

٣٣ الدكتور علي وطفة: تصدعات الهوية وعزائمها قراءة في جدل الهوية والعولمة (ص: ١٠٥).

ولما تحوزه اللغة من أهمية كبرى في الحفاظ على الهوية للحضارة العربية، لم يستطع أحد من الباحثين رغم اختلاف توجهاتهم أن يسقطها من أركان الهوية، فالنهضة الحضارية انطلقت في القرن التاسع عشر مستلهمة الفيض الروحي، فأقامت تصورا للهوية عناصر الدين واللغة والتأويل وهذا التأويل مداره النص والتاريخ. وامتد هذا الاستلهام بدفقه على مدى القرن العشرين حتى أصبحت تلك الثلاثية عقدا جامعا للصحوة مهما اختلفت النخل والأجناس، وانعطف على ذلك التصور لأركان الهوية تصور قومي، أول كانت دعائمه النسب واللغة والدين والنسب هو الارتباط السلالي المعروف بالعرق أو الجنس ثم تبلور تصور آخر أبقى على النسب واللغة ولكنه استبدل بالدين الانتماء إلى التاريخ حتى يقحم في الفلسفة النضالية أبناء كل المعتقدات، وإذا باللغة هي الركن الوحيد القار الذي يتوافر بين النظريات الثلاث.[٣٤]

كانت اللغة إحدى مكونات الهوية لأي حضارة إنسانية، فإن اللغة العربية دون شك من أهم مكونات الحضارة العربية الإسلامية، فمنذ فجر تاريخ هذه اللغة العربية لم ينقطع حتى الآن استعمالها في الألسن الناطقة بالضاد، وساعد على استمرار هذا الوجود، ذلك التراث الأدبي العظيم وفي قمته القرآن العظيم، تلكم المعجزة البيانية الخالدة التي كفلت للفصحى طول العمر، كما منحتها استقرار في الصورة اللفظية والتعبيرية على مدى القرون.[٣٥]

ومن هنا تتضح أهمية الحفاظ عليها والعناية بها، فهي رابطة من أقوى الروابط بين أبناء الأمة الإسلامية، ولولا اللغة العربية ما تواصل عجمي بعربي، ولا عربي بعجمي، ولولاها ما انتفع العجمي بالتراث العربي ولا العربي بالتراث

---

٣٤ الدكتور عبد السلام المسدّي: الهوية اللغوية ورياح السياسة (ص: ٨٣)

٣٥ هنري فليش: العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، دار المشرق، بيروت، لبنان (ص: ٩)

العجمي، فهي جامعة الأمة الإسلامية في وعاء الوحي السماوي وحافظة الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها.

ومن ناحية أخرى فإن نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية في مقدمة الوسائل الفعالة التي تساعد على إيجاد التقارب الفكري بين أبناء الأمة الإسلامية، لأنها تحمل في طياتها القيم الروحية التي يمنحها الإسلام لكل مسلم، كما تكمن فيها روح الألفة والمودة والأخوة التي تربط بين قلوب المسلمين برباط وثيق، ولهذا قال بعض المحللين أن اختلاف اللغة كان هو من أهم الأسباب التي أدت إلى النزاعات بين باكستان وبنغلاديش حتى انفصلت واستقلت بنغلاديش عن باكستان.

ومن المعروف أن باكستان استقلت عن الهند عام ١٩٤٧م، ولأن استقلالها كان مصبوغا بصبغة إسلامية، فقد عنيت بالعلوم الإسلامية واللغة العربية منذ بداية الاستقلال، وكيف تتحقق لها هويتها التي استقلت على أساسها دون أن تستعيد اللسان العربي الذي عمل الاستعمار الإنجليزي على طرده من شبه القارة الهندية أو حصره في زوايا ضيقة؟

ولعل هذا هو ما جعل باكستان التي كانت تتكون عند قيامها من باكستان وبنغلاديش معا، تتعامل منذ قيامها مع اللغة العربية لأنها قضية هوية، فمنذ أن استقلت باكستان كان في نية زعمائها أن يجعلوا اللغة العربية لغة البلاد الثانية، فأعلن قائد باكستان ومؤسسها محمد علي جناح: "إن اللغة الأردية هي اللغة الرسمية لباكستان، ويجب على الباكستانيين أن يتعلموا اللغة العربية حتى يتمكنوا جميعهم من التكلم والتعلم بها مستقلا".[٣٦]

وقد أشار إلى ذلك الدكتور إحسان حقي قائلا: "وقد جاء يوم على باكستان في أول عهد استقلالها، كادت اللغة العربية فيها تكون لغة البلاد

---

٣٦ إبراهيم سمير عبد الحميد: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان(ص: ٧٩)

الرسمية، لو لا أن وقف في هذا السبيل بعض قصيري البصر والبصارة أو بعض أصحاب الأغراض. ولو تمت هذه الخطوة لما كانت وجدت القضية البنغالية، ولما كان أعداء الإسلام استطاعوا أن يقضوا على الوحدة الباكستانية بسبب اختلاف اللغة بين الأردية والبنغالية، ولكنها خطة مرسومة لم يتنبه لها الذين حاربوا فكر تعريب البلاد".[٣٧]

ونظرا إلى هوية باكستان اللغوية والثقافية، أوصت ندوة اللغة العربية الوطنية بجامعة بنجاب، لاهور (٣١ مارس ١٩٨٨م) بجعل اللغة العربية لغة باكستان الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية.[٣٨]

ففي أكثر أنحاء باكستان توجد اللغة الأردية وهي اللغة الرسمية فيها، أما في بنغلاديش فمعظم سكانها لا يتكلمون الأردية ولا يفهمونها حق الفهم، ولا يقرؤونها ولا يكتبون بها. فنشأ اختلاف التضاد والشقاق، حتى شبّت نيران الحرب بينهم بناء على اللغة، فإن كانت في باكستان اللغة العربية، هي اللغة الرسمية ما وصلت النتيجة إلى ما وصلت، والله أعلم وعلمه أكمل وأتم.

وقد منح الله سبحانه تعالى المسلمين هذه اللغة لتحقيق التفاهم والترابط بينهم في إنحاء العالم والأرض كلها. بحيث يسعى كل مسلم أن يقرأها ويفهمها، بل ويتحدث بها، وإنها تعد الوسيلة الأولى لنشر الدعوة الإسلامية، ونلمس ونحس ذلك خلال زيارة بيت الله الحرام حجا و عمرةً، حيث نلتقي بأناس بأجناس شتى، وكلهم يتكلمون العربية لأداء المناسك والشعائر الإسلامية ومن أعظم ما قيل في اللغة إن اللغة لغز كبير حار العلماء في حله منذ آلاف السنين، و أغلب الظن أنهم ما ظفروا من ذلك إلا من بالقليل القليل حتى اليوم،

---

٣٧ ينظر: الدكتور إحسان حقي: باكستان ماضيها وحاضرها(ص: ٣٣٤). وهذا رأي المؤلف فحسب ولا أتفق مع رأيه تماما.

٣٨ الدكتور مظهر معين: حاضر اللغة العربية(ص:٣٢٤)

إن اللغة بحق سر الله في خلقه من بني البشر حيث قال الله عز وجل (الرَّحْمَنُ ❖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ❖ خَلَقَ الْإِنسَانَ❖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ❖ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ❖ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ❖ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ❖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ❖ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ❖ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) (سورة الرحمن: الآية ١- ١٠)

قال بعض المفسرين: "ووضع الميزان أي: العدل، عن مجاهد وقتادة والسدي، أي وضع في الأرض العدل الذي أمر به، يقال: وضع الله الشريعة. ووضع فلان كذا أي ألقاه، وقيل: على هذا الميزان: القرآن، لأن فيه بيان ما يحتاج إليه وهو قول الحسين بن الفضل.

وقال الحسن وقتادة والضحاك: هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض، وهو خبر بمعنى الأمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ والقسط العدل. وقيل: هو الحكم.[٣٩]

فالميزان هو العدل والقسط والمساواة ولا يقام الميزان في الأنام إلا بلسان البيان وهو لسان القرآن حيث قال الله جل شانه: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ).

ومن هنا يمكن أن نقول إن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي، بل إن إعجاز القرآن منوط باللغة العربية، وإن اللغة العربية بغزارتها وطاقتها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم بين الشعوب المسلمة في كل مكان، وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها، وأن الوحدة الفكرية بين المسلمين تؤدي دورا مهما في هذه المرحلة الحرجة والخطيرة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي في توحيد الجهود، ورص الصفوف، وتقوية شوكة المسلمين، ليهابها الأعداء والطامعون في

---

٣٩ تفسير الآية نفسها من سورة الرحمن، في تفسير القرطبي.

كل مكان وقد كانت ثمرة التمسك باللسان العربي والحفاظ على اللغة العربية واضحة في وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها، معبرة عن سر قوتها المستمدة من كتابها المقدس، لأنها لغة ميسرة سهلة حيث قال الله تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ.[٤٠]) كما وصفه ربنا تبارك وتعالى بأنه غير ذي عوج فقال (قُرآنًا عَرَبِيًا غَيْرِ ذِيْ عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ.[٤١]) فهو يخلو عن التضارب والتناقض والتعارض في الرأي، ولا اختلال فيه بوجه من الوجوه، ولا نقص فيه، ولا في ألفاظه ولا في معانيه.[٤٢]

وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته وهو أبلغ من كلمة مستقيمة، ونزل باللغة العربية تكريما وتعظيما لهذه اللغة، ليتحقق الهدف من هذه الرسالة، وهو لعلكم تعقلون وتفهمون وتعلمون مضمون الرسالة، حيث قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ.[٤٣]) أي أنزلناه بلغتكم، كي تفهموا معانيه فهو يستنهض العقل العربي للتدبر والتفكر من جهة أخرى.[٤٤]

واللغة العربية الفصحى كما أنها الرباط الثقافي الذي ربط ولم يزل يربط بين الشعب العربي من المحيط إلى الخليج، فهي كذلك تربط بين ماضي الأمة وحاضرها، وتتميز بكثرة مفرداتها وعذوبة ألفاظها، وبأنها ليست قاصرة على العرب وحدهم فملايين المسلمين في شتى أنحاء العالم يطلبونها لارتباطها بدينهم وثقافتهم الإسلامية.

---

٤٠ سورة القمر، الآية: ٢٢.

٤١ سورة الزمر، الآية: ٢٨.

٤٢ تفسير السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٤٣ سورة يوسف: الآية ٢.

٤٤ تفسير البغوي

وإذا أردنا الحفاظ على هويتنا ووحدة أمتنا العربية الإسلامية، فعلينا أن نحافظ على لغتنا العربية لأنها قوام هذه الوحدة وهذه الهوية، لأن اللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية وما من صراع بشري إلا وينطق في جوفه صراعا لغويا حتى قيل " إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية".(٤٥)

ومن أجل ذلك عمد المستعمرون في شتى البلاد العربية إلى محاولة القضاء على اللغة العربية بكل الوسائل المكنة لأن هذا هو السبيل للسيطرة التي لم تستطع تحقيقها الجيوش الجرارة وقد عبر عن ذلك بوضوح (بينو) أحد وزراء فرنسا السابقين حيث قال: " لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية".(٤٦)

فالاستعمار كان يعتمد فيما مضى على جيوشه ومدافعه، أما الآن فإنه يعتمد على نشر لغته وثقافته وعاداته وتقاليده، وبذلك تعرضت هوية الأمة العربية لعملية تغيير واسعة النطاق، والوسيلة الأهم لتحقيق ذلك هي اللغة، فإذا ما نسي أبناء العربية لغتهم أو أهملوها، فإنهم دون شك سيكونون أسرى الحضارة التي يتكلمون بلغتها، فلن يعرفوا عاداتٍ غير عاداتها، ولا تقاليد غير تقاليدها، ولا ثقافة غير ثقافتها، وحينئذ سيصبحون مسخا مشوّها لا إلى الحضارة العربية ينتمي، ولا إلى الأخرى ينتسب.

وإن ما يحدث اليوم من إهمال مقوم من أهم مقومات وحدة الأمة والحفاظ على هويتها حدث من قبل، فابن منظور عند ما تحدث عن سبب تأليفه معجم (لسان العرب) تحدث حديث المتحسّر على ما آلت إليه اللغة العربية على ألسنة

---

٤٥ الدكتور نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، ط. عالم المعرفة، الكويت، عام ٢٠٠١م (ص:٢٢٨)

٤٦ انظر: مجموعة من الباحثين: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (ص:٢٣)

أبنائها وما آل إليه أهلها من انصراف عنها وفرحٍ بغيرها فقال " فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة.... وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحنا مردودا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهلُه بغير لغته يفخرون وصنعتُه كما صنع نوح الفُلْك وقومه منه يسخرون ".[٤٧]

الخاتمة:

وخلاصة القول إن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهر المحوري، والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية، طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى.

وتلعب اللغة دورا مزدوجا للمجتمع والفرد، فهي بالنسبة للمجتمع وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، ووصله بأفراده، وربطه بتراثه، وهي للفرد وسيلة في الاتصال بالآخرين، للحصول على حاجاته، والتنفيس عن مشاعره، ثم هي وسيلة التعلم، وقطف ثمرات قرائح الآخرين، والتأثير في أفكارهم، واتجاههم.

وإن اللغة أي لغة، تربط بين أبنائها الناطقين بها فهي جسر التواصل والترابط فيما بينهم، بها يتخاطبون و يتفاهمون، وعن طريقها يتواصلون ويترابطون، ويروون أدبهم ويعرفون تاريخهم وبخطها يحفظون تراثهم، ويخلدون مآثرهم فيعتزون ببطولاتهم وانتصاراتهم، وبهذا تحفظ اللغة العربية وحدة الأمة الإسلامية على مستوى المكان والزمان، ولا يقف الأمر عند هذا الحد فالأمم المختلفة تعمل كل واحدة منها على انتشار لغتها، وكثرة عدد الناطقين

---

٤٧ ابن منظور: لسان العرب، ط. الثالثة، عام ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت (٨/١).

بها لتحقق لنفسها نفوذا ماديا ومعنويا، ويرجع ذلك إلى ما تحوزه اللغة من أهمية كبيرة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

وإذا أردنا الحفاظ على هويتنا ووحدة أمتنا العربية الإسلامية، فعلينا أن نحافظ على لغتنا العربية لأنها قوام هذه الوحدة وهذه الهوية، لأن اللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية وما من صراع بشري إلا وينطق في جوفه صراعا لغويا حتى قيل " إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية "

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا.

مراجع البحث:

١. أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط. الثالثة، عام ٢٠٠٥م، مصر.
٢. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، عام ١٩٨٣م.
٣. الاعتصام للشاطبي، دار ابن عفان، السعودية، عام ١٩٩٦م.
٤. باكستان ماضيها وحاضرها، احسان حقي، الدار السعودية، عام ١٣٩٨هـ.
٥. البيان والتبيين للجاحظ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، عام ٢٠١٦م.
٦. تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الحديث بالمدينة الطيبة، عام ٢٠٠٢.
٧. الثقافة العربية وعصر المعلومات، الدكتور نبيل علي ط. عالم المعرفة، الكويت، عام ٢٠٠١م.
٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية بالقاهرة، عام ١٩٩٨م.
٩. حاضر اللغة العربية، الدكتور مظهر معين، أطروحة الدكتوراة في جامعة بنجاب باكستان.

١٠. الحديث وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الدكتور محمد ضاري حمادي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢م، منشورات اللجنة العربية، بغداد، العراق.
١١. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بالرياض، عام ٢٠٠٦م.
١٢. دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية، حسين سليمان قورة، دار المعارف بالقاهرة، عام ١٩٨١م.
١٣. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، دار الرسالة العالمية، بالقاهرة، عام ٢٠٠٩م.
١٤. السنية بشرح المقدمة الأجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة، الطبعة الرابعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، عام ٢٠٠٨م.
١٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٩٨٥م.
١٦. السيرة النبوية لابن هشام، دار الصحابة للتراث بطنطا، عام ٢٠٠٧م.
١٧. عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠٨م.
١٨. فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، دار الآفاق العربية، بالقاهرة، عام ١٩٨٥م.
١٩. القرآن وأثره في الدراسات النحوية، الدكتور عبد العال مكرم، دار المعارف، بالقاهرة مصر، عام ١٩٦٨م.
٢٠. لسان العرب، ابن منظور، ط. الثالثة، دار صادر، بيروت، عام ١٤١٤هـ.
٢١. اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، إبراهيم سمير عبد الحميد، دار المعارف، بالقاهرة، عام ١٩٩٦م.
٢٢. لغتنا والحياة، عائشة بنت الشاطئ، ط. الثانية، دار المعارف، القاهرة، عام ١٩٩١م.
٢٣. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بالقاهرة، عام ١٩٧٥م.
٢٤. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، عام ١٩٩٠م.
٢٥. مسند البزّار، والمنشور باسم البحر الزخّار، هو من تأليف الحافظ أبو بكر البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٩٩٥م

٢٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٩٨٨م.

٢٧. مقالات في اللغة والتربية، حسن تمام، الناشر: دار عالم الكتب، بالرياض، عام ٢٠١٥م.

٢٨. الهوية اللغوية ورياح السياسة، الدكتور عبد السلام المسدي، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠٠م.

.... ❖❖❖❖❖ ....

الوعي المجتمعي ودوره في الحد من الأمراض – دراسة تحليلية

م. غادة علي سعيد والباحث وريا لطيف عبد الله *

ملخص البحث:

يعد المرض مشكلة إنسانية تصيب الفرد وتؤثر على طبيعة المجتمع الإنتاجية، لذا فان المجتمع ملزم بإيجاد نظام صحي متكامل يحافظ فيه على صحة الأفراد ويعالجهم معالجة تؤدي بهم إلى الشفاء الكامل، ثم إرجاعهم مرة أخرى إلى عجلة الإنتاج من أجل خدمته، فمن المواضيع التي توليها المجتمعات لاسيما المتقدمة منها الكثير من الاهتمام موضوع الوعي الصحي.

تأتي أهمية هذا البحث في توضيح ماهية الوعي المجتمعي الصحي وضرورة تسليح الفرد به لاسيما جوانبه المتعلقة بالتغذية والغذاء وتجنب مواطن التلوث والعدوى، فضلاً عن التوعية الصحية داخل الأسرة وفي المؤسسات الصحية والتعليمية، فمجالات الوعي المجتمعي يمكن أن تقي الفرد من خطر الأمراض وذلك من خلال اتخاذ الإجراءات الوقائية والعلاجية.

فمن هنا جاء بحثنا لبيان دور المجتمع وأهميته في نشر الوعي الصحي، فضلاً عن الخروج بتوصيات ومقترحات تعمل على تعزيز الوعي الصحي بين أفراد المجتمع، وقد توصلنا من خلال هذا البحث الى مجموعة من النتائج ابرزها تتمثل بأن الصحة تعد الاساس الذي يقوم عليه الانسان فهي مصدر حياته لذا تعد مسؤوليته اولاً ومسؤولية المجتمع ثانياً في الحفاظ عليها ليحيا حياة سليمة ، لذلك يتوجب على المجتمع وباستمرار استحداث وسائل جديدة من أجهزة ومعدات طبية لمعالجة المرضى فضلاً عن وسائل حديثة في جانب التثقيف

* كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل

الصحي، وأيضاً لابد من وجود الكوادر المـاهرة من أطباء وممرضين .....الخ من الموظفين في المؤسسات الصحية والاهتمام بتطويرها لتؤدي دورها بشكل متكامل.

الكلمات المفتاحية للبحث : وعي مجتمعي، صحة، مرض

ثبت المحتويات

المبحث الثالث : الوعي المجتمعي المتعلق بالغذاء والتلوث البيئي

أولاً: الوعي المجتمعي المتعلق بالغذاء

ثانياً: البيئة المجتمعية والصحة

نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

ثبت المصادر والمراجع

المقدمــة:

يعد الاهتمام بالصحة عامل أساس ومؤشر جوهري لتقدم المجتمعات، فعلى الرغم من ان العلاج من الأمراض يعد جانب صحي ايجابي ومهم، لكن الوقاية من الأمراض هي الأكثر أهمية، وهنا يأتي دور المجتمع في نشر الوعي الصحي، فالتوعية الصحية تعد وسيلة هامة للحيلولة دون الإصابة بأنواع كثيرة من الأمراض، فضلاً عن انها تلعب دوراً هاماً في توعية أفراد المجتمع عن كيفية الوقاية من الأمراض وذلك عن من خلال العمل على تغيير السلوكيات والعادات غير الصحية إلى أخرى صحية، إذ اننا نلاحظ لاسيما في المجتمعات النامية ان كثير من الأسر تفتقد التوعية الصحية التثقيفية التي تحافظ من خلالها على صحة أبنائها وسلامتهم، لاسيما فئات المجتمع الفقيرة فهم الأكثر حاجة للتوعية الصحية لوقايتهم من الأمراض ، لذلك جاء بحثنا الحالي، كمحاولة لبيان ماهية الوعي المجتمعي ودوره في الوقاية من الأمراض والحد منها.

احتوى البحث على ثلاثة مباحث، تضمن المبحث الأول الإطار العام للبحث ومنهجه، وفي المبحث الثاني ركزنا على ثقافة المجتمع ودورها في نشر الوعي الصحي، وتحدثنا عن مدى فاعلية دور مؤسسات المجتمع في الوقاية من

الأمراض والحد منها، أما المبحث الثالث فقد تضمن الوعي المجتمعي المتعلق بالغذاء والتلوث البيئي، فضلاً عن ابرز نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

الإطار العام للبحث ومنهجه

أولاً: الإطار العام للبحث

١- مشكلة البحث

لما كان المرض مشكلة إنسانية تصيب الفرد وتؤثر على طبيعة المجتمع الإنتاجية، فان المجتمع ملزم بإيجاد نظام صحي متكامل يحافظ فيه على صحة الأفراد ويعالجهم معالجة تؤدي بهم إلى الشفاء الكامل، ثم إرجاعهم مرة أخرى إلى عجلة الإنتاج والخدمات الاجتماعية، وعليه من المواضيع التي توليها المجتمعات لاسيما المتقدمة منها الكثير من الاهتمام موضوع الوعي الصحي، والذي يتضمن إلمام أعضاء المجتمع بالمعلومات والحقائق الصحية مع ضرورة إحساسهم بالمسؤولية نحو صحتهم وصحة غيرهم.

ارتبط الوعي الصحي ارتباطاً وثيقاً بالثقافة الصحية للمجتمع، والذي بدوره تقع عليه مسؤولية نشر الوعي الصحي بين جميع فئاته، فالوعي المجتمعي الصحي يعني حث الناس على تبنّي نمط حياة وممارسات صحية

سليمة، من أجل رفع المستوى الصحي، والحد من انتشار الأمراض، وثقافة المجتمع الصحية تحقق هذا الهدف بنشر المفاهيم الصحية السليمة، وتعريف الناس بأخطار الأمراض، وإرشادهم إلى طرق الوقاية منها، ويتم ذلك بوسائل مختلفة، كالبرامج الصحية التوعوية والمحاضرات والندوات وتوزيع النشرات الصحية فضلاً عن الصحف والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام.

ان التغير الاجتماعي الذي تشهده المجتمعات المعاصرة يشكل عاملاً بارزاً في نشوء أمراض العصر الناتجة عن التقدم العلمي والتكنولوجي، إذ تتزايد حالات الوفاة بأمراض العصر، فمن هنا جاء اختيارنا لمشكلة البحث إذ اننا نلتمس من خلال دراستنا مدى فاعلية دور المجتمع في الوقاية من الأمراض والحد منها وكيفية توعية المجتمع لأفراده في تحسين صحتهم العامة، وتجنب العديد من مختلف الأمراض.

٢- أهمية البحث

١- اهمية نظرية : وتتمثل بان نتائج بحثنا يمكن ان تشكل إضافة علمية الى حقل علم الاجتماع الطبي.

٢- اهمية ميدانية: النتائج والتوصيات التي سيخرج بها هذا البحث يمكن ان تستفاد منها مؤسسات المجتمع الصحية.

٣- أهداف البحث

يهدف البحث إلى:-

١. بيان دور المجتمع وأهميته(مؤسسات صحية، مدارس، أسرة....) في نشر الوعي الصحي والذي من شأنه أن يقي أفراد المجتمع من الأمراض.

٢. الخروج بتوصيات ومقترحات تعمل على تعزيز الوعي الصحي بين أفراد المجتمع.

ثانياً: منهج البحث

في كل بحث أو دراسة يختار الباحث المنهج الذي يتلائم مع طبيعة دراسته وفي بحثنا هذا استخدمنا **المنهج الوصفي**، وذلك لملاءمته لطبيعة البحث، فالمنهج الوصفي يهدف إلى جمع الحقائق والمعلومات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا[١]، فهو يمد الباحث بقدر وفير من البيانات والمعلومات الأساسية التي ترسم صورة عامة للمشكلة أو الظاهرة المدروسة والتي تساعد الباحثين الآخرين على انتقاء بحوث يرونها جديرة بالدراسة[٢].

ثالثاً: تحديد المفاهيم والمصطلحات

أولاً: الوعي المجتمعي Societal Consciousness:

يشير مفهوم الوعي المجتمعي إلى وعي الذات ثم وعي المجتمع الإنساني بأسره، فوعي الذات يعني فهم الذات فهماً تفصيلياً علمياً واقعياً استناداً لعلوم الطبيعة وحقيقة الوجود المادي[٣].

اما تعريفنا في بحثنا هذا **للوعي المجتمعي** نقصد به ذلك الإدراك من قبل أفراد المجتمع لوظائفهم ومعرفتهم لخصائص البيئة التي يعيشون فيها، وبالتالي القيام بواجباتهم وفق الأدوار التي يشغلوها في المجتمع من اجل الحفاظ على صحة وسلامة أفراد المجتمع.

ثانياً: الدور Role

---

(١) د. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط٩، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢١٣.

(٢) د. معن خليل العمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، ٢٠٠٤، ص١٤٠.

(٣) الانترنيت، سامي كاب، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني www.ahewar.org بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٢١

الدور: هو جملة المهام والواجبات والحقوق، وهو يمثل السلوك المرتقب من الفرد في موقع اجتماعي معين[٤]، فالموقع أو المركز الاجتماعي هو العلاقة التي تحدد طبيعة الدور الاجتماعي، مما يدل على ان هناك علاقة وثيقة بين الدور الاجتماعي والمركز الاجتماعي فالمركز الاجتماعي للطبيب مثلاً يحدد دوره الاجتماعي اي النشاطات والفعاليات التي يقوم بها بعد إشغاله لمركزه الوظيفي[٥]. **وفي بحثنا عرفنا الدور** بأنه ما يشغله الفرد من موقع اجتماعي محدد داخل مؤسسات المجتمع ويسهم من خلاله في بناء وخدمة المجتمع حسب الواجبات التي يحددها موقعه الاجتماعي.

ثالثاً: المرض Disease

عُرِّفَ المرض لغوياً: السُّقْمُ نَقيضُ الصِّحَة[٦]، وينظر علماء النفس إلى المرض على أنه يشير إلى بعض الانحراف عن الوظيفة السوية مثل عدم توازن إفرازات الغدد وأثرها على الجهاز العصبي، والذي يعد غير مرغوب فيه من حيث النتائج، لأنه يؤدي إلى عدم الارتياح على المستوى الشخصي أو يؤثر على مستقبل الفرد ومركزه الصحي[٧]، وكذلك المرض يشير إلى قصور عضو أو أكثر من أعضاء الجسم عن القيام بوظيفتة خير قيام، ويحدث المرض أيضاً إذا أختل أو انعدم التوافق بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجسم في أداء وظائفهما[٨]

المبحث الثاني

ثقافة المجتمع ودورها في نشر الوعي الصحي

(٤) د.خليل أحمد خليل، معجم مفاتيح العلوم الإنسانية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص١٩٥.
(٥) د.ميشيل دنكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة د.إحسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٥٣.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مجلد ٧، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص٢٣١.
(٧) ناهدة عبد الكريم حافظ، وزيد عبد الكريم جايد، الخدمة الاجتماعية الطبية، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص١٢.
(٨) إقبال محمد بشير، وإقبال إبراهيم مخلوف، الرعاية الطبية والصحية ودور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٠، ص٥٥-٥٦ .

تمهيد

صحة الإنسان تعد من أهم الأسس والمقومات لسلامة المجتمعات، إذ يعد الإنسان أغنى ثروة موجودة على وجه الأرض ولابد من الاهتمام بصحته ورعايتها، وهناك أمور مرتبطة بصحة الإنسان ومنها الفكر الصحي والوعي الصحي والثقافة الصحية، ولا شك أن الثقافة الصحية ضرورة، كما أن الدواء ضرورة، فلابد من أن يكون لدى كل فرد ثقافة وفكر صحي عما يدور حوله، إذ إننا نعيش في عصر كثر فيه الكلام عن الأمراض والفيروسات، لكن على غرار ذلك تجد كثيرا من المجتمعات لا يتوافر لديها وعي صحي صحيح إذ ان كثيرين يعرفون أسماء الفيروسات والأمراض ولكن كثيرين منا أيضاً لا يملكون فكراً وثقافة صحية عن تلك الأمراض، ومن ثم فإن التثقيف الصحي المجتمعي يعد ضرورة لأنه خط الوقاية الأول لسلامة المجتمعات، وإذا تشكلت ثقافة صحية عالية فسوف تكون نتائج مواجهة عديد من الأمراض إيجابية جداً ومختلفة تماماً عن النتائج ذاتها في المجتمعات التي تفتقر للوعي الصحي(٩).

كان العرب في الجاهلية يتعلقون بالأوثان والآلهة، يرجون منها الشفاء وذلك على أيدي الكهنة وسُدنة الأصنام، وقد ميز العرب بين الكهنة والسحر، فكان الكاهن يتنبأ بالمستقبل والأحداث، أما الساحر فأنه يؤثر في نفوس البشر بمعرفته لقوانين ما فوق الطبيعة، لذلك ارتفعت منزلته لدى العرب خوفاً مما قد يسلطه على الناس من أرواح خبيثة وقد كان الساحر يعالج الأمراض العقلية أحياناً بالأدوية التي كانت عبارة عن أوراق النبات والأشجار مضافاً إليها بعض

(٩) الانترنيت، إبراهيم احمد المسلم، الثقافة الصحية خط الوقاية الأول لسلامة المجتمعات، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني: http://www.alsharq.net بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٢١.

القرون والعظام والأملاح...، وأحيانا يعالج المريض بإيذائه بالجَلْد بالعصا لإخراج الجن من جسمه كما كان يعالج عدة أمراض بالسيطرة على روح المريض[١٠].

عانى الإنسان الأول من الأمراض وبالذات الوبائية منها، ويرجع سبب ذلك إلى عدم تطور علوم الصحة واقتصارها في البداية على المرض نفسه، ومحاولة علاجه، ثم بدأ الإنسان ينتبه إلى ان البيئة المحيطة به تشارك في خلق الظروف التي تؤدي للمرض، ومن هنا بدأ ما أسميناه اليوم صحة المجتمع، ومع ذلك فان المجال الصحي بالنسبة للجماعات التقليدية يزخر بالمعتقدات والمفاهيم والمواقف الروحية التي تفتقر للأسس العلمية التي يتبناها خبراء الصحة والأطباء في الجزيرة العربية ولعدم وجود حضارة ثابتة نجد انتشار الشعوذة والتقاليد السيئة، رافقتها بيئة غير صحية انتشر فيها الذباب والحشرات المضرة وكثرت نسبة الوفيات وخاصة وفيات الأطفال إلى ان جاءت الحضارة الإسلامية والتي تحمل بعض الإرشادات نحو النظافة الشخصية والعامة من وضوء واستحمام وطهارة وخرجت بعض الإرشادات الطبية التي شكلت بدايات صحة المجتمع[١١]، فعند نشأة الإسلام ظهر نوع جديد من الطب سمي بالطب النبوي، وقد عني ذلك الطب بأمور الصحة العامة والوقاية فمن قوله **صلى الله عليه وسلم "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها"**[١٢]، ونحن حين نتكلم عن الطب العربي إنما نعني تلك المرحلة من تاريخ البشرية التي تبدأ مع القرن الثامن الميلادي وتنتهي القرن الثالث عشر، ولكنها تتصل اتصالا وثيقا مع ما سبقها وما تلاها من مراحل[١٣].

---

(١٠) د. منير حسين فوزي، العلوم السلوكية والإنسانية في الطب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٢، ص٢٥٩.
(١١) د. صلاح الدين محمد أبو الرب، مقدمة في صحة المجتمع، دار حنين، عمان، الأردن، ١٩٩٦، ص١٥.
(١٢) محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحيح البخاري،ج٧، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١، ص١٣٠.
(١٣) د. منير حسين فوزي، العلوم السلوكية والإنسانية في الطب، مصدر سابق، ص٢٥٩-٢٦٠.

إذن الوعي المجتمعي الصحي من أهم العوامل المسؤولة عن صحة الفرد وحيويته وطول عمره فعندما يكون الفرد مسلحاً بالوعي المجتمعي الصحي أي يدرك ويعرف ماهية الشروط والمعطيات الاجتماعية التي تجلب له الصحة والحيوية وحسن التكيف للمحيط الذي يعيش فيه وتحاشي الأمراض التي تهدد كيانه وكيان أسرته، فمستوى الأفكار والمعتقدات يجعل الفرد ملماً ومحيطاً بكافة المعلومات المتعلقة بطبيعة الأمراض وإدراك ما هو صحي وغير صحي، فكلما كان الفرد يحمل معلومات أكثر عن الأمراض كان وعيه تجاهها عالياً وكان قادراً على تحاشيها[١٤].

ركز هذا المبحث على دور بعض مؤسسات المجتمع في التوعية الصحية، كدور المؤسسات الصحية والتعليمية(المستشفيات، والمدارس) فضلاً عن الأسرة.

١- دور المؤسسات الصحية (المستشفى) في الحد والوقاية من الأمراض

تعد المؤسسات الصحية بما فيها المستشفيات من المؤسسات الخدمية لما تقدمه من خدمات إنسانية لأفراد المجتمع لوقايتهم من الأمراض والأوبئة والحد منها وذلك عن طريق الرعاية الصحية الأولية والرعاية الطبية الاجتماعية[١٥].

فالرعاية الصحية الأولية تعد المستوى الأول لإيصال أفراد المجتمع بالنظام الصحي ويشمل تقسيم الخدمات الصحية والوقائية والعلاجية والتأهيل ورعاية الحالات الطارئة والتي تعتمد على تقنيات ووسائل صالحة علميا وسليمة عمليا ومقبولة اجتماعيا ومنتجة اقتصاديا ومن خلال المشاركة الفعالة للأفراد والأسر في المجتمع كافة مهما اختلفت المستويات الاجتماعية والاقتصادية والمعاشية، وهي جزء لا يتجزأ من النظام الصحي المتكامل للدولة

---

(١٤) د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الطبي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٨، ص٢١٤.

(١٥) د. سعاد الدراجي وآخرون، المدخل إلى تمريض صحة المجتمع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٦٢.

ومن التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة على السواء[١٦]. ومن أهم المبادئ التي يعتمد عليها برنامج الرعاية الصحية الأولية:-

١- مشاركة المجتمع على نطاق واسع في عملية تحديد المشكلات الصحية، وفي تحديد الأولويات الخاصة بهم لحل تلك المشكلات، إذ ان مشاركة المجتمع ينظر إليها عالميا على انها العمود الفقري للرعاية الصحية الأولية.

٢- توفير خدمات صحية سليمة من الناحية العلمية تقوم على تقنيات وأساليب تتميز بالبساطة والأمان والفاعلية ورخص التكاليف، كما يمكن لغير الخبير فهمها واستعمالها.

٣- توفير موارد الخدمات الصحية(بشرية، مادية، مالية) وتوزيعها وفقاً للاحتياجات الصحية.

٤- شمولية الخدمات لكل فرد في المجتمع[١٧].

وبالنسبة للرعاية الصحية الأولية في العراق في نهاية الثمانينات من القرن العشرين، فقد تبنت وزارة الصحة استراتيجية الصحة للجميع بحلول عام ٢٠٠٠ وذلك بالتنسيق مع المؤسسات المعنية داخل وخارج الوزارة ومع المنظمات الجماهيرية بغية تعزيز المشاركة الجماهيرية في تنفيذ خططها وبرامجها، ومن أهم الجوانب الأساسية للخدمات الصحية للرعاية الصحية الأولية:-

١- الخدمات العلاجية:

تقدم هذه الخدمات من خلال الأطباء المتواجدين في الوحدات الصحية للرعاية الأولية من الكوادر الوسطى التي تقوم مقام الأطباء في المراكز الصحية الفرعية وتشمل الجراحات والإجراءات التشخيصية والعلاجية البسيطة وذلك بما ينسجم والخط الأول من الخدمات العلاجية، الإحالة إلى الخط الثاني من

---

(١٦) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(١٧) المصدر نفسه، ص٢٦٣.

الخدمات العلاجية وهي المراكز التخصصية والمستشفيات العامة والتخصصية [١٨].

٢- مكافحة الأمراض المعدية والانتقالية.

لقد عانى العالم وخاصة الدول النامية من هذه الأمراض ولا يزال يعاني منها الكثير، كما عانى منها العراق من خلال الموجات الوبائية التي مر بها إلا ان التطور الصحي في بلدنا يقابله التطور الثقافي والاجتماعي جعل من مكافحة الأمراض الانتقالية ليس أمراً صعباً فيما إذا تم التعاون مع الجهات الصحية ضمن نظام التحري الصحي، فبواسطة هذا النظام يكلف أشخاص متدربون في المراكز والفرق المتنقلة لجميع نماذج التحري وحسب الأمراض الموجودة في المجتمع وبذلك يتم جمعها بصورة سريعة ليتم فحصها من قبل مساعدي المختبر المتدربين لهذه الأعمال وعلى مستوى مركز صحي وفرقة متنقلة ثم إعطاء المرضى العلاج اللازم بغية السيطرة على الأمراض المعدية والانتقالية بصورة سريعة، هذا فضلاً عن جوانب أخرى للخدمات الصحية للرعاية الصحية الأولية في العراق والمتمثلة بخدمات الصحة المدرسية وخدمات صحة البيئة ورعاية الأمومة والطفولة وصحة الأسرة[١٩].

والمستشفى تقوم بأدوار وقائية وعلاجية، إذ ان أدوارها الوقائية تنطوي على إعطاء الأمصال والمطاعيم ضد الأمراض المعدية أو الوبائية الأكثر انتشاراً في منطقة ما، وذلك لرفع مستوى المناعة لدى سكان هذه المنطقة وقدرتهم على مقاومة المرض في منع حدوثه أو التخفيف من حدته، فضلاً عن قيامها بالتثقيف الصحي للمراجعين، والنشر أيضا من خلال وسائل الإعلام بما يفيد أفراد

(١٨) د. سعاد الدراجي وآخرون، المدخل الى تمريض صحة المجتمع، مصدر سابق، ص٢٦٩.
(١٩) المصدر نفسه، ص٢٦٩-٢٧٠.

المجتمع في توعيتهم الصحية لكي يتجنبوا الإصابة بمرض ما، أما بالنسبة لأدوار المستشفى العلاجية فإنها تقوم بدور علاجي للوصول إلى حالة الشفاء للمرضى والمراجعين لعياداتهم الخارجية أو المقيمين في أقسامها الداخلية عن طريق العلاجات الدوائية والعلاجات الإشعاعية والعلاجات الجراحية والطبيعية التي تتم في قسم المعالجة الطبيعية (الفيزيائية)[٢٠].

أما بالنسبة للرعاية الطبية الاجتماعية في المستشفى، فإننا سوف نبين هذه النقطة بشكل مختصر عن دور الأخصائي الاجتماعي في الرعاية الصحية في المستشفى، إذ ان الأخصائي الاجتماعي يلعب دورا هاما ورئيسا في التوعية والتثقيف الصحي لأفراد المجتمع والمتضمنة توعية الفرد بهدف وقايته من المرض وتقوية معنوياته عند إصابته بما يساعد على سرعة شفائه فضلا عن تأهيله لكي يعود إلى أداء أدواره في المجتمع بعد شفائه، فالأخصائي الاجتماعي الطبي يمارس عمله مستنداً على أسس ومبادئ خدمة الفرد كقاعدة عامة وان كان يستعين بخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع أيضاً، وتتضمن توعية الفرد إجراءات عديدة منها:-

١- توعية الفرد بالعوامل البيئية التي يمكن ان تعرضه للإصابة بالمرض.

٢- تعريفه بالممارسات والعادات الاجتماعية الضارة صحيا.

٣- تعريفه بالأمراض المختلفة وكيفية تجنب الإصابة بها. وهناك واجبات أخرى يقوم بها الأخصائي الاجتماعي الطبي عند إصابة الفرد بالمرض وتتمثل بمساعدة بعض المرضى وإقناعهم بتقبل علاج معين كإجراء عملية جراحية أو مساعدته على تجاوز بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تحول دون

---

(٢٠) د. يوسف إبراهيم المشني، علم الاجتماع الطبي، دار المستقبل، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص١٥٨-١٥٩.

استمرار علاجه، فضلا عن شرح النواحي الاجتماعية الطبية للقائمين بعلاجه ولأسرته وللمريض نفسه[٢١].

فالمستشفى إذن تنظيم له أهداف متعددة تنحصر في الرعاية الصحية الأولية وخدمات الرعاية الطبية الاجتماعية والتعليم والتدريب والبحث، بمعنى انها تتخصص في توفير خدمات الرعاية الطبية لمرضاها، فضلا عن انها تعد المكان الأساس الذي يمكن ان يكتسب منه الأطباء الخبرات القيمة[٢٢].

٢- الأسرة ودورها في الوقاية والحد من الأمراض

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني تقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة[٢٣].

ان التوجيه الأسري من قبل الوالدين أو أفراد الأسرة الكبار لمن هم اقل منهم ثقافة ووعياً من الناحية الصحية يلعب دوراً فاعلاً في نشر الثقافة الصحية، وترسيخ الممارسات الصحية، فالصغار يقلدون الكبار ويستمعون إلى توجيهاتهم ونصائحهم سواء كان ذلك عن قناعة أم تقليد أم خوف، فقناعة الأم مثلاً في إرضاع وليدها رضاعة طبيعية يعزز الحالة الصحية والمناعية عند الطفل، وهذا الأمر ينبغي ان يكون تلقائياً لدى الفتاة تأخذه من أمها، وتمارسه عندما تصبح أماً، فضلاً عن الاستحمام وتبديل الملابس بانتظام، وغسل الأسنان قبل النوم وبعد الأكل، وقص الأظافر وغيرها من الممارسات الايجابية التي ينبغي ان يمارسها الوالدين ويحرصان على تطبيقها من قبل أفراد الأسرة كل ذلك يجعل أفراد هذه الأسرة أكثر بعداً عن الإصابة بالأمراض، هذا فضلا عن

(٢١) ناهدة عبد الكريم حافظ، وزيد عبد الكريم جايد، الخدمة الاجتماعية الطبية، مصدر سابق، ص٦٥-٦٦.
(٢٢) د. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة، عمان، الاردن، ٢٠١١، ص٣١٠.

(٢٣) د. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٧، ص١٥٢.

حرص الأسرة باستشارة الطبيب وأهل الاختصاص في أي مجال وتطبيقها وتنفيذها للتعليمات والتوجيهات الطبية[٢٤].

ان النماذج الثقافية والأساليب النمطية للحياة الاجتماعية تؤثر تأثيرا كبيرا في تصورنا للمرض واستجابتنا له، وتعبيرنا عنه، فالمناخ الثقافي يحدد بدرجة ما ما نعده حالات مرضية، والأسباب التي ننسبها إلى هذه الحالات، وبالمثل فان التعريفات الثقافية تؤثر في العوامل التي تجعلنا ننظر للشخص باعتباره حالة خاصة[٢٥]، وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم الأفراد في المجتمع إلى مجموعتين رئيسيتين، المجموعة الأولى تضم الأسر المثقفة وأصحاب الشهادات العلمية الرفيعة، والمجموعة الثانية تتكون من الأسر الأميين والغير متعلمين ومن الذين يحملون تحصيل علمي منخفض، علما بان الثقافة والتربية والتعليم هي التي تحدد مهن الأفراد ورواتبهم الشهرية، فالمثقفون والمتعلمون وذوي المؤهلات العلمية العالية هم الذين يحتلون المهن والأعمال العالية التي يقيمها المجتمع، وهؤلاء يتقاضون رواتب عالية، والتي بدورها تلعب دورا فاعلا في صحتهم ونشاطهم وطول مدة حياتهم وندرة تعرضهم إلى الأمراض والمشكلات الصحية[٢٦]، في حين نلاحظ ان الأميين وغير المتعلمين وذوي المستوى الدراسي المنخفض يشغلون الأعمال الحرة والعمالية والفلاحية التي لا تمنح أصحابها رواتب وأجور عالية تمكنهم من الحفاظ على صحتهم وتقيهم من الأمراض المزمنة، لذا نلاحظ ان هؤلاء يكونون دائما عرضة للأمراض الفتاكة التي قد تبعدهم عن العمل أو تؤدي إلى وفاتهم وقصر عمرهم[٢٧].

(٢٤) د. يوسف إبراهيم المشني، علم الاجتماع الطبي، مصدر سابق، ص١٧٣.
(٢٥) د. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مصدر سابق، ص٧٨.
(٢٦) د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الطبي مصدر سابق، ص٢١٦-٢١٧.
(٢٧) المصدر نفسه، نفس الصفحة ، ص٢١٧.

ان صحة الناس تعكس الأسلوب الذي يختارونه للحياة ، فأنواع الأمراض ومعدلات الوفيات وأنواعها في المجتمع تتأثر كثيرا بالقيم المتصلة بتنظيم الأسرة والعمل والترويح، فالبيئة الصناعية التي يعيش فيها إنسان هذا العصر تعد مصدرا أساسياً من مصادر الإصابة بالأمراض ومن الملاحظ ان أسلوب الحياة السائد في هذه البيئة والنماذج الثقافية المتعلقة بتربية الأبناء وتنشئتهم والعلاقات الأسرية والتطلعات الاجتماعية والمنافسة الشديدة وتلاشي التضامن الاجتماعي، كل ذلك قد أسهم في تزايد معدلات الاكتئاب النفسي والانتحار والعنف وهي سمات تبدو واضحة في المجتمعات التكنولوجية الحديثة، وقد اتضح ان الإصابة بأمراض القلب ترتفع بين نماذج الشخصية السائد في الثقافة الغربية وهو النموذج الذي يحيا حياة المنافسة الشديدة والتقدير الدقيق للوقت[٢٨].

مما سبق يتبين لنا ان الأسرة تعتني بصحة أفرادها بهدف إنشاء جيل أصحاء يعيشون في جو عائلي صحي، من خلال توفير بيئة بيتية صحية، فضلا عن تربية الأبناء ورعايتهم رعاية صحية صحيحة من خلال ترسيخ العادات والممارسات الصحية السليمة.

٣- المدرسة والتوعية الصحية

المدرسة مؤسسة تعليمية تلعب دوراً هاماً في تكوين التلاميذ من الناحية التعليمية والثقافية، كما انها ترعاهم من الناحية الصحية عن طريق توفير الرعاية السليمة للتلاميذ وإكسابهم السلوك الصحي السليم[٢٩]، وهذا يعني ان هدفها هو التوعية الصحية للطلاب وزيادة الثقافة الصحية والوعي الصحي

(٢٨) د. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مصدر سابق، ص٧٩-٨٠.
(٢٩) د. أمان محمد أسعد، الثقافة الصحية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،٢٠٠٨، ص١٣.

بالتعاون مع مختلف جماعات الأنشطة المدرسية[٣٠]، والذي يؤدي في النهاية إلى النهوض بمستوى الصحة العامة للمجتمع.

تهتم اغلب المجتمعات في وقتنا الحاضر بالصحة المدرسية وتوفر لها جميع الوسائل التي تساهم في نجاح أهدافها، وهناك عدة أسباب تدعو المدارس وإدارتها إلى الاهتمام بصحة تلاميذها أبرزها ان تلاميذ المراحل الدراسية في معظم دول العالم يشكلون نسبة كبيرة من عدد السكان، تتراوح بين(١٦-١٨٪) من مجموع السكان في البلد، وكذلك يتعرض كثير من التلاميذ لعديد من المشاكل الصحية المفاجأة وهذا يستلزم توفير الرعاية الصحية والخدمات الطبية الأولية لهم، فضلاً عن ان تجمع التلاميذ في المدارس يمكن ان يساعد على انتشار الكثير من الأمراض المعدية لاسيما في فصل الشتاء، لذلك يجب على الصحة المدرسية توفير جميع الوسائل اللازمة لمكافحة هذه الأمراض[٣١].

من أهم البرامج التي يجب ان تضعها إدارات المدارس في معظم دول العالم من اجل الحفاظ على صحة تلاميذها هي:-

١- الفحص الطبي للطلاب عند دخولهم المدارس ومعرفة التاريخ الطبي للطالب وللعائلة والفحص المختبري.

٢- تقديم الإسعافات الأولية في حالة الإصابات الطارئة لأي تلميذ لتقليل خطر الإصابة، فضلا عن رقابة البيئة المدرسية ومراقبة السلامة العامة في المبنى والصرف الصحي ومصادر المياه[٣٢].

---

(٣٠) الانترنيت، الوعي الصحي في البيئة المدرسية، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني: http://hadayekelkoba.ahlamontada.net بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٧
(٣١) د. أمان محمد أسعد، الثقافة الصحية، مصدر سابق، ص١٣-١٤.
(٣٢) د. صلاح الدين محمد أبو الرب، مقدمة في صحة المجتمع، مصدر سابق، ص٢٦٠.

٣- نشر الوعي الصحي الخاص بأنواع الغذاء والطرق الصحية لتناوله، وتجنب الأمراض التي تنتج عن التغذية الغير سليمة لاسيما الأمراض التي يمكن ان تنتقل عن طريق الغذاء الملوث[٣٣].

٤- تثقيف التلاميذ بمجالات الوعي الصحي عن طريق إقامة الندوات والمحاضرات في المدارس والتي بدورها تلعب دور كبير في زيادة الوعي الصحي لدى الطالب في البيئة المدرسية[٣٤].

إذن نشر الوعي والثقافة الصحية بين التلاميذ وتمتعهم بالصحة الجيدة السليمة يساعد على اكتساب السلوك الصحي السليم، إذ انه يؤثر في تقدم الطالب بالتحصيل العلمي، لذلك يجب ان تتضافر جميع الجهود من (مدرسين وإدارة وأسر التلاميذ) من اجل حماية أبنائهم من المشاكل والأمراض الصحية في سبيل الوصول إلى مجتمع صحي سليم.

المبحث الثالث

الوعي المجتمعي المتعلق بالغذاء والتلوث البيئي

أولاً: الوعي المجتمعي المتعلق بالغذاء

مقدمة:

(٣٣) د. أمان محمد أسعد، الثقافة الصحية، مصدر سابق، ص١٩.
(٣٤) الانترنيت، الوعي الصحي في البيئة المدرسية، مصدر سابق.

ترجع الأمراض بصورة عامة إلى عدة عوامل أساسية، وأحد هذه العوامل يتعلق بالغذاء والتغذية الصحية، فإذا كان الغذاء غير متوازن من حيث الكم والنوع فإن الإنسان يكون عرضة للأمراض.

تُعد التغذية أحد العوامل البيئية التي تؤثر على صحة الإنسان والاختيار الجيد لها هو حجر الأساس للتغذية السليمة[٣٥]، فالتغذية هي العلم الذي يهتم بدراسة كل العمليات الحيوية التي تحدث للغذاء بعد تناوله ثم هضمه وامتصاصه وكذلك إخراج الفضلات الناتجة بعد هضم الطعام، كما يهتم علم التغذية بالتعرف على المواد الغذائية التي يحتاجها جسم الإنسان وإتباع العادات الغذائية السليمة حتى يتم الاستفادة من الغذاء وتجنب العادات السيئة المرتبطة بتناوله والذي يمكن ان تسبب الأمراض، لذلك تعد التغذية من أهم موضوعات الوعي والتثقيف الصحي والمجتمعي للإنسان لعلاقتها الوثيقة بالنمو والوقاية من الأمراض وهذا الأمر متعلق بثقافة المجتمع بالجوانب الصحية بشكل عام وثقافة الفرد بشكل خاص[٣٦].

١- الغذاء الصحي السليم

ان الغذاء الصحي هي الوجبة أو الوجبات التي تعطي للفرد حاجته من جميع المواد، وفي الحالة المتزنة فإن الوجبة المتزنة نحو (١٤٪) بروتين، (٣٠٪) دهون، (٥٦٪) كربوهيدرات وتوزع على الوجبات الثلاث بحيث ان اغلبها يكون في **وجبة الغذاء حوالي(٤٥٪) من طعام اليوم الكامل** ويشترط على الغذاء الصحي ان يتكون من العناصر الأساسية للطعام وهي الزلاليات والسكريات مع النشويات والمواد

(٣٥) د.إبراهيم محمد مراد، التربية الصحية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، ١٩٧٤، ص٨٠ .
(٣٦) د.امان محمد اسعد، الثقافة الصحية، مصدر سابق، ص٢٣.

الدهنية والفيتامينات والأملاح والماء وبمقادير معينة حسب الأعمار والأعمال والفعاليات والمناخ وحالات الإنسان كالحمل والرضاعة وأدوار النقاهة[٣٧].

وقد وجد أخصائيو التغذية والصحة، على الفرد ان يكون على مستوى من الوعي لتحديد كمية الغذاء وفق مجموعة من العوامل أهمها:-

١- تحديد الحالة الفسيولوجية في الجسم من تجميع نتائج الفحوصات.

٢- تحديد الحالة المرضية ومعرفة أنواع الأطعمة، والمواد الأولية الضارة وغير الضارة بالنسبة للحالة، ففي ارتفاع ضغط الدم فان الأطعمة التي تحتوي على أملاح تكون ضارة، وكذلك مريض السكري يضره الطعام الغني بالسكريات.

٣- الجنس: فالرجل يحتاج لسعرات حرارية أكثر من المرأة.

٤- الوزن: فكلما زاد الوزن يجب ان تقل السعرات الحرارية في الوجبة الغذائية والعكس صحيح.

٥- المناخ: عند ارتفاع درجات الحرارة تزداد الحاجة للسعرات الحرارية.

ولكي يكون الغذاء صحياً وكاملاً هناك صفات للوجبة المتزنة(الغذاء الكامل) والتي يراعى فيها عوامل عدة :-

١- توفير حاجات الفرد فيما يتعلق بالسعرات والبروتينات والعناصر المعدنية والفيتامينات.

٢- ان تحتوي على أطعمة متنوعة لضمان تغطية الحاجات الغذائية.

٣- ان يكون الغذاء خالياً من المواد الضارة أو السامة.

٤- ان يتماشى مع العادات الغذائية للفرد والمجتمع

٥- ان تكمل وجبات اليوم بعضها البعض بحيث تمد الجسم بكامل احتياجاته[٣٨].

---

(٣٧) د.صلاح الدين محمد أبو الرب، مقدمة في صحة المجتمع، مصدر سابق، ص١٢٧.

(٣٨) د.خضر داؤود سليمان، ومحمد يوسف المختار، الصحة العامة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص٧٣.

لذلك فان هذا الأمر متعلق بنشر الوعي الصحي المتعلق بالغذاء الصحي السليم من خلال وسائل الإعلام والمراكز والمؤسسات الصحية لتوعية أبناء المجتمع بالمخاطر الصحية الناتجة عن سوء التغذية، والذي يؤدي إلى إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض.

٢- الوعي المجتمعي بالغذاء وعلاقته في الحد من الأمراض

أهمية البيئة والمناخ والتغذية والوعي الصحي، هذه الأركان تعد القاعدة التي يرتكز عليها المستوى الصحي لأي مجتمع، كما تكون الإدارة الصحية الركن الرابع بكونها المسؤول المباشر عن معالجة المصابين بشتى الأمراض ووقاية المواطنين منها، وهذا يعني ان نصيب الإدارة الصحية في المجهود الصحي العام هو جزء من مجموعة عوامل أخرى تؤثر في مرافق الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأبناء المجتمع[٣٩]، والحقيقة التي يجب ان يطلع عليها الجميع بما فيهم موظفو الصحة وذوي العلاقة والاختصاص ان الإصلاح المنشود لا يتم بمجرد سن نظام أو قانون يمكن من خلاله النهوض بالمستوى الصحي والغذائي لأفراد المجتمع وكل مرافق الحياة ما لم يكن هناك وعي اجتماعي وعمل حقيقي لأفراد المجتمع على التغيير والإصلاح، بما هو يستوجب التغيير ودعم ومساندة الطرق السليمة والسعي نحو الأفضل وتغيير كل مرافق الحياة التي تحتاج إلى ذلك، الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافية ويجب ان نمعن النظر في كل أسباب حياتنا وإنتاجنا واستثمار ثرواتنا ونعيد بناءها على أسس علمية سليمة كلاً حسب موقعه[٤٠]، فمثلاً معظم حالات التهاب المعدة والأمعاء يعزى انتقالها عن طريق الماء والحليب ومنتجات الطعام، وقد انخفضت نسبة

---

(٣٩) عبير نجم عبد الله، دور الوعي الاجتماعي في الوقاية من الأمراض المزمنة(دراسة ميدانية في علم الاجتماع الطبي)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص١١٧.

(٤٠)عبير نجم عبد الله، دور الوعي الاجتماعي في الوقاية من الأمراض المزمنة(دراسة ميدانية في علم الاجتماع الطبي)، مصدر سابق، ص١١٧-١١٨.

الإصابات بتلك الأمراض التي تشمل التيفوئيد والكوليرا والزحار وغيرها في البلدان المتقدمة والنامية منها، بعد ان أصبح لديها وعي، إذ قامت باتخاذ الإجراءات الضرورية لتزويد السكان بالماء النقي الصالح للشرب والحليب الصحي والغذاء الصحي وطرق إنتاج وتعامل وبيع الحليب مع منتجاته ويتم جميعها بالتعاون التام مع مؤسسات الصحة العامة ودوائر الزراعة والبيطرة والمؤسسات العامة لإنتاج الحليب ومنتجاته، إذ ان الحليب هو أكبر مرتع للجراثيم المرضية التي تنتاب المعدة والأمعاء(٤١)، كما انه يجب التعاون بين دوائر البلدية وطبابات صحة المدن ودوائر البيطرة، على الاستمرار في مراقبة الباعة المتجولين وكافة المحلات المنتجة كالمطاعم والقيام بتحليل المواد الغذائية وإجراء الفحص البدني للعاملين فيها ومنحهم شهادات صحية(٤٢).

إذن الهدف من التغذية الصحية السليمة هو الحفاظ على السلامة البدنية والنفسية والاجتماعية لأفراد المجتمع ويتم ذلك بالتعاون المتبادل بين الفرد والمجتمع متمثلاً بمؤسساته الصحية والعاملين فيها.

ثانياً: البيئة المجتمعية والصحة

تمهيد:-

منذ العصر الحجري القديم كان للجنس البشري بعض التأثيرات على البيئة، فمحاولة الإنسان لإشعال النار كانت تترك آثاراً سيئة، كما أدت صناعة الأدوات في العصر الحديدي عن طريق شحذ المعادن إلى دقائق صغيرة، ومحاولة

(٤١) د.هناء أحمد توفيق، طب صحة المجتمع لاعداديات التضميد والتمريض، دار المثنى، بغداد، ١٩٨٠ ، ص٨٣.
(٤٢) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

إخراج الخبث منها لتشكيلها إلى صور يمكن استخدامها في الحياة اليومية إلى تراكمات طفيفة من المواد الملوثة للبيئة[٤٣].

زادت الحضارات المتقدمة الأولى لبلاد ما بين النهرين، وفي مصر، والهند، والصين، وبلاد فارس، واليونان، وروما من استخدام المياه لصنع السلع، مما زاد من مستويات التلوث البيئي، ومع ذلك لم يعطل التلوث في ذلك الوقت الأنظمة البيئية، ومع قرب نهاية العصور الوسطى ازداد النمو السكاني وتركز أكثر داخل المدن مما خلق بؤراً للتلوث ساهمت في انتشار الأمراض المُعدية كالطاعون والدبلي[٤٤]، ومع كل ذلك لم يكن هنالك اهتمام متزايد بالبيئة، لكن في الوقت الحاضر ازداد الاهتمام بدراسة البيئة بعد أن تدهورت بشكل أدى إلى تفاقم كثير من الأمراض والمشاكل الصحية بسبب زيادة عدد السكان ومظاهر النشاط البشري كالصناعة وبناء المدن واستخدام المبيدات الحشرية والتلوث النووي[٤٥]، إذ شعرت الدول المتقدمة بالآثار السيئة الناتجة عن تطبيق بعض أنواع التكنولوجيا الحديثة والمتنوعة، وباتت التربة والماء والهواء والمواد الغذائية ملوثة بأنواع السموم والمواد الكيمياوية، لذلك أخذ المختصين والمسئولين والرأي العام الاهتمام بالبيئة على المستويين الإقليمي والعالمي[٤٦]، وظهرت نتيجة لذلك علوم حديثة مختصة بدراسة البيئة منها علم صحة البيئة وعلم السموم البيئية[٤٧].

١- التلوث البيئي أبعاده ومخاطره

---

(٤٣) الأنترنيت، التلوث في التاريخ، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني: www. ar.wikipedia.org بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٣

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) د. عبد العزيز طريح شرف، البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢، ص٤٥-٤٦ .

(٤٦) د. محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة قضايا البيئة من منظور إسلامي، دار الفجر، ط٤، القاهرة، مصر ٢٠٠٨ ، ص٥.

(٤٧) د. عبد العزيز طريح شرف، مصدر سابق، ص٤٦.

يقصد بالتلوث طرح المقصود أو العارض للنفايات (مادة أو طاقة) الناجمة عن النشاطات البشرية التي تؤدي إلى نتائج ضارة ومؤذية[٤٨]، أما البيئة فهي مجموع الظروف التي تحيط بالإنسان وتؤثر في عملياته الحيوية التي يقوم بها سواء كانت طبيعية أو اجتماعية[٤٩]، وبهذا فان البيئة هي الإطار الذي يحيا فيه الإنسان مع غيره من الكائنات الحية يحصل فيه على مقومات حياتية من (مأكل وملبس ومسكن)، ويمارس فيها مختلف علاقاته مع بني جنسه[٥٠].

وعناصر البيئة دائمة التفاعل مع بعضها، إذ أثبتت يد البشرية بأنها المعول الوحيد في تحطيم التوازن البيئي وبالتالي الضرر للبشر أنفسهم وإن حاول أحياناً في بعض أعماله مساعدة البيئة في الحد من التصحر، ومع سوء سلوك الإنسان وعدم احترامه لعناصر البيئة أدخل بعض المكونات الجديدة من غازات وأبخرة وضوضاء وقد تغيرت الظروف المحيطة بالإنسان فأنتشر التلوث البيئي وأصبحت مشكلة شديدة الخطورة على الإنسان وصحته، ولعل أهم العناصر الملوثة للجو والبيئة هي:-

١- نواتج عمليات الاحتراق لغايات التدفئة المنزلية.

٢- النواتج الغازية والأبخرة من المصانع والمبيدات الحشرية.

٣- الاحتراق الغير كامل وما ينتج عنه من أول اوكسيد الكربون والضوضاء والإزعاج[٥١].

والعلاقة بين المشكلات البيئية والعديد من الأمراض المصاحبة يمكن متابعتها في العديد من المناطق الصناعية في العالم وهذه المشكلات كما ذكرنا سابقاً من صنع الإنسان تعاني منها الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية التي

---

(٤٨) د. فؤاد حميد مؤمن، وعبد علي حبيب، الصحة العامة وتلوث البيئة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩٣، ص٣٢.

(٤٩) د. صلاح الدين محمد أبو الرب، مقدمة في صحة المجتمع والصحة العامة، مصدر سابق، ص٨٥ .

(٥٠)د. صلاح الدين محمد أبو الرب، مقدمة في صحة المجتمع والصحة العامة، مصدر سابق ، ص٨٦ .

(٥١) المصدر نفسه، ص٨٦-٨٧.

أخذت حديثاً بالتصنيع[٥٢]، إذ انتشرت أمراض الصناعة وعلى وجه الخصوص الأمراض الناجمة عن تلوث الهواء وتسرب الغازات السامة في هذه المناطق، ففي مدينة يورك البريطانية انخفض متوسط أمد الحياة لعمال الصناعة في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى (٢٣,٨) سنة في الوقت الذي كان فيه متوسط أمد الحياة للشعب البريطاني (٤٨) سنة، وفي مدينة بنجلاديش بالهند انتشر مرض الجدري عام ١٩٧٢ لعدم توفر المياه الصالحة للشرب وشبكات الصرف الصحي،كما نتج عن تلوث الهواء وتسرب الغازات السامة آلاف الضحايا في مدينة بهوبال في الهند عام ١٩٨٤[٥٣]، واستناداً لدراسة قامت بها وكالة حماية البيئة أحصت (٢٩٢٨) حادثاً متفاوت الخطورة في منشآت بالولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة(١٩٨٠-١٩٨٥) كما بينت الدراسة الأضرار الناجمة عن تلوث مياه الخليج العربي بالنفط أبان الحرب العراقية الإيرانية سنة ١٩٨٣ مما أدى إلى تدمير البيئة، فضلاً عن انتشار الأمراض الصدرية والعصبية، بينما توقع الخبراء ان هذه الآثار ينتج عنها خلل في الجينات الوراثية للإنسان في منطقة الخليج العربي[٥٤]. وقد حذر العديد من الخبراء في مجال البيئة من التلوث الذري والنووي، الذي يكمن تأثيره الخطير في تهديده لصحة الإنسان والكائنات الحية على مدى واسع، بل ان تأثيره يمتد إلى سنوات طويلة، ولعل هذا يذكرنا بالآثار المدمرة التي نجمت عن إلقاء القنابل الأمريكية على هيروشيما وناجازاكي أبان الحرب العالمية الثانية وامتد أثرها حتى الآن[٥٥].

٢- سبل الوقاية من التلوث البيئي

---

(٥٢) الانترنيت، ابتسام علام وآخرون، الصحة والبيئة،٢٠٠١، ص١٦٩، كتاب منشور على الموقع الالكتروني: www.kotobarabia.com بتاريخ ٢٠١٤/١/٢

(٥٣) د. حسين عبد الحميد أحمد، المشكلات الاجتماعية دراسة في علم الاجتماع التطبيقي، سلسلة كتب علم الاجتماع عدد (٧٤)، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠١٠ ، ص١٩٥-١٩٦.

(٥٤) الانترنيت، ابتسام علام وآخرون، الصحة والبيئة، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٥٥) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

احتل موضوع البيئة وتلوثها جانباً كبيراً من اهتمامات العلماء والهيئات والمنظمات الدولية، بما في ذلك منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الصحة العالمية، وقد عقدت في سياق ذلك العديد من المؤتمرات الإقليمية والعالمية، حذرت فيها بالخطر الذي يمثله التلوث، إذ أصبح لمعظم الدول هيئات وطنية لمواجهة التلوث وأسبابه[٥٦]، فمشكلة التلوث البيئي مشكلة مجتمع، وتحتاج إلى تضافر جميع السبل والقوى من اجل ان توقف الزيادة في التلوث البيئي، وتُعطي الفرصة للبيئة ان تعيد توازنها وابرزها:-

١- العمل على الالتزام بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة: من خلال منع تلوث البحار بالمواد المشعة وغيرها بشكل يضر بصحة الإنسان وموارده المائية والاقتصادية وذلك في ضوء قوانين وتعليمات الهيئة المختصة[٥٧].

٢- سن القوانين التي تمنع المصانع من رمي مخلفاتها بطريقة تؤدي إلى تلوث المياه أو الهواء.

٣- القيام بالدراسات والأبحاث وذلك لطرح البدائل لمسببات التلوث، على سبيل المثال كيفية التخلص من الغازات ومخلفات المصانع بطريقة تمنع التلوث وتحليلها الى مواد صالحة للاستعمال أو على الأقل غير ضارة.

٤- المشاركة الدولية للحد من انتشار الأسلحة النووية[٥٨].

ومن اجل الحفاظ على صحة الإنسان نحتاج إلى تنمية الوعي البيئي لدى المواطن وذلك من خلال المؤسسات الصحية والمدارس والجامعات بإقامة ورش ودورات تدريبية، فضلاً عن وسائل الإعلام المتنوعة من برامج توعوية وحوارات وإعلانات.

(٥٦) د. ناهدة عبد الكريم حافظ، وزيد عبد الكريم جايد، الخدمة الاجتماعية الطبية، مصدر سابق، ص٦٩.
(٥٧) د. خضر داؤد سليمان، ود.محمد يوسف المختار، الصحة العامة، مصدر سابق، ١٩٨٨، ص١٠٠.
(٥٨) د. صلاح الدين أبو الرب، مصدر سابق، ص٨٨.

نتائج البحث

١- الصحة تعد الاساس الذي يقوم عليه الانسان فهي مصدر حياته لذا تعد مسؤوليته اولاً ومسؤولية المجتمع ثانياً في الحفاظ عليها ليحيا حياة سليمة.

٢- بالنظر لأهمية الجانب الصحي يتوجب على المجتمع وباستمرار استحداث وسائل جديدة من اجهزة ومعدات طبية لمعالجة الامراض، فضلاً عن الاستمرار في توعية المجتمع صحياً، وايضاً لابد من وجود الكوادر الماهرة من اطباء وممرضين.....الخ من العاملين في المؤسسات الصحية.

٣- الاهتمام بتطوير الكوادر العاملة في المجال الصحي لتؤدي دورها بشكل متكامل.

التوصيات والمقترحات

١. التوعية الشاملة بطرق انتقال المرض وأعراضه ومضاعفاته فضلاً عن طرق الوقاية منه، وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وإقامة المؤتمرات والندوات بصورة مستمرة في المجالات الصحية بهدف نشر المعرفة والوعي الصحي بين أفراد المجتمع.

٢. نشر الوعي والثقافة الصحية بين طلاب المدارس والجامعات وتزويدهم بالمعلومات الصحية الضرورية لحياة سليمة وخالية من الأمراض.

٣. على الدولة أن تسن قوانين رادعة والتي من شأنها أن تحد من سلوك المتجاوزين على البيئة والذين يعرضونها لأنواع مختلفة من التلوث سواء بدخان المصانع أو السيارات أو رمي النفايات أمام المحلات وبين المنازل.

٤. الرقابة الصحية باستمرار على الباعة المتجولين والمطاعم.

٥. إحاطة الدولة جميع فئات المجتمع بالرعاية الطبية اللازمة في مؤسساتها الصحية بما فيها المستشفيات والمراكز الصحية والعيادات الشعبية، وتقديمها إليهم وفق حاجاتهم واعتبارها حقاً من حقوق الإنسان .

ثبت المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

١. د. عبد العزيز طريح شرف، البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢.

٢. فؤاد حميد مؤمن، وعبد علي حبيب، الصحة العامة وتلوث البيئة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩٣.

٣. محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحيح البخاري،ج٧، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.

٤. د. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠١١.

٥. محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة قضايا البيئة من منظور إسلامي، دار الفجر، ط٤، القاهرة، مصر ٢٠٠٨.

٦. د. معن خليل العمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الاردن، ٢٠٠٤.

٧. د. منير حسين فوزي، العلوم السلوكية والإنسانية في الطب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٢.

٨. ناهدة عبد الكريم حافظ، وزيد عبد الكريم جايد، الخدمة الاجتماعية الطبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩٠.

٩. د. هناء أحمد توفيق، طب صحة المجتمع لاعداديات التضميد والتمريض، دار المثنى، بغداد، ١٩٨٠.

١٠. د. يوسف إبراهيم المشني، علم الاجتماع الطبي، دار المستقبل، عمان، الأردن، ٢٠٠٠.

١١. د. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط٩، دار التضامن، القاهرة، مصر ١٩٨٥.

١٢. إقبال محمد بشير، وإقبال إبراهيم مخلوف، الرعاية الطبية والصحية ودور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٠.

١٣. حسين عبد الحميد أحمد، المشكلات الاجتماعية دراسة في علم الاجتماع التطبيقي، سلسلة كتب علم الاجتماع عدد (٧٤)، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠١٠.

١٤. د. إبراهيم محمد مراد، التربية الصحية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، ١٩٧٤.

١٥. د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الطبي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٨.

١٦. د. امان محمد اسعد، الثقافة الصحية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨.

١٧. د. خضر داؤود سليمان، ومحمد يوسف المختار، الصحة العامة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٨.

١٨. د. سعاد الدراجي وآخرون، المدخل إلى تمريض صحة المجتمع،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨.

١٩. د. صلاح الدين محمد أبو الرب، مقدمة في صحة المجتمع، دار حنين، عمان، الأردن، ١٩٩٦.

المعاجم والقواميس والموسوعات:

١. ابن منظور ، لسان العرب، ج ٧، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.

٢. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٧.

٣. د. خليل أحمد خليل، معجم مفاتيح العلوم الإنسانية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

٤. د. ميشيل دنكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة د.إحسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

الرسائل الجامعية:

١. عبير نجم عبد الله، دور الوعي الاجتماعي في الوقاية من الأمراض المزمنة(دراسة ميدانية في علم الاجتماع الطبي)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

المواقع الالكترونية (الانترنيت):

١. ابتسام علام وآخرون، الصحة والبيئة،٢٠٠١، كتاب منشور على الموقع الالكتروني:
www.kotobarabia.com بتاريخ ٢٠١٤/١/٢

٢. إبراهيم احمد المسلم، الثقافة الصحية خط الوقاية الأول لسلامة المجتمعات، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني:

http://www.alsharq.net بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٢١

٣. التلوث في التاريخ، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني:

www. ar.wikipedia.org بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٣

٤. سامي كاب، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني:

www.ahewar.org بتاريخ ٢١-١٢-٢٠١٣

٥. الوعي الصحي في البيئة المدرسية، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني:

http://hadayekelkoba.ahlamontada.net بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٧

.... ❖❖❖❖❖ ....

خاطرة

الحرب تجارة بضاعتها النفوس

محمد نديم أنجم بيديا *

الحرب! الحرب! كلمة تستفز أنين الرعب الكامن في الأنفس، وقرقعة القيود الحديدية، ولسعات البارود الموجعة، وأصداء أضغاث أحلام متكسرة، وموسيقى الدماء القرمزية تضرج اخضرار المروج.

من بين ضجيج الرعب هذا، تهمس في آذاننا همسة خافتة عن مدى مشروعية ما تعتمد عليه السمفونية الحربية المتشوّهة الخلقة، وكيفية نسج التبرير لها من كفن جثث هامدة، طهرت ذيولها وصفت مشاربها.

تضمر نظرية "الحرب العادلة" في طياتها تناقضًا تمخض عن تصفيف القرارات السياسية الجدباء على رفوف الوقائع الوحشية التي يستعرضها تناثر الأشلاء في الساحات القتالية، مما يتمثل في عملية ترميم تصدع حضاري جسيم برشه بالعطور المزيفة. ومهما علت آماني الأمم وتطلعاتها فإنها تخفق في إلباس الحقيقة الجوهرية القناع الزائف، مما يؤذن بأن الحرب تطلق الحبل على الغارب لبهيمية وحشية تواقة إلى التقام الجنود والنسيج الحضاري بأسره في لقمة واحدة فحسب.

وتدور رحى هذا السيناريو البشيع على حيوات سواد الناس الذين لا يعدون كونهم مجرد بيادق وخسائر جانبية على رقعة لعبة شطرنج محسوبة.

* طالب السنة الثالثة من البكالوريوس، قسم اللغة العربية و آدابها، الجامعة العالية – كولكتا، الهند.

يصارع العالم حاليًا لاتخاذ مبادرة لحماية الأبرياء، تكون نبراسًا ولو باهتًا يحد من جيشان الهمجية بين تلاطم أمواج ملاحم حامية الوطيس.

إن الحفاظ على النسمة الإنسانية الآن كزراعة زهرة رقيقة القوام في بركان يكاد ينفجر وتنتشر ألسنة ناره في كل مكان؛ فالأمر ليس سهلًا أمام نفوس تواقة للقتل والدمار.

إن أشباح المبادئ التناسبية جثمت على الأنفس المتدنية قيمتها، مثلما يسير طيف على أجنحة الأثير تختنقه أدخنة المعارك وحرائقها، مما يذهب بالمثل الذي طبقت شهرته الآفاق "الغاية تبرر الوسيلة" أدراج الرياح دون جدوى. في حين تأخذ على عاتقها الوسائلُ تنفيذ إبادة منهجية إنسانية وتضمن إراقة أنهار من دماء الولدان والعذارى على السواء دون تمييز. وتتجسم هذه المعضلات في حسابات دموية بما يرافقها من الجيف البشرية التي غدت مجرد عملات قاتمة السواد تتداولها من ورائها أكف صلبة كالصوان وقلوب كالفولاذ وعقول تغشت بغيوم حاقدة كعاصفة كانون الهوجاء دون أدنى تردد أو تحسس بالإنسانية.

ربما لا يمكن تقييم مدى عدالة الحرب في الإعلانات السامية الرسمية، لكننا في حاجة ماسة وسريعة إلى البدائل السلمية، وتطبيق الأدوات الدبلوماسية التي تسبق إطلاق أول طلقة للحرب. وهل تكفل الحرب بأن الكارثة المدمرة ستضفي على وجوه الحضارات مسحة من المستقبل الأكثر إشراقًا، أم هي مجرد قمار يطوقه الهلاك من كل حدب وصوب حيث تستعر نيرانه بحطبات القومية التعصبية.

لا تتلاشى في الهواء ندوب الحرب ولا تضمحل جروحها اضمحلال الغبار في الجو بمجرد خمود أزيز المدافع و هدوء طنطنة المدرعات؛ فهي تمتد إلى أن

يرن في آذان ضحاياها رنين الرهبى، وعويل الجرحى، وأنين الثكلى، وصراخ رضيع يستحلب ثدي أمه القتيلة حتى تخلف وراءها عواقب وخيمة، مما ترتبت عليه مجتمعات متحطمة، واقتصادات منهارة، وأجيال تثقل كاهلها أعباء صدمة نفسية. ومن هذا المنطلق يستدعي الادعاء على أخلاقية الحرب التزامًا راسخًا بإعادة الإعمار وتعهدًا حاسمًا بمداواة القروح التي تسببت فيها داء الحرب وعناصرها.

ومن تحصيل حاصل أن يرتسم لنا مدلول كلمة "الحرب النبيلة" مشيًا على حبل مشدود، إذ لا نطيق تجسير المهاوي الأخلاقية التي بعثتها نكبات إنسانية تلدها الحرب فيما نتابع الحرص على تسويغ قاطع للنزاعات المسلحة. ولن يفوح أريج الظفر الحتمي من انتصار مؤقت قد يتحقق على قلب المعترك عكسَ ما علينا من أن نحفل به من السعي الدؤوب إلى الحلول السلمية ما لا بد لها من انطلاقها من نفوسنا باقتلاع الشر منها والغطرسة، وبزرع بذور الانفتاح الاعتقادي وحبوب الحوار المشترك مكانها ، توصلًا إلى حصد الانسجام العالمي المزركش بالأخوة الدولية، ومن ثمة إلى تدمير الأسلحة وتحويلها إلى آلات بناء وإعمار، حيث يسود التآلف الذي يوجّه القوى المتناحرة المتضاربة التي تكون حصيلتها العدم واللاجدوى فيما لو بقيت متعاكسة، وانتهاءً بعالم تتردد ألحان السلام فيه عالية على وجه المدافع المدوية.

.... ❖❖❖❖❖ ....

خاطرة

فوق أجنحة الخيال في سماء الأدب

د. محمد سليم*

....قرأوا كتبا ثرية في الأدب، ألفتها أذواقهم إيلاف المقرور دفء النار، فتهافتوا على اقتنائها حتى تراصت الكتب على الرفوف، ومن بينها كانت "الأيام" حيث لا مناص من دوران رحى الأيام، قرأوها فانتعشت نفوسهم وأرواحهم فراحوا يلتفتون إلى "عودة الروح" حيث وجدوا فيها حكمة حكيم زادتهم ثباتا ربطهم مع "الرباط المقدس"، والذي بدوره جمعهم مع صالون "العبقريات" فتعرفوا على مفاتيح الشخصيات المدهشة ليفتحوا بها عالما وجدوا فيه صورا مرسومة لـ "الفاروق"، و "المهاتما غاندي" وغيرهما...

... وأبحروا في بحار الأدب فألهمهم "دعاء الكروان"، وآذنت الشمس للمغيب في "واحة الغروب"، ثم خبروا "السائرون نياما" وأبحروا بعيدا حتى تراءت لهم "مدن الملح" فتذوقوها، ثم وثبوا إلى المياه وسبحوا ضد التيار حتى قذفتهم الأمواج على الساحل، فرأوا "رجالا في الشمس" مشوا ينشدون "شقة الحرية" في عالم رتيب ممل يعيش الرجال فيه "حياة في الإدارة"، ثم مشوا حفاة الأقدام في " زقاق المدق" يبحثون عن "الخبز الحافي" تحت أضواء راقصة لـ "المستنقعات الضوئية"، وأبحروا بعيدا حتى وجدوا أنفسهم في "موسم الهجرة" كالطيور المهاجرة مثل "عصفور من الشرق" يطير ويبني عشه في "الحي اللاتيني" ليعود أخيرا برفقة "الحفيدة الأمريكية" عدت من بين "سيدات القمر"...

...ثم رأوا أن مياه ملحمة العصر الحديث لم تستطع إرواء غليلهم فتجولوا في بلاد الرافدين وبحثوا في الديوان من جديد فوجدوا مشاعرهم تنساب مع

---

* كاتب هندي مقيم في نيو دلهي، الهند.

"السياب"، وتتجلد مع "الصبور" وتثور وتشيب مع " الشابي"، وغشاهم نيزك "الملائكة"، فانتفضوا وطاروا كالطيور ذوي الريشة مع "أبو ريشة"...

... وثارت "ثورة الأدب"، فوجدوا "شوقي" يشوقهم، و"مندور" يندر لعالم الأدب الإتيان بمثله، و" قطب" أصبح قطب الفن والنثر والنقد، و"أمين" أضحى أمينا على الأدب وأساليبه، وشكروا "شكري" وصحبه على غربلتهم للأدب...فجالسوا مع أصحاب "الرابطة" ورافقوا أهل " العصبة" حتى تجمعوا معا في الديوان...

.... ❖❖❖❖❖ ....

قصة قصيرة مترجمة

ليلة من ليالي الشتاء

قصة قصيرة لـ المنشئ بريم تشند

ترجمة لـ: د. قمر شعبان *

قال هلكو لزوجته: "جاءني شهنا، أعطيني ما لديكِ من الروبيات أسدد بها ديوني". كانت زوجته موني مشغولة بالكنس، فولَّت وراءها قليلاً، وقالت: "ليست لدي إلا ثلاث روبيات؛ إن أعطيك إياها، فكيف أشتري البطانية، وكيف تنقضي ليالي الشتاء القارسة في الحقول؟ قل له سوف نسدد الدين بعد الحصاد، لا نملك الروبيات الآن ".

وقف هلكو ساكتاً متأملاً لهنيهة؛ لقد حان الشتاء، فلا يستطيع أن ينام في الحقل في ليالي الشتاء القارسة من دون البطانية، ولكن لا يمكنه أن يُسكت شهنا؛ سوف يضجرني. عاد إلى زوجته مهموماً ومثقلاً بجسمه السمين الذي لم ينسجم مع اسمه، وطلب منها مراوداً: "آتيني ما لديك من الروبيات، لكي أخفف أعباء الديون، ولسوف أشتري البطانية بوسيلة أخرى."

ابتعدت زوجته موني قليلاً، وقالت محملقة إليه: "كيف نشتري البطانية بوسيلة أخرى؟ من سوف يشتري لك البطانية؟ ومن سوف يدبر لك؟ ومن يتبرع لك بالبطانية؟ كم هي الديون التي لا تستطيع تسديدها؟ أقول لك: لماذا لا تترك الحرث والزراعة؟ نموت في الحقول، ونسدد الديون بحصادها، يبدو أننا ولدنا فقط لتسديد الديون؛ إذن، لا تزرع، واترك الحقل، لن أعطيك الروبيات أبداً ".

نطق هلكو كئيباً حزيناً: "إذن، سوف يشتمني".

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بنارس الهندوسية، فارانسي، الهند

موني: "لِمَ يشتمك؟ هل الملك كله له؟" ولكنها استكانت بعد هذا القول؛ اقشعرت جلودها من كلام هلكو، وخفق قلبها له .

يبدو أنها تأثرت بكلامه كثيراً، فأخذت الروبيات من المحراب، وسلمتها إلى هلكو قائلة: "اترك المزارعة، سوف نقتات من العمل، ويكفينا خبز واحد بالشرف والسعادة، ولا خوف بعد ذلك من ضجر أحد، فويل لهذه الزراعة؛ نزرع ثم نكسب من العمل، ونستهلك كل شيء على الزراعة، ورغم ذلك نواجه الضجر والتوبيخ ".

أخذ هلكو النقود، وخرج، وكأنه انتزع قلبه وأعطاه إياه، كان اكتنز فلساً فلساً نقداً وعدّاً، فأصبحت الآن ثلاث روبيات، أراد بها شراء البطانية، وهذه الروبيات المكتنزة فانية اليوم، في كل خطوة يخطوها كان ذهنه يتثقل تحت وطأة الإفلاس .

في الليلة الحالكة لشهر الشتاء، والنجوم مهتزة فوق السماء، كان هلكو يرتجف على جانب من حقله تحت مظلة لأوراق الذرى في سرير قصبي، مغطى بكسائه الكتاني، وكان كلبه جبرا مصاحبه يئن تحت السرير القصبي من شدة البرد واضعاً فمه على بطنه، كلاهما ساهران، والنوم بعيد عن عيونهما بعد المشرقين .

نطق هلكو جالساً القرفصاء: "ما بك يا جبرا، هل تشعر بشدة البرد؟ لقد كنت قلت لك أن تنام على قش الأرز في المنزل، لم أتيت هنا؟ وعندما أتيت فعان هنا من البرد، وليس لي أن أفعل لك شيئاً، وأنت تعلم كل شيء أنني لا أتيت هنا للتمتع بالحلوى والأخباز المقلية، لقد جئتَ على أثري مهرولاً، فعان هنا مما تعاني، وابك جدتك." حرك جبرا ذيله مسترخياً، فامتطى وسكت، ربما أدرك أن أنينه يتدخل في نوم صاحبه .

مسح هلكو بيده ظهر جبرا البارد قائلاً: "لا تأت معي منذ الغد، وإلا لتبردت للأبد، لا ندري من أين تهب هذه الرياح المغربية الثلجية، لنشعل النارجيلة وندخنها حتى تنقضي هذه الليلة، لقد دخنت ثماني نارجيلات حتى الآن، وهذه هي متعة الزراعة، وعلى جانب آخر، هناك رجال سعداء، إذا واجههم البرد القارس فر منهم البرد خوف الحر اللافح؛ لديهم الحشايا السمينة، والألحفة، والبطانيات، فأنى للبرد أن يتسلل إليهم، يا له من القدَر! نحن نعمل وهم يتمتعون "!

نهض هلكو، وأخذ النار من الحفير وأشعل النارجيلة، ونهض معه جبرا أيضاً، قال هلكو مدخناً النارجيلة: "هل ستدخن يا جبرا؟ لا يذهب منه البرد، ولكنني أتسلى قليلاً ".

نظر إليه جبرا بحب ودلال، فقال له هلكو: "لأعاني من البرد هذه الليلة فقط، ومنذ الغد سوف أفرش هنا قشوش الأرز، وستجلس بداخله، ولا يصيبك البرد ".

وضع جبرا مخلبيه الأماميين على ركبتيه مزلّفاً فاه إلى فيه، فأحس هلكو بأنفاسه الدافئة، ثم دخن النارجيلة، واسترخى من جديد، وقرر أن ينام بعد الآن مهما كان الوضع، ولكنه بعد هنيهة بدأ يرتجف من شدة البرد، متقلباً على الفراش يميناً ويساراً، والبرد لا يفتأ يستحوذ عليه كأنه عفريت ضغط على صدره بقوة .

وعندما عيل صبره، أيقظ جبرا بلطف، وأرقده في حضنه ماسحاً رأسه بتهدئة، كانت تنبعث من جسم الكلب رائحة نتنة غريبة، ولكنه يشعر بارتياح من ضمه، لم يشعر به منذ شهور، وكان جبرا يحس بأنه هو جنة الخلد. كانت روح هلكو طيبة لدرجة أنه لم يكره الكلب، كان يعاني من البؤس المفضي إلى هذا الوضع، لقد فتحت هذه الصداقة الاستثنائية كل أبواب روحه، التي تتنور كل جوانبها بالنور الحقيقي الأصيل، وخلال تلك الآونة، أحس جبرا بحركة بعض

الحيوانات، وقد أسبغت عليه روحانية صاحبه قوة جديدة يدرك بها حتى موجات الهواء العليل. انتفض على عجل نابحاً خارج الكوخ، ناداه هلكو بهدوء مرات وكرات؛ ولكنه لم يعد إليه؛ بل ظل ينبح مهرولاً من هنا إلى هناك داخل الحقل، وإن عاد للحظة، هرول من جديد. وقد جعله الشعور بواجبه مضطرباً .

مضت ساعة، وطفق البرد يشتد، هب هلكو جالساً، وأخفى رأسه بين ركبتيه الملتفتين بصدره، ولكن البرد ما زال شديداً، يبدو أن الدماء كلها قد تجمدت، نظر إلى السماء، كم بقي من الليلة؟! إن النجوم السبعة التي تدور حول القطب لم تُكمل حتى نصف شوطها، وعندما ترتقي إلى السماء، ينبلج الصبح، ولا زالت الليلة باقية أكثر من ساعة .

كان ثمة بستان على مسافة قليلة من حقول هلكو، لقد حلَّ الخريف، فتجمعت فيه كومة من الأوراق، فأراد أن يجمعها، ويشعلها ليستدفئ بها، وإن رآه شخص يجمع الأوراق خيل له أنه عفريت من الجن، ومن يدري؟ ربما يختفي فيه حيوان، ولكنني لا أستطيع الصبر أكثر .

اقتلع العديد من أشجار الفاصوليا من بعض الحقول المجاورة، وجعل منها مكنسة، وأوقد ناراً، وتوجه إلى البستان، عندما رآه جبرا منطلقاً، دنا منه محركاً ذيله .

"لا أطيق أن أتجمل أكثر يا جبرا، فلنمش إلى البستان، عندما نرتاح قليلاً نرقد، لأن الليلة ما زالت لم تنته بعد ".

وافق جبرا على رأي صاحبه، ومشى أمامه نحو البستان الضارب في أعماق الظلمات، تتقطر من أشجارها قطرات الندى، وفجأة، فاحت رائحة أزهار الحناء العطرة .

قال هلكو: "يا لها من الرائحة الطيبة يا جبرا! هل يصل أنفك أيضاً بعض رياها؟"
وكان جبرا مشغولاً بامتصاص قطعة عظام وجدها على الأرض .
وضع هلكو النار فوق الأرض، وأخذ يجمع الأوراق، وفي غضون دقائق تجمعت كومة من الأوراق، ويداه ترتجفان من البرد، وقدماه تتألمان من شدة البرد، ولكنه كان يقيم جبلاً من الأوراق التي أراد أن يجعل من شعلتها البرد كله رماداً.
اشتعلت النار في لمح البصر، وبدأت أشعتها تتصاعد مروراً بأوراق الأشجار إلى السماء. وفي هذه الأضواء المبعثرة، يبدو أن الأشجار الشامخة تحمل على أكتافها البحر اللجي من الظلمات، والضياء فيه بمثابة سفينة النجاة.
كان هلكو جالساً يستدفئ بهذه الشعلة، وفي غضون دقيقة تأبط رداءه، ومدَّ رجليه متحدياً البرد القارس: "افعل ما شئت أيها البرد". ولا تسأل عن سعادته بانتصاره على القوة اللامتناهية لهذا البرد القارس الشديد.
قال لجبرا: "ما بك يا جبرا؟ هل ما زلت تشعر بالبرد؟" حرك جبرا شفتيه كأنه يقول: "أنى للبرد أن يواجه هذه النار الملتهبة! حبذا لو كنا دبرنا هذا التدبير من ذي قبل لما عانينا من البرد ما عانيناه حتى الآن."
حرك جبرا ذيله وقال: "على كل حال، تعال، نعبر هذه النار وثباً، فإن احترقت بها فلن أعالجك!"
ألقى جبرا نظرة فزع وخوف على الشعلة. ثم وثب جبرا فوق النار وصولاً إلى الجانب الآخر، واحترقت أرجله بعض الشيء، ولكن دون ضرر، طاف حول النار ثم وقف أمامها.

قال له هلكو: "لنمش، واقفز فوق النار، فقفز فوقها إلى الجانب الآخر مرة أخرى."
لقد كانت الأوراق قد احترقت ما عدا جمرات تحت الرماد تتهيج ببعض تيار الهواء، ولكنها تنطفئ في لمح البصر، وطبق ظلام حالك في البستان من جديد.

غطى هلكو جسمه بكسائه، وجلس يغني بعض الأناشيد على جانب الرماد الدافئ، مستدفئاً بدنه، ولكن مهما اشتد البرد استكان جسمه كسلاً.

إذ نبح جبرا مهرولاً نحو الحقل، وأحس هلكو بأن سرباً من الحيوانات يطرق إلى الحقل، كأنه سرب من البقرات الوحشية، تتصاعد أصوات قفزها ووثبها وجريها إلى الآذان. ثم بدا له أنها تكلأ الحقل، قال لنفسه: "لا يمكن أن تدخل ماشية الحقل مع وجود الأخت جبرا. سوف تخدشها خدشاً. مالي لا أسمع الآن شيئاً، يبدو كأنها تساورني الظنون." نادى بصوت عالٍ: "جبرا! جبرا!"

ظل جبرا نابحاً دون أن يعود إليه. ثم بدأت أصوات كلأ المواشي تعلو، فلم يستطع هلكو أن يخادع نفسه أكثر، ولكنه لا يستطيع أن يتحرك من مكانه للبرد الشديد؛ يشق عليه أن يغادر المكان الدافئ إلى الحقل في هذه البرودة، ويهرِّب الحيوانات، ويعاقبها؛ فلم يتحرك من مكانه، وأخذ يصرخ على المواشي لتهريبها: "هو هو هو، هاهاها، لو لولو."

ولكن جبرا صاح ينبح من جديد. لو كانت الحيوانات هربت لعاد حتى الآن من هناك، إذن، لم تهرب الحيوانات وهي ما زالت ترعى، لعل الحيوانات أيضاً كانت مطمئنة من أن يعاقبها أحد في مثل هذا البرد الشديد، كانت المروج وشيكة الحصاد؛ يا لها من نضارتها، واهتزازها وربوها هذه السنة! كانت القرية كلها تحسد عليها، ولكن الحيوانات هي التي توشك أن تدمرها.

انتفض هلكو بكل عزم وقوة، وخطا خطوات، إذا به التيار القوي للهواء البارد الذي لم يكن أقل من لدغة العقرب، فجلس على الشعلة التي كادت تنطفئ نافخاً رمادها ومستدفئاً جسمه البارد. و جبرا يمزق حنجرته نباحاً وشغبا، وأبقار الوحش كادت تدمر الحقل بقضها وقضيضها، وكان هلكو جالساً على الرماد متجمداً من دون شعور كالأوراق الذابلة، وكأنه مكبَّل بالحبل الفتيل من كل الجوانب.

وأخيراً، غط في نومه مغطى بكسوته، ولكنه عندما هب من النوم في الصباح الباكر، رأى أن حرور الشمس هائج ومائج في كل الجهات، وزوجته موني واقفة بجانبه تقول له: "إلى متى ستنام اليوم؟ أنت نائم هنا نوم العروس، وقد تحطمت الحقول كلها هناك. ولم يبق للحقل أثر بعد عين. هل ينام أحد هكذا؟ وما فائدة هذا الطنف الذي أرسيته هنا في الحقل؟"

دبر هلكو حيلة: "لقد كنت على وشك الموت، وما أدراكِ؟ كيف كنت مصاباً بألم في المعدة، وأنت تكلمين عن الحقل."

وصل كلاهما إلى حافة الحقل، فوجداه هشيمًا تذروه الرياح. وجبرا مستلقٍ على ظهره تحت الطنف، كأنه جثة هامدة لا روح فيها، وكلاهما يتفرسان في الحقل، فغشى على وجه موني اليأس والملل، ولكن هلكو كان سعيداً.

قالت موني بتفكير عميق: "علينا الآن أن ندفع العوائد بعرق الجبين."

قال هلكو متهللاً: "سوف لا يكون علي أن أنام الليلة هنا في هذا البرد القارس بعد اليوم."

قالت موني: "سوف لن أدفع عوائد هذا الحقل؛ أقول لك بصراحة، نزرع الحقل لنحيا لا لنموت."

وما زال جبرا راقداً، لم يكن يرقد هكذا قط. قالت موني لشهنا: "لقد كلئت الحيوانات الحقل؛ فلا أستطيع أن أدفع لك حتى قرشاً واحداً."

كانت الليلة البارحة باردة جداً.

"ماذا أقول لك؟ وماذا تسمع أنت؟"

"أنت تتكلمين عن الشتم والسب، ما لشهنا ولهذا الكلام."

"كلئت الحيوانات الحقول أو أحرقت بالنار أو ضاعت بالثلوج، فإنها لا تريد إلا عوائدها."

"إذن، اترك الزراعة، وإني لأترك زراعة أمثالها."

قال هلكو بكل يأس وملل: "أنا كذلك، أريد أن أترك الزراعة."

أقول لك يا موني بصدق: "ولكنني عندما أفكر في العمل، وأنا ابن فلاح، تتضايق نفسي، لن أعمل أجيراً أبداً؛ مهما كانت الظروف، ولن أكون وصمة عار على جبين الفلاحين."

"جبرا، جبرا! هل ما زلت تنام؟ تعال نمش إلى المنزل."

.... ❖❖❖❖❖ ....

الطرقات التي تحفظ ملامحنا

(مجموعة قصصية)

القاصة / صبحة بغورة *



نشـــرت حــــديثا دار " الأمـــير" للنشـــر والتوزيـــع والترجمـة بمرسيليا- فرنسا، مجموعـة قصصـية، إصـدار القاصـة الجزائريـة صـبحة بغـورة بعنوان "الطرقات التي تحفـــظ ملامحنـــا" وتقـــع المجموعـــة القصصـــية في ١٠٤ صـفحة مـن الحجم الصـغير وتتضمن عدد ٢٤ قصة .

تتناول القصص في معظمها موضوعات تتعلق بغربة الزمان والمكان والغربة بين البشر، فجاءت مرآة لقصص تناثرت شظاياها، قصص بلا حواجز ترسم معالم آهات نائمة بين خزائن قلوب موجوعة.

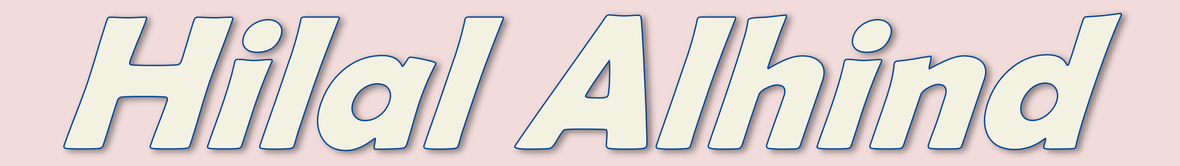
يذكر أن للقاصة صبحة بغورة مجموعة قصصية بعنوان " وخزات على جراح مفتوحة "من إصدار مجلة " الرافد " بإمارة الشارقة . دولة الإمارات العربية المتحدة، وديوانين شعريين صدرا بالجزائر بعنوان " امرأة أنا " و" لأني أحب" ، بالإضافة إلى عدة كتب ثقافية وتربوية بعناوين :

---

* قاصة جزائرية.

مراجعات في حديث السياسة مع الفن والأمن والتاريخ ، أبناؤنا غرس والدين وثمار تربية ، الثقافة وإجادة اتخاذ قرارات التنمية، من وحي الفكر في الأبعاد الثقافية لقضايا التربية إصدار دار e kutub . لندن...

.... ❖❖❖❖❖ ....



(An Online Bi-annual Peer-reviewed International Journal)

Vol. No.4, Issue No. 1
January-June, 2024



Editor-in-chief: Prof. Mujeebur Rahman

Published by
Dr. Mukhlesur Rahman
Rampurhat, Birbhum
W. Bengal, India